

كتاب

ثمرات الاوراق فيما طاب من نوادر الأدب وراق تأليف الاديب

« اللوذعى الشيخ » تقى الدين أبى بكر بن على

الشهير بابن حجة الحموى المولود بحماه سنة ٧٧٧ هـ

المتوفى بها فى خامس شعبان سنة ٨٣٧ هـ

ويليه الذيل الاول على الثمرات للمؤلف المذكور * و بعده الذيل الثانى على
ثمرات أيضا وهو المسمى « تأهيل الغريب » للمؤلف المذكور
يليهما تذييل الاديب الشيخ ابراهيم ابن الحاج على الاحدب على الثمرات
المذكورة

قال فى كشف الظنون ما نصه ﴿ ثمرات الأوراق فى المحاضرات للشيخ تقى الدين
أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ أوله أما بعد حمد الله
الذى فكهنا بثمار أوراق العلماء الخ وهو كتاب اشتمل على زبدة ما يحتاج اليه
فى المجالس والمحافل من النوادر والحكايات ﴾ اه
عم الله الجميع بعفوه و رحمته وأسكنهم فسيح رضوانه وجنته آمين

﴿ على نفقة محل تجارة السيد عمر حسين الخشاب و ولده ﴾ سنة ١٣٣٩ هـ
﴿ الطبعة الاولى ﴾
بالمطبعة الخيرية ادارة السيد محمد عمر الخشاب
حفظه الله ووفقه لما فيه الخير والصواب آمين
﴿ تأسست المطبعة المذكورة



قال الشيخ الامام حجة العرب * وترجمان الادب * تقي الدين أبو بكر بن حجة الحنفي منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمته ﴿أما بعد﴾ حمدا لله الذي فكهنا بثمار أوراق العلماء * والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التي أصلها ثابت وفرعها في السماء * وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجره * وأغصانها التي دنت لهذه الامة قطوفها المثمره * فاني وريت بتسمية هذا الكتاب بثمار الأوراق * عالما أن قطوفه لم تدن لغير ذوي الاذواق فمن ذلك ما نقلته من درة الغواص لابي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات ان أبا العباس المبرد روى ان بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازني في قراءة كتاب سيبويه عنه وبذل له مائة دينار في تدريسه اياه فامتنع أبو عثمان من ذلك فقال له المبرد جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك اليها فقال أبو عثمان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا آية من كتاب الله ولست أرى ان أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه

على انه خبرها والجار يه مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من مازن يا أمير المؤمنين قال أى الموازن قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال بااسمك لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت فى أول الاسماء فكرهت ان أجيبه على لغتى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه منى ما أتم قال ماتقول فى قول الشاعر

أظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم

كان الى رجلا أم تنصبه فقلت الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم صدر بمعنى اصابتكم فاخذ الزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به والدليل عليه أن الكلام متعلق الى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وأمر له بالف دينار قال أبو العباس المبرد فلما عاد أبو عثمان الى البصرة قال لى كيف رأيت رددنا لله مائة فعوضنا ألفا « ونقلت من درة الغواص أيضا » ان حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة مادواء الخمار وكان قد علق به فاعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه والتفت الى قاضى القضاة أبى عمر فسأله عن ذلك فتنحنح لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة فى الجاهلية حيث قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابونواس فى الاسلام فقال

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

فاصفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى ماضرك ياباردان تجيب ببعض ما أجاب

به مولانا قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا وادى المعنى وخرج من العهدة فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد لما ابتدأه بالمسئلة انتهى ﴿ ويضارع هذه الحكاية ﴾ في لين بعض القضاة المتقشفين واذعانهم مع الزهد والتقشف للمستفتين ما نقلته من درة الغواص للحريري أيضا قال اجتمع قوم على شراب فتغنى مغنيهم بشعر حسان

ان التى ناولتني فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة ارخاهما للمفصل

فقال بعضهم امرأتي طالق ان لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر كيف قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا فيه ومضوا يتخبطون القبائل الى بني شقرة فوجدوا عبيد الله بن الحسن يصلي فلما فرغ من صلاته قالوا له قد جئناك في أمر دعتنا اليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسألوه الجواب فقال مع زهده وتقشفه ان التى ناولتني فرددتها عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات انتهى « قال الحريري » وقد بقي في الشعر ما يحتاج الى تفسيره أما قوله ان التى ناولتني فرددتها قتلت قتلت فانه خاطب به الساقي الذي ناوله كاسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فاراد أن يعلمه انه فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى عاد عليه بالقتل في مقابلة المزج ثم انه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه ما لم تقتل يعني الصرف التى لم تمزج وقوله ارخاهما للمفصل يعني به اللسان وسمي مفصلا بالكسر لانه يفصل بين الحق والباطل قال الحريري وليس على ما اعتمده القاضي عبيد الله من الاسماح وخفض الجناح ما يقدح في نزاهته ويغض من نبله وقباهته والله أعلم ﴿ ونقلت من درة الغواص ﴾ ان عروة ابن أذينة الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخلوا

عليه عرف عروة فقال ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه ... ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وأراك قد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال له يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة فى العلم والجسم ولا ردوا فدك خائبا والله لقد بالغت فى الوعظ واذكرتنى ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وتوجه راجعا الى الحجاز فلما كان فى الليل ذكره هشام وهو فى فراشه فقال رجل من قريش قال حكمة و وفد الى فجبهته و رددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فاخبر بانصرافه فقال لا جرم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفى دينار وقال الحق بهذه ابن اذينة وأعطه اياها قال فلم أدركه الا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج الى فأعطيته المال فقال ابلغ أمير المؤمنين قولى سعيت فأكديت و رجعت الى بيتى فأتانى رزقى ﴿ ويضارع هذه الحكاية ﴾ ما حكى عن هدبة ابن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت مائدة المأمون فلما رفعت المائدة جعلت التقط ما فى الارض فنظر الى المأمون فقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت بن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التقط ما تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت ان جاءنى ومعه منديل فيه ألف دينار فناولنى اياه فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك انتهى ﴿ ومن لطائف ما جنيت من ثمرات الاوراق ﴾ أن رجلا من الحذاق كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فانتهى فى كتابه الى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا زدها واوا للفرق بينها وبين عمر فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفوضل « قلت » و بعضهم يرى ان الواو تزاد بعد لا النافية فى الجواب اذا قيل هل فعلت كذا وكذا فيقول لا وعافاك الله قال أبو الفرج

ابن الجوزى روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجل عربى أكان كذا وكذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال الامام عمر رضي الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت لا وعافاك الله ﴿ وحكى ﴾ عن الصاحب بن عباد أنه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الاصداغ فى وجنات الملاح « قلت » وهذه الواو أعنى واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو اشجع السلمى

قل لمن يدعى سليمى سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمى كواو ... ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿ وقال أبو سعيد الرستمى واجاد ﴾

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا ... ويحرم مادون الرضا شاعر مثلى

كما سامحوا عمرا بواو مزيدة ... وضويق بسم الله فى الف الوصل

﴿ ومن لطائف المجتنى ﴾ ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قيل انه قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل الفاضل الى دار العماد وجد أشياء انكرها فى نفسه مثل آثار مجالس أنس ورائحة خمر وآلات طرب فانشد

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ... مالم ينلك بمكروه من العذل

محبتى فيك تأبى عن مسامحتى ... بان أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده نزع العماد عما كان فيه واقلع ولم يعد الى شئ من ذلك البتة ﴿ ومن اللطائف ﴾ ما نقل عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قيل انه لما استعرض الامير بدر الدين بيليك الخازندار ليشتريه قال له أناحر يامولانا السلطان واحسن الكتابة فاحضرت له دواة فكتب يقول

لولا الضرورة مافارقتكم أبدا ... ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه ﴿ ويضارعه ما حكى عن

الصاحب كمال الدين العديم ﴾ قيل ان انسانا رفع قصة الى الصاحب المشار اليه فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتي من هو الذى أظهرك عليها فقال يامولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة حتى اكتب عليها سطرين أو ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجا وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك

﴿ واذكر فى اتفاق التورية فى الكمال هنا ﴾ ما حكى عن القاضى فخر الدين لقمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير رحمهما الله انهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق انه طاب مملوكه المذكور وناداه ياطنبا فقال له نعم ولم يأته وكانت ليلة ممطرة مظلمة فاخرج فخر الدين بن لقمان رأسه من الخيمة فقال تقول نعم ولم أرك فقال القاضى تاج الدين

فى ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب فى ارجائها الطنبا

﴿ ومن اتفاق التورية أيضا ﴾ ما كتبه الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة ملغزا فى باب الى والده

ماواقف فى المخرج يذهب طورا ويجى
لست أخاف شره مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده فى الجواب ذهاب واياب وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام

﴿ قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح ﴾ كتب لبعض الرؤساء رقعة الى صديق له يشفع فيها عنده فكتب ذلك الرئيس هذا الامر على فيه مشقة فكتب ابن مطروح فى جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها فهم الاشارة الى قول المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم ‏ ‏ الجود يفقر والاقدام قتال

وقضى الشغل على الفور راتهى ﴿ قيل ان يوسف الصديق عليه السلام ﴾ كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء وقال الشاعر

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ‏ ‏ بل فى الشدائد تعرف الاخوان

﴿ ولله در يزيد بن المهلب ﴾ من ذى مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان فى سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد دخل عليه نجم وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح فى قيدك السماحة وال ‏ ‏ جود وفضل السلاح والحسب

لا تصبرن ان تتابعت نعم ‏ ‏ وصارف فى البلاء محتسب

برزت سبق الجياد فى مهل ‏ ‏ وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال اعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر ﴿ قال الاصمعى ﴾ حضرت مجلس الرشيد وفيه مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال له الرشيد ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فانشد

ياشقيق النفس من حكم ‏ ‏ نمت عن ليلى ولم أنم

فتمشت فى مفاصلهم ‏ ‏ كتمشى البرء فى السقم

فقال أحسنت والله ياغلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج قال الاصمعى فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت له وأى معنى سرق لك قال قوله فتمشت فى مفاصلهم البيت فقلت وأى شئ قلت فقال

كان قلبى وحاسيها اذا خطرت ‏ ‏ وقلبها قلبها فى الصمت والخرس

تجرى محبتها فى قلب رامقها   جرى السلافة فى أعضاء منتكس

﴿ ترجمة المعتزلة ﴾ المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وافعال الشر من الانسان وان القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وان الله تعالى غير مرئى يوم القيامة وان المؤمن اذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر وان اعجاز القرآن فى الصرفة لا أنه فى نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وان من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رضى الله عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقال الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضى الله عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لاتباعه معتزلة ولم يزل مذهب الاعتزال ينمو الى أيام الرشيد فظهر بشر المريسى واحضر الشافعى مكبلا فى الحديد فسأله بشر والسؤال ما تقول يا قرشى فى القرآن فقال اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وأحس الشافعى رضى الله عنه بالشر وان الفتنة تشتد فى اظهار القول بخلق القرآن فهرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله بخلق القرآن فكان الامر بين أخذ وترك الى ان ولى المأمون فقال بخلق القرآن و بقى يقدم رجلا و يؤخر أخرى فى الدعوة الى ذلك الى أن قوى عزمه فى السنة التى مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فأخبر فى الطريق أنه توفى فبقى الامام محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن ابن اسحق والقاضى أحمد بن أبى دواد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فلم يقطع فى بحث وسفه أقوال الجميع فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمى عليه و رمى على بادية وهو مغشى عليه ثم حمل وصار الى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث فى السجن ثمانية

وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة و يفتي و يحدث حتى مات المعتصم و ولى الواثق فاظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك احدا ولا تساكنى فى بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق و ولى المتوكل فاحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله و ولده فى كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية الى ان مات المتوكل وفى أيامه ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع ما توقع من المحنة واظهار السنة وتكلم فى مجلسه بالسنة ولم يزالوا فى أعين المعتزلة فى قوة الى أيام المتوكل ولم يكن فى هذه الامة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم ومن مشاهيرهم على ماذكروا من الفضلاء الاعيان الجاحظ و واصل ابن عطاء والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب ومن المعتزلة أيضا الصاحب بن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وأبو علي الفارسي وابن جني والله أعلم

﴿ ومما جنيته من ثمرات الاوراق ﴾ ان الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال ياأمير المؤمنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا وعندي جاريتان وهما تكبسانى فتناومت عنهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يديها الى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب قائما فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيا أرضا ميتة فهى له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن أخذه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما بحكم أمير المؤمنين وحملهما اليه ﴿ ومن ذلك ما حكى عن بعض المطربين ﴾ أنه غنى فى جماعة عند بعض الامراء

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل ولو نظرت شزرا اليك القبائل

وان فوق الاعداء نحوك اسهما　　ثنتها على اعقابهن المناصل

فطرب الامير الى الغاية ولما ازداد طربه قال لبعض مماليكه هات خلعة لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما يقوله الامير فقام لقلة حظه الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالخلعة فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى بعدما خرج ان الامير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام حضر المغنى عند ذلك الامير وغنى فقال

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل　　ولو نظرت شزرا اليك القبائل

بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال نعم لانى لما بلت فى ذلك اليوم فاتتنى السعادة من الامير فاوضحوا له القصة فضحك وأعجبه ذلك وأمر له بخلعة ﴿ ومن المنقول ﴾ ان عبد الله بن المعتز من خلفاء بنى العباس مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا فى مدة حياته بويع له بالخلافة وظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم ان لا يسفكوا فى واقعته دما ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفا وقد قيل

لله درك من ملك بمضيعة　　ناهيك فى العلم والعلياء والحسب

ما فيه لو ولا ليت تنقصه　　وانما أدركته حرفة الادب

وقال ابن الساعاتى

عفت القريض فلا اسمو له أبدا　　حتى لقد عفت ان أرويه فى الكتب

هجرت نظمى له لا من مهانته　　لكنها خيفة من حرفة الادب

قلت وما برح الزمان مولعا بخمول أهل الادب وخمود نارهم كان الملك الافضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف من كبار أهل الادب وكان حسن السيرة متدينا قليل ان عاقب على ذنب وله المناقب الجميلة وكان أكبر اخوته ومع كمال صفاته وآدابه التى

سارت بها الركبان ماصفا له الدهر ولا هنأه بالملك بعد أبيه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى لبث مدة يسيرة بدمشق المحروسة ثم حضر اليه عمه أبو بكر العادل وأخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه   عثمان قد منعا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى   من الاواخر ما لاقى من الاول

فكتب الناصر الجواب ولكن الفرق مثل الصبح

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا   بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن   بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم   وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الامام الناصر بل توفى فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ومن شعره ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه   فعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة   ولك الامان بانه لا ينصل

﴿ قلت ﴾ ومثله الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وكان داود صاحب الكرك مابرح مع كمال فضله منكدا مشتتا فى البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة ابن بصاقة والشيخ شمس الدين الخرشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده فى الملا فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى مطلعها

ودان المت بالكثيب ذوائبه   وجنح الدجى وحف تجول غياهبه
تقهقه فى تلك الربوع رعوده   وتبكى على تلك الطلول سحائبه

وقال منها فى حكاية حاله مع الخليفة

أيحسن فى شرع المعالى ودينها | وأنت الذى تعزى اليه مذاهبه
بانى أخوض الدو والدو مقفر | سباريته مقفرة وسباسبه
و يأتيك غيرى من بلاد قريبة | له الامن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله | ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر فى لألاء قدسك نظرة | فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس و رتبة | وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلى النفس مما ترومه | وكنت اذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت اننى | أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

الناصر يشير الى مظفر الدين كوكبورى بن كوجك فانه قدم الى الديوان فطلب الحضور فاذن له و برزله الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته غاية الاعجاب وهى من النظم البديع فى غاية لا تدرك فاستدعاه بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وماتم له ماظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك ان الخليفة راعى عمه المذكور والذى ثبت عند أهل التاريخ ان عمه العادل مافعل ذلك الا حسدا له على كمال أدواته و بلاغة آدابه وقيل انه كتب خطا منسوبا ازرى بالحدائق المدبجة ﴿ وحكى صاحب الريحان والريعان ﴾ قال حضر شاب ذكى بعض مجالس الادب فقال بعضهم ما تصحيف نصحت فختنتى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه وكان بالمجلس شاعر من أهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ماتصحيف بلنسية فاطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسى يقول صدق ظنى انك تدعى وتنتحل ماتقول والفتى يضحك ثم قال له أشعرت أنت ياشاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر و بين بلنسية فقال له ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول ذلك فتنبه بعض الحاضرين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل الشاعر المنازع ومضى الى الشاب معترفا ومعتذرا انتهى.

وهذا المعنى فى بلنسية نظمه الشيخ بدرالدين الدمامينى أحجية فقال

ياواحد العصر مابلدة　　محاسنها فى الورى تذكر

حجى مايرادف تصحيفها　　وحقك أربعة أشهر

ومن الغريب ما نقل عن الفقيه عمارة اليمنى الشاعر انه مر بمصلوب فقال

ومد على صليب الصلب منه　　يمينا لا تطول الى الشمال

ونكس رأسه لعتاب قلب　　دعاه الى الغواية والضلال

فلم يمض ثلاثة أيام حتى صلب بين القصرين مع الجماعة الغرماء وكان الفقيه نجم الدين عمارة أديبا ماهرا فقيها شافعى المذهب من أهل السنة قدم فى دولة الفاطميين الى الديار المصرية وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب وا تحدبه على ما كان بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن وعاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورثى أهل القصر بقصيدته التى أولها

رميت يادهر كف المجد بالشلل　　ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها قدمت مصر فأولتنى خلائفها　　من المكارم ماأربى على الامل

قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن　　تمامها انها جاءت ولم أسل

يالائمى فى هوى ابناء فاطمة　　لك الملامة ان قصرت فى عذل

بالله زر ساحة القصرين وابك معى　　عليهما لا على صفين والجمل

ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة　　بنسل آل أمير المؤمنين على

وهى طويلة فى غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه «وقيل» انه استفتى عليه فى قوله من قصيدته الميمية

وكان مبدأ هذا الامر من رجل　　سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فأفتى الفقهاء بقتله وقالوا ان هذا الكلام رأى الفلاسفة فى النبوات وانها

بالتكسب وهي احدى المسائل التي كفروا بها والصحيح أنه يجتبي من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء عنده شعور بانه يكون فيما بعد نبيا والذي يظهر ان هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة وما يبعد ان القاضي الفاضل رحمه الله كان له ميل الى هلاكه لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال كذا الملوك اذا أرادوا شيأ فعلوه ونهض فامر بصلبه مع الغرماء فلما أمسكوه مروا به على باب الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل الى بيته وأغلق الباب فقال الفقيه عمارة

عبد الرحيم قد احتجب

ان الخلاص من العجب

﴿ نكتة أدبية ﴾ قال ابن سناء الملك من أبيات

صليني وهذا الحسن باق فربما يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضي الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة وكتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغايه الا وتعلمني انها البدايه ولا قلت هذا البيت آية القصيدة الا وتلا ما بعده وما نريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب في هذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بما تحتها ودونوا مادونها والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها ولكن بيت يعزل ويكنس أردت ان أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها انتهى فاجاب ابن سناء الملك قائلا قد علم المملوك مانبه عليه مولانا من أمر البيت الذي أراد ان يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له معجبا به معتقدا ان قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه في الكنس الا ابن المعتز حيث يقول

وقوامى مثل الفتاة من الخط　　　وخدى من لحيتى مكنوس

والولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل و يتعثر و يطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر وما مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أباعبادة قد قال

و ياعاذلى فى عبرة قد سفحتها　　　لبين وأخرى قبلها للتجنب

تحاول منى شيمة غير شيمتى　　　وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال　وما زارنى الا ولهت صبابة　　　اليه والا قلت أهلا ومرحبا

يعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك و وجد المملوك أبا تمام قد قال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

و وجدته أيضا قد قال

خشنت عليه أخت بنى خشين

فاشمأز من هذا اللفظ طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه و وجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت بالربع أشكو فقد مشبهه　　　حتى بكت بدموعى أعين الزهر

لو لم أعرها دموع العين تسفحها　　　لرحمتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لا شك فيه كما　　　وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه الى هذا الامر مائلا وخاطره فى بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب على خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشىء يعمى و يصم فقد أعماه حبه وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة فى تلك الابيات تقليدا لابن المعتز قالها وحمل أثقالها وهى زلة تغتفر فى جنب حسناته وأما المملوك فهى

عورة ظهرت من أبياته ﴿ فأجابه الفاضل ﴾ بقوله ولا حجة فيما احتجه بابن المعتز عن الكنس فى بيته فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا فى الصواب فقط وقد علم مما ذكره ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين صنعه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا تلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه حظه وأما البحترى فأعطاه أكثر من حقه وقال

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادى ولكن للعتاب مواضع

﴿ قال الشيخ صلاح الدين الصفدى ﴾ لما وقف على هذا الفصل رايت ابن سناء الملك استعمل هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى فقال

وخلصنى من يدى عشقه ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من حبه ولحيته كانت المكنسه

« قلت » ما برح الشيخ صلاح الدين غفر الله له يذوق تقليدا كقوله عن ابن سناء الملك لما استعمل فى هذه الصيغة المشتملة على الهجو بشاعة المكنسة ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى ﴿ أما نقد الفاضل ﴾ على ابن سناء الملك بوضع المكنسة على وجنة معشوقته التى ليس للعذار بوجنتها شعور فنقد صحيح « واما » وضع مكنسة اللحية على وجنة من طلعت لحيته وكان جائرا على عاشقه وسبكها هنا فى قالب الهجو فهو نوع من المرقص والمطرب ولو وقف الفاضل على هذه المكنسة لاعدها لابياته انتهى ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ ما حكى عن الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد والد قاضى القضاة تقى الدين تغمدهما الله برحمته ورضوانه وهو أن الشيخ مجد الدين المشار اليه كان كثير الاحسان الى اصحابه يسعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم وفيمن

يصلح للعدالة فجاءه بعض طلبته وشكا اليه رقة الحال وكثرة الضرورة فقال له اكتب قصتك وأنا أتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك فلان يقبل الارض وينهي أنه فقير ومظرور بالظاء القائمة وقليل الحض بالضاد وناولها للشيخ فلما قرأها تبسم وقال يا فقير سبحان الله ضرك قائم وحظك ساقط انتهى

﴿ ومن لطائف المنقول عن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله ﴾

أنه كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الاشعار الرائقة يقال ان أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ما عندي أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه من الركوب فكتب اليه

ياسادتي اني قنعت وحقكم	في حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا	ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى	يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة	لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسما بوجهك وهو بدر طالع	وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من	أخطارها في الحب أصعب مركب
لولم أكن في رتبة أرعى لها الـ	عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذ لي	خلع العذار ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي	قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت	كشف القناع بحق ذياك النبي

قال الشيخ جمال الدين بن عبد القادر التبريزي الذي يهواه القاضي شمس الدين ابن خلكان رحمه الله الملك المسعود بن الملك الظاهر وكان قد تيمه حبه وكنت انام عنده بالعادلية فتحدثنا في بعض الليالي الى ان ذهب الناس فقال لي نم انت ههنا والقى

على فروة قرظ وقام يدور حول بركة العادلية ويقول فى دورانه

أنا والله هالك آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

« وقيل » ان قاضي القضاة شمس الدين المشار اليه رحمه الله سأل بعض أهل دمشق المحروسة وكان المسؤل من خواص أصحابه عن ترجمته عند أهل دمشق فاستعفاه من ذلك فالح عليه «فقال » أما العلم والفضل فهم مجمعون عليه وأما النسب فيدعون فيه الادعاء ويقولون ان مولانا يأكل الحشيش ويحب الغلمان « فقال » أما النسب والكذب فيه فهذا نوع من الهذيان ولو أردت أن أنتسب الى العباس أو الى على بن أبي طالب أو الى أحد من الصحابة لاجاز واذلك وأما النسب الى قوم لم يبق منهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر فانه ألذ وأما محبة الغلمان فالى غدا أجيبك عن المسئلة انتهى ❊ ومما يناسب لطيفة قاضي القضاة شمس الدين ما نقلته من روض الجليس ونزهة الانيس ❊ حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصقلي « قال » كان بافر يقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه ليشرب الخمر اذ ذكر محبوبه فجرى بخاطره ما يفعله به من التجنى فزاد سكره وقام من الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما اصبحوا انهضوا به الى القاضي فاعلموه بفعله فقال له القاضي لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأنشد على الفور

لما تمادى على بعادى واضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا ولا معينا على السهاد

حملت نفسي على وقوفي ببابه وقفة الجواد
فطار من بعض نار قلبي أقل في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علمي ولم يكن ذاك من مرادي

« قال » فاستظرف القاضي واقعته واستملح شعره ورق لحكاية حاله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وأطلقه ﴿ ومما يناسب هذه اللطائف ﴾ قيل انه رفع الى المأمون أن حائكا يعمل السنة كلها لا يتعطل في عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا مادام للورد ازهار ونوار

فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنى

اشرب على الورد من حمراء صافية شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزالون في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح وان مت والهفي على الورد والخمر
سألت اله العرش جل جلاله يواصل قلبي في غبوق الى الحشر

« فقال » المأمون لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغي أن نعينه على هذه المروءة فامر أن يدفع له في كل سنة عشرة آلاف درهم في زمن الورد ﴿ ومن اللطائف ما حكي عن مجير الدين الخياط الدمشقي ﴾ قيل انه كان يهوى غلاما من أولاد الجند فشرب مجير الدين في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه بشمعة وهو راكب فرآه في الليل مطر وحا على الطريق فوقف عليه بالشمعة ونزل فاقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على وجهه ففتح عينيه فرأى محبوبه على رأسه فاستيقظ وأنشد

يا محرقا بالنار وجه محبه مهلا فان مدامعي تطفيه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي واحذر على قلبي فانك فيه

﴿ ومن اللطائف ماحكاه الاصمعي ﴾ قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغني و يقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له اما سداد الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وأما سداد الكنف فمعلوم قال الاصمعي وكنت حديث السن فاردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي انني ان أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت وأي كرامة حصلت لها منك وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فقال بل لا والله من الهوان ماهو أكثر وأعظم مما أنا فيه فقلت له وما هو فقال الحاجة اليك والى أمثالك فقال فانصرفت وأنا أخزى الناس ذكرت بقول الكناس غريم الاصمعي مايضارع ذلك أعني قوله

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

« قيل » انه كان لابي حنيفة رضي الله عنه جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنه الليل رجع الى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم و يشوي السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب و يردد البيت الى أن يغلبه السكر و ينام وكان الامام أبو حنيفة يصلي الليل كله و يسمع حديثه وانشاده ففقد صوته بعض الليالي فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة ايام وهو محبوس فصلى الامام الفجر و ركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط فلما دخل على الامير اجلسه مكانه وقال ماحاجة الامام فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب الامام وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره

قال له الامام أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت و رعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار و رعايته ولله على ان لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد الى ما كان عليه انتهى ﴿ ومما يناسب هذه اللطائف ﴾ ماذكره الحريرى فى كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل ان أحمد بن المعدل كان يجد باخيه عبد الصمد وجدا عظيما على تباين طريقيهما لان أحمد كان صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خمريا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد فى غرفة أعلاها وعبد الصمد فى أسفلها فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه وأخذ فى القصف والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونقضوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم « وذكرت » بهذا الاقتباس الذى خلب القلوب هنا بحسن موقعه اقتباسا خلب قلوب الناس لعظم موقعه وماذاك الا أن الحاكم الفاطمى على ماذكر لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل انه فسد حاله فى آخر أمره وادعى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس الى الايمان به وبذل لهم نفائس وكان ذلك فى فصل الصيف والذباب يترامى على الحاكم والخدام يدفعه ولا يندفع فقرأ فى ذلك الوقت بعض القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز فاضطربت الامة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة فى حكاية الحال حتى كان الله أنزلها تكذيبا للحاكم فيما ادعاه وسقط الحاكم من فوق سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل الى ان اطمأن اليه فجهزه رسولا الى بعض الجزائر وأمر باغراقه ورؤى بعد ذلك فى المنام فقيل له ماوجدت فقال ماقصر معى صاحب السفينة أرسى بى على باب الجنة ﴿ ومن

الاقتباسات» التي وقعت للمتأخرين في أحسن المواقع المتعلقة بحكاية الحال ماسمعت وشهدت حكاية حاله بالجامع الاموى وماذاك الا أن قاضي القضاة علاء الدين بن أبي البقاء الشافعي رحمه الله تعالى كان قد عزل من وظيفة قضاء القضاة بدمشق المحروسة فعاد الى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر الى الجامع على العادة ومعه أخوه قاضي القضاة بدر الدين الشافعي بالديار المصرية فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرى وقرأ قالوا ياأبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا الى آخر الآية فحصل بالجامع الاموى ترنم صفق له النسر بجناحيه «وروى المرزبان» باسناده أن المجنون خرج مع أصحاب له يمتار من وادى القرى فمر بجبلي نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فأى ريح تهب من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام في ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا له ولهم ثم أتوا فحبسهم حتى هبت الصبا ورحل معهم وفي ذلك يقول

أياجبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة ... على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت ... على نفس مهموم تجلت همومها

وضمن البيت الاول الشيخ صفي الدين الحلي في مليح اسمه نعمان

أقول وقد عانقت نعمان ليلة ... بنور محياه أنار أديمها
وقد أرسلت الياه نحوى فسوة ... يروح كرب المستهام شميمها
أياجبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

وكان لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له عند ذلك ندم وهيام أشرف منه على التلف فحضرت في بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا امامه فحجبتاها عنه

فأنشد فى الحال

أياجبلى نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

قلت وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما ألطف ماذكره الشيخ بدر الدين حسن ابن زفر الطبيب الاربلى فى كتابه روضة الجليس ونزهة الانيس وهو أن بعض الرؤساء قال أخبرنى بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لى بالموصل اذجاءه كتاب من بغداد من صديق له وفيه تشوق وفيه عتاب بهذا البيت

تناسيتم العهد القديم كاننا ... على جبلى نعمان لن نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت و يهتز له فقلت بالله عليك أسألك شيأ لاتخفه قال سل قلت هذه معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال اى والله ومن أين علمت ذلك فقلت من البيت لانه اذكرتك فيه بجبلى نعمان وهما كناية عند الظرفاء من أهل الادب عن جانبى الكفل للمليح والمليحة فقال والله ماأدركت ماأدركت ﴿ ونقلت من اللطائف المسبوكة فى قالب التورية ﴾ أن بعض الكتاب دخل يسلم على بعض فضلاء النحاة وكان من أصحابه فوجده قائما يلوط بأحد الغلمان الملاح من طلبته فى قراءة النحو ولم يره الغلام فجلس النحوى فى مكانه و بقى الغلام واقفا مبهوتا فقال الكاتب للنحوى مالى أرى هذا الغلام واقفا فقال النحوى وقع عليه الفعل فانتصب ﴿ ومثل ذلك قصة ابن عنين مع الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ﴾ لما كتب اليه فى مرضه

انظر الى بعين مولى لم يزل ... يولى الندى وتلاف قبل تلاقى

أنا كالذى أحتاج مايحتاجه ... فاغنم دعائى والثناء الوافى

فحضر اليه المعظم بنفسه ومعه ثلثمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة وظرف من قال

وذى أدب بارع نكته ... وأولجت فيه قمدا عنف

فقلت فديتك اعصر عليه ... ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت ... لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق ... فقال وأحمق لا ينصرف

﴿ وأظرف منه قول الحسين بن الريان ﴾

أتيت حانة خمار وصاحبها ... مما جن متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة ... وكل عاق بهر شيق أهيف حسن
فقال لي اذ رأى عيني قد انصرفت ... الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة ... واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

« ومثله » ما حكي أن بعض الفقراء وقف على باب نحوي فقرعه فقال النحوي من بالباب فقال سائل فقال ينصرف فقال اسمي أحمد فقال النحوي لغلامه أعط سيبويه كسرة « ومثله قول ابن عنين »

شكا ابن المؤيد من عزله ... وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان ... فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن اذا ما صرفت ... فلا عدل فيك ولا معرفه

« وألطف منه قول القائل »

ورقيع أراد أن يعرف النحـ ... ـو بزي الحمار لا المستفتي
قال لي لست تعرف النحو مثلي ... قلت سلني عنه أجب في الوقت
قال ما المبتدا وما الخبر المجـ ... ـرور أوجز فقلت ذقنك في استي

﴿ وأحسن منه وأبدع قول الشيخ زين الدين بن الوردي ﴾

وشادن يسألني ... ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا ... فقلت أنت القمر

﴿ ومن النكت المسبوكة في قالب التورية أيضا ﴾ ماقيل ان شهاب الدين

القوصي حضر عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الاشرف لشهاب الدين ماتقول فى سعد الدين الحكيم فقال يامولانا السلطان اذا كان بين يديك فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفى الخباء عن الضيوف سعد الاخبية وعند مرض المسلمين سعد الذابح قال فضحك الملك الاشرف واستحسن اتفاقه البديعى ﴿ وأبدع منه فى هذا الباب مانقل عن الشيخ نظام الدين قيس ﴾ قيل انه لقى الصاحب عز الدين عبد العزيز بن منصور فسأله الصاحب عن حاله فقال

حال متى علم ابن منصور بها　　　جاء الزمان الى منها تائبا

« قلت » ان نظام الدين أحق من أبى الطيب بهذا البيت ﴿ ومن النكت بالتورية أيضا ﴾ قيل ان بعض الماجنات أرادت السفر فلقيها بعض المجان فقال لها اخذى معك هذا الكتاب وأشار الى ذكره فقالت له على الفور ان لم ألق أمك أعطه أختك « ومثل ذلك » ان الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقى شخصا ومعه مليحان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال اخرج منهما فانا عبد الاثنين « ومثله » ان ابن نقيلة المغنى مرض وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له كيف حال النقيلية فقال ماأخوفنى أن تصير مدفونة « ومثله » أن بعض المجان رأى امرأة حاملة مرموجة فقال لها متى زوجك حملك تركاشه فقالت له رح لاأرميك منه بفردة « ومثله » أن بعضهم رأى امرأة حاملة فردة سقمان لتخيطه فقال لها اعتقى هذا الغراب فقالت له رح لاأسيبه ينقرك « ومثله » أن الشيخ بدر الدين المذكور أولا حضر الى مجلس قاضي القضاة ناصر الدين المالكى فذكروا محاسن القاضي محب الدين ناظر الجيشين وحسن أخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر فانشده قاضى القضاة

فكم أب قد علا بابن ذرى شرف　　　كما علت برسول الله عدنان

فكل من الجماعة اثنى على هذا البيت فقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين يحب هذا البيت فطربواله ﴿ ومما وقع له بذلك المجلس ﴾ انه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى السقيا مملوك له اسمه بكتمر فلما شرب الشيخ بدر الدين قال له قاضي القضاة ما تقول يا شيخ قال رايت ملك العلماء بكتمر الساقى « ومثله » أن الصاحب بن سكر أراد قارئا يقرأ بالمدرسة التى أنشأها بالقاهرة فاختار واله رجلين احدهما اسمه زيادة والآخر مرتضى فوقع فى ظهر القصة مرتضى زيادة وزيادة مرتضى « ومثله » ان أبا الحسن الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس فى الدخول ولم يؤذن له فكتب فى ورقة

الناس كلهم كالايرقد دخلوا	والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وقل يا خصى ادخل فدخل أبو الحسين وهو يقول هذا دليل على السعة ﴿ ومن التنكيت والحشمة بالتورية ﴾ أن الشيخ صلاح الدين الصفدى قال اخبرنى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بالقاهرة قال قلت للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ان بهاء الدين ابن النحاس يرجح أبا تمام على المتنبي فما رأيك أنت فسكت فقلت ثانيا فقال كنت كذا فى الاول قال الشيخ صلاح الدين ولما حكيت للشيخ جمال الدين بن نباتة قال انا على رأى ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين وممن رأيته يعظم أبا تمام شيخنا أثير الدين ويرجحه على المتنبي فعذلناه فى ذلك فقال أنا ما أسمع عذلا فى حبيب اه «ونقلت» من خط الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله قال سافرت سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قزوينة الى دمشق المحروسة وقد ولى نظر مملكتها ووالدى رحمه الله افتاءها وكان له دوادار يسمى صبيحا وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنام وكان لطيفا كثير النوادر فاتفق أن جمال الدين بن الرهاوى

موقع دست الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداس على رأس احليله فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ماسبب تأخرك فقال تقنطر بى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف «وحكى» أن بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وأبرزها فى قالب المجون ﴿ وأنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه ﴾

أصبحت ألطف من مر النسيم على ... زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتلى قدحا ... وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان فقال ياسيدى الشيخ فان كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمار اسكت ﴿ ويعجبنى قول برهان الدين القيراطى ﴾

صاح هذى قباب طيبة لاحت ... وفؤادى على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للمطايا ... فعيون المطى للنخل خوص

﴿ ويطربنى ما حكاه أبو الفوارس بن اسرائيل الدمشقى ﴾ قال كنت يوما عند السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر رسول صاحب المدينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ومعه قود وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الاحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا أحد من بنى أيوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يامولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان صلاح الدين ملكا حليما فتأملها فاذا عليها مكتوب

انا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتنى عناية القبر حتى صرت فى راحة ابن أيوب أقرى

واذاهى من خوص النخل الذى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقبلها السلطان صلاح الدين و وضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة النبوية صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة « وأحسن ماسمع فيها » قول عرقلة الدمشقى

ومحبوبة فى القيظ لم تخل من يد وفى القر تسلوها أكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصو رهيج عاشقا أتت بالهوا الممدود من كل جانب

وقال غيره وأجاد

ومروحة أهدت الى النفس روحها لدى القيظ مثبوتا باهداء ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها على ضعفه مستخرجا من صحيحها

« نقل الحافظ اليعمرى » أن أبا نصر المنازى واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبى العلاء المعرى فى جماعة من أهل الادب فانشد كل واحد منهم من شعره ماتيسر فانشده أبو نصر

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الوالدت على الفطيم
وأرشفنا على ظما زلالا ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها و يأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت أشعر من بالشأم ثم رحل أبو العلاء الى بغداد فدخل المنازى عليه فى جماعة من أهل الادب ببغداد وأبو العلاء لا يعرف منهم احدا فأنشد كل واحد ماحضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازى فأنشد

لقد عرض الحمام لنا بسجع اذا أصغى له ركب تلاحى

شجى قلب الخلى فقيل غنى ... وبرح بالشجى فقيل ناحا
وكم للشوق فى احشاء صب ... اذا اندملت أجدلهـا جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى ... وسكران الفؤاد وان تصاحى
لذاك بنو الهوى سكرى صحاة ... كاحداق المها مرضى صحاحا

« فقال أبو العلاء » ومن بالعراق عطفا على قوله ومن بالشأم انتهى « نادرة » مشى البيدق البيذ يدى مع شاب موسوم بالجمـال فقال له شمس الدين ابن المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزنت حول هذه النفس فقال واذا كان فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعـة ولو كان فى كفك الفيل « ومثله فى الظرف » أن بعض الاجناد كان كثير اللعب بالشطرنج وكان الجنـدى خليعا ظريفا فأعطاه الامير فى بعض الايام فرسا وقال له لا تفرط فيها فقال نعم وبعد ذلك التقاه الامير وهو لابس جوخة فقال ويلك أين الفرس فقال ياخوندضربنى الشتاء شاهمات فتسـترت بالفرس ﴿ ويعجبنى قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب ﴾

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة ... نهارا وليـلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق وتفـنى جميعها ... وبعد الفنا تحيا وتبعث أعظما

قلت ويشبه هذا قول الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صـلاح الدين من القصر من يعانى الخيال أعنى خيال الظل ليفرجه عليه فقام الفاضل عند الشروع فى عمله فقال له الناصر ان كان حراما فمـا نحضره وكان حديث العهد بخدمته قبل ان يلى السلطنة فمـا أراد أن يكدر عليه فقعد الى آخره فلمـا انقضى ذلك قال له الملك الناصر كيف رأيت ذلك قال رأيت موعظة عظيمة رأيت دولا تمضى ودولا تأتى ولـما طوى الازار اذا المحرك واحـد فأخرج ببلاغته هـذا الجد فى هـذا الهزل انتهى

﴿ وللشيخ بدر الدين بن الصاحب مضمنا فى الشطرنج ﴾

أميل لشطرنج اهل النهى ... وأسلوه من ناقل الباطل

وكم رمت تهذيب لعابها　　　وتأبى الطباع على الناقل

﴿ ويعجبنى قول الشيخ عز الدين الموصلى حيث قال ﴾

جاهل شطرنج ينادى وقد　　　أمات نفس اللعب من عكسه
ماتفعل الافعال فى جاهل　　　مايفعل الجاهل فى نفسه

﴿ وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة ﴾

أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت　　　فى شكله من معانى الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة　　　والخد فيه لقتل النفس شامات

﴿ نادرة لطيفة ﴾ حكى أن السراج الوراق جهز غلاماله يوماليبتاع له زيتاطيبا ليأكل به لفتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتاحارا فأنكر على الغلام ذلك وأخذه وجاء الى البياع وقال له لم تفعل مثل هذا فقال له والله ياسيدى مالى ذنب لانه قال أعطنى زيتا للسراج انتهى « ومثله » ماحكاه الصاحب فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى أنه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين وصنع له فتائل على العادة فقلت له يوما كيف الحال ياسراج الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فتائل «ورأيت له فى ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله »

ياذا السراج اشترى ايرى فأنت به　　　أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا　　　مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

﴿ نادرة لطيفة ﴾ اجتمع محدث ونصرانى فى سفينة فصب النصرانى من ركوة كانت معه فى مشربة وشرب وصب وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك هذا خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من خمار يهودى وحلف أنها خمر عتيق فشربها بالعجلة وقال للنصرانى أنت أحمق نحن أصحاب الحديث نروى عن الصحابة والتابعين أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها الا لضعف الاسناد

﴿ نادرة لطيفة ﴾ نظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم فى دعوة ذاهبون الى وليمة فقام وتبعهم فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد شعره واخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقال له أنشد شعرك فقال لست بشاعر قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فى حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وامر له بجائزة الشعراء ﴿ حكى الهيثم بن عدى ﴾ قال ماشيت الامام أبا حنيفة رضي الله عنه فى نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج انتهى ﴿ ومن غرائب المنقول ﴾ أن يحيي بن اسحق كان طبيبا حاذقا صانعا بيده وكان فى صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره « نقل عنه » من حذقه أنه أتي اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركوني وكلموا الوزير بخبرى فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم باحليلي منعني النوم منذ أيام وأنا فى الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل جاء معه احضر لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه الاحليل فلما تمكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب الاحليل ضربة غشي على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينيه ثم بال فى اثر ذلك فقال له اذهب فقد برات علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علفها لحجت فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا يدل على الحذق المفرط « ومثله » أن ابن جميع الاسرائيلي كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين

يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر « ومما نقل » عنه من حذقه انه كان جالسا فى دكان وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح ياأهل الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل ان تدفنوه حيا فقال بعضهم لبعض هذا الذى يقوله لا يضرنا و يتعين أن نمتحنه فان كان حيا فهو المراد وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شيء فاستدعوه اليهم وقالوا بين لنا ماقلت فأمرهم بالعود الى البيت وان ينزعوا أكفانه فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وسكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله فظهر فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال ابشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى ان أفاق وصاح فكان ذاك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل بعد ذلك ومن أين علمت ان فى ذلك الميت بقية روح وهو فى الاكفان محمول فقال نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست انه حى وكان حدسى صائبا

﴿ نادرة لطيفة ﴾ قيل ان المنصور بن أبى عامر الاندلسى كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع فاتفق انه فى بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل ابشر ياأمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت اعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من ابرك الغزوات « ومثل هذا » لما خرج المنصور العباسى الى قتال أبى يزيد الخارجى فى جماعة من الاولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده فأخذه بعض الاولياء فمسحه وقال

فالقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينا بالاياب المسافر

قال فضحك المنصور وقال لم لاقلت فألقى موسى عصاه فقال ياأمير المؤمنين العبد

تكلم بما عنده من اشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبي من كلام رب العالمين فكان الامر على ماذكره وأخذ الحصن وحصل الظفر بابي يزيد

﴿ وحكى ان الشيخ شهاب الدين بن محمود ﴾ قال عدت قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في دمشق بالمدرسة النجيبية سنة احدى وثمانين وستمائة فأنشدني لبعض أهل الادب في نقيب الاشراف بالمدائن رثاء خلب قلبي وهو يقول

قدقلت للرجل المولى غسله ... هلا أطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما ... اذرت عيون المجد عند بكائه
وازل أناوية الحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفا ألست تراهم بازائه
لاتوه أعناق الرجال بحمله ... يكفي الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي انه أحق الناس بهذا الرثاء وانه نعى نفسه فمات في ذلك الاسبوع برد الله مضجعه ﴿ نكتة لطيفة ﴾ قيل انه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله من الشام الى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول انه ما بقي من يجارى وقد خلت الدنيا وأنشد

مابال الصحاب أخو وجد نطارحه ... حديث نجد ولا خل نجاريه

فصاح من طراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال ياشيخ كم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصاراك ان تفهم ما يقول هلا قلت

مافي الصحاب وقدسارت حمولهم ... الا محب له في الركب محبوب
كانما يوسف في كل راحلة ... والحي في كل بيت منه يعقوب

فصاح السهروردى ونزل عن الكرسي وطلب الشاب فلم يجده « حكى » عن ابن المطرزى الشاعر انه مر وفي رجله نعل بالية بالشريف الرضي فأمر باحضاره وقال

أنشد نى أبياتك التى تقول فيها

اذا لم تبلغنى اليك ركائبى　　فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الى نعله البالية وقال هذه كانت ركائبك فأطرق ابن المطرزى ساعة ثم قال لما عادت هبات مولانا الشريف الى مثل قوله

وخذ النوم من جفونى فانى　　قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لانك خلعت مالا تملك على من لا يقبل فخجل الشريف وقابله بما يليق من الاكرام «قلت» واما الاجوبة الهاشمية و بلاغتها فهى فى المحل الارفع «فمن ذلك» انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد ابن عقبة وعقبة بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا ياأمير المؤمنين ابعث لنا الى الحسن بن على فقال لهم فيم فقالوا كى نوبخه و نعرفه ان أباه قتل عثمان فقال لهم انكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيأ الا كذبكم الناس ولا يقول لكم شيأ ببلاغته الا صدقه الناس فقالوا أرسل اليه فانا سنكفيك أمره فأرسل اليه معاوية فلما حضر قال ياحسن انى لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع مقالتهم وأجب ولا تحترمنى فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا ونسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل تعلم ياحسن ان أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله به ثم قام الوليد بن عقبة بن أبى معيط فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يابنى هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان يفضلكم و يقربكم ثم بغيتم عليه فقتلتموه ولقد أردنا ياحسن قتل أبيك فأنقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب ثم قام عقبة فقال تعلم ياحسن ان أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سبا لعلى وتعظيما لعثمان ﴿فقام الحسن عليه السلام﴾ فحمد الله وأثنى عليه وقال بك ابدأ يامعاوية لم يشتمنى هؤلاء ولكن أنت تشتمنى بغضا وعداوة

وخلافا لجدى صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال انشدكم الله أتعلمون ان الرجل الذى شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يامعاوية يومئذ كافر تشرك بالله وكان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء المشركين ثم قال انشدكم الله والاسلام أتعلمون ان معاوية كان يكتب الرسائل لجدى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد الرسول اليه ثلاث مرات كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاأشبع الله بطنه اما تعرف ذلك فى بطنك يامعاوية ثم قال وأنشدكم الله أتعلمون ان معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه هذا كله لك يامعاوية واما أنت ياعمر وتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الامهم حسبا وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت انى شانئ محمد فأنزل الله على نبيه ان شانئك هو الابتر ثم هجوت محمدا صلى الله عليه وسلم بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انى لاأحسن الشعر ولكن ألعن عمر و بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما علمت وعملت فأكذبك الله وردك خائبا فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والاسلام فلم ألمك على بغض واما أنت يا ابن أبي معيط فكيف ألومك على سبك لعلى وقد جلد ظهرك فى الخمر ثمانين سوطا وقتل أباك صبرا بامر جدى وقتله جدى بامر ربى ولما قدمه للقتل قال من للصبية يامحمد فقال لهم النار فلم يكن لكم عند النبي الا النار ولم يكن لكم عند على غير السيف والسوط واما أنت ياعتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لاقتلت الذى وجدته فى فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أمسكتها بعد ان بغت وأما انت ياأعور ثقيف ففى أى ثلاث تسب عليا أفى بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم فى حكم جائر أم فى رغبة فى الدنيا فان قلت شيأ من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت

وأ كذبك الناس واما وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها استمسكى فانى أريد أن أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوفك فكيف يشق على طيرانك وأنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم انكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى ﴿ ومن غريب النقل ﴾ ان شريك بن الاعور دخل على معاوية وهو يختال فى مشيته فقال له معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك ابن الاعور والصحيح خير من الاعور وانك لدميم والوسيم خير من الدميم فبم سودك قومك فقال له شريك والله انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال له معاوية أقسمت عليك الا ما خرجت عنى ﴿ نكتة لطيفة ﴾ اتفق ان الملك المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته يا مولانا ان القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة أن تصبر الى ان ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل عليه مملوك له من احسن الناس وجها فوقف امامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين بالله يا مولانا اركب فى هذه الساعة فهذا القمر قد حل فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها ﴿ ومن غرائب المنقول ﴾ ما حكى اسحاق النديم عن أبيه قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من الجمعة لا نبعث فيه بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت وقال هو يوم استثقله فاله فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت لاصلاح طعامى وشرابى وأمرت بوابى باغلاق الباب وان لا يأذن لاحد من الناس فبينما أنا فى مجلسى والحرم قد حففن بى اذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة بالفضة ورائح

الطيب تفوح منه فداخلني لدخوله علي مع ماقدمت من الوصية غيظ عظيم وهممت بطرد بوابي ومن يحجبني لاجله فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ في حديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن مابي فظننت ان غلماني قصدوا امسرتي بادخاله علي لظرفه وأدبه فقلت له هل لك في الطعام فقال لاحاجة لي به فقلت هل لك في الشراب فقال ذاك اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال ياأبا اسحق هل لك في ان تغني ونسمع منك مافقت به على العام والخاص قال فغاظني منه ذلك ثم سهلت الامر على نفسي وأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت ياابراهيم فازددت غيظا وقلت مارضي بما فعله حتى سماني باسمي ولم يحسن مخاطبتي ثم قال هل لك في ان تزيدنا ونكافئك قال فتذممت وأخذت العود فغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما فطرب وقال أحسنت ياسيدي ثم قال أتأذن لعبدك في الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله كيف سولت له نفسه ان يغني بحضرتي بعدما سمعه مني فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان عربي واندفع يغني

ولي كبد مقروحة من يبيعني	بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس لايشترونها	ومن يشترى ذاعلة بصحيح

فقال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الحيطان والابواب وكل مافي البيت يجيبه ويغني معه وبقيت مبهوتا لاأستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غنى ألا ياحمامات اللوى الابيات فكاد يذهب عقلي طربا ثم قال ياابراهيم خذ هذا الغناء وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فسألته ان يعيد ماغناه فقال لم تحتج الى شيء من ذلك ثم غاب من بين عيني فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم غدوت نحو الابواب وقلت للجواري أي شيء سمعتن فقلن سمعنا أحسن غناء فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال اي شيخ والله مادخل اليك اليوم أحد من

الناس فرجعت لا تأمل أمري فاذا به قد هتف من بعض جوانب الدار فقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وقد اخترت منادمتك في هذا اليوم فلا ترتع فركبت على الفور الى الرشيد وأتحفته بهذه الطرفة فقال ويحك اعتبر الاصوات التي أخذتها عنه فأخذت العود فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد وأمر لي بصلة وقال ليته أمتعنا يوما واحدا كما أمتعك قال أبو الفرج الاصبهاني هكذا حدثنا ابن أبي الازهر وما أدري ما أقول فيه ﴿ ويضارع هذا ما أورده ابن خلكان في ترجمة ابن دريد ﴾ قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد سقطت من منزلي فانكسر بعض أعضائي فسهرت ليلتي فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال أنشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد شيأ في هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت قال أبو ناجية من أهل الشأم وأنشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... بدت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا ... عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له أسأت قال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض وأبو ناجية من كنى ابليس قال قاضي القضاة شمس الدين محمد بن خلكان في تاريخه وفي رواية أخرى ان الشيخ أبا علي الفارسي قال أنشدني ابن دريد هذين البيتين وقال جاءني ابليس في المنام ثم ذكر بقية الكلام الخ ﴿ ونقل ابن خلكان وغيره ﴾ ان أبا بكر بن قريعة قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة عن جميع ما يسئل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع وكان مختصا بحضرة الوزير أبي محمد المهلبي ومنقطعا اليه وله مسائل وأجوبة مدونة في أيدي الناس وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء يداعبونه ويكتبون له المسائل

الغريبة المضحكة فيكتب الاجوبة من غير توقف ولا يكتب الا مطابقا لما سألوه وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يصنعون له المسائل الهزلية من معان شتى من النوادر « فمن ذلك » ما كتب اليه بعض الفضلاء على سبيل الامتحان مايقول القاضي أيده الله تعالى في رجل سمى ولده مداما وكناه أبا الندامى وسمى ابنته الراح وكناها أم الافراح وسمى عبده الشراب وكناه ابا الاطراب وسمى وليدته القهوة وكناها أم النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته « فكتب تحت السؤال » لو نعت هذا لابي حنيفة لاقعده خليفه وعقد له رايه وقاتل تحتها من خالف رايه ولو علمنا مكانه لقبلنا أركانه فان اتبع هذه الاسماء أفعالا وهذه الكنى استعمالا علمنا انه أحيا دولة المجون وأقام لواءابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن أسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال ﴿ وكتب اليه العباس الكاتب ﴾ مايقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية فولدت له ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فما يرى القاضي فيهما « فكتب تحت سؤاله بديها » هذا من أكبر الشهود على الملاعين اليهود فانهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم وأرى ان يناط رأس اليهودي برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض والسلام ﴿ نادرة لطيفة ﴾ لما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس قال لعيسى بن موسى الهادي أنت تعلم ان الخلافة صائرة اليك وأريد ان أسلم لك عمي وعمك عبد الله بن علي فخذه واقتله واياك ان تجبن في أمره ثم مضى المنصور الى الحج وكتب اليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب اليه قد أنفذت امر أمير المؤمنين وكان الامر بخلاف ذلك فلم يشك أبو جعفر انه قتله ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له ان المنصور دفع الى عمه وأمرني بقتله فقال له يريد ان يقتلك به فانه أمرك

بذلك سرا ويدعى به عليك علانية والرأى ان تستره فى منزلك ولا تطلع عليه أحدا فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه سرا أبدا ففعل ذلك وقدم المنصور فدس على عمومته من يحركهم ان يسألوا المنصور ان يهب لهم أخاهم عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فأجاب وقال نعم على بعيسى بن موسى فأتاه فقال يا عيسى كنت دفعت اليك عمى وعمك عبد الله قبل خروجى الى الحج وأمرتك ان يكون فى منزلك مكرما قال قد فعلت ذلك قال قد كلمنى فيه عمومتك فرأيت الصفح عنه فأتنى به قال يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله قال لا بل أمرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم وادعى انى أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادفعه الينا نقتله قال شأنكم فاخرجوه الى صحن الدار واجتمع الناس واشتهر الامر فقام أحدهم وشهر سيفه وتقدم الى عيسى ليضربه فقال عيسى لا تعجلوا فان عمى حى ردونى الى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال يا أمير المؤمنين انما أردت بقتله قتلى هذا عمك حى ان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته قال ائتنا به فأتى به فجعله فى بيت فسقط عليه فمات وكان المنصور قد وضع فى أساس البيت ملحا للماشرع فى عمارته وأعده لهذا المعنى ولما جلس فيه عمه أجرى الماء فى أساس البيت سرا بحيث لا يشعر به أحد فذاب الملح وسقط البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفى خدمته عباس ابن المتوفى وكان يباسطه فى كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه هل تعرف ثلاثة فى أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة فى أول أسمائهم عين قال لا أعرف الا ما تقول العامة يا أمير المؤمنين ان عليا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقط البيت على عم أمير المؤمنين قال فضحك المنصور وقال اذا سقط البيت على عمى فما ذنبى قال قلت مالك ذنب يا أمير المؤمنين وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التى تقدمت له مع السفاح وشرحها يطول انتهى ✽ ونقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان ما صورته ✽ نقلت من خط القاضى كمال الدين بن العديم

من مسودة تاريخه ان ابن الدقاق البلنسي الشاعر المشهور كان يسهر الليل و يشتغل بالادب وكان أبوه حدادا فقيرا فلامه وقال ياولدى نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم والادب وقال الشعر وعمل فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها

ياشمس خدر مالها مغرب ... و بدر تم قط لا يحجب

وقال منها

ناشدتك الله نسيم الصبا ... أين استقرت بعدنا زينب

لم تسر الا بشذا عرفها ... أولا فماذا النفس الطيب

فأطلق له ثلاثمائة دينار فجاء الى أبيه وهو جالس فى حانوته منكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذ هذه وابتع بها زيتا انتهى ﴿ وحكى عن عبد العزيز ابن الفضل ﴾ قال خرج القاضى أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطويه الى وليمة فأفضى بهم الطريق الى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق يورث سوء الادب فقال ابن داود ولكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه اذا استحكمت المودة بطلت التكاليف ﴿ وحكى عن شريح جد أبى العباس المشهور بالصلاح الوافر ﴾ انه كان أعجميا لا يعرف بلسان العرب شيأ فاتفق له انه رأى البارئ عز وجل فى النوم فحادثه وقال ياشريح طلبكن فقال ياخداى سار بسار وهذا لفظ أعجمى معناه بالعربى ياشريح اطلب فقال يارب رأسا برأس كما يقال رضيت ان أخلص رأسا برأس ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ انه كان بالعقبة ظاهر دمشق المحروسة خان تجمع فيه أسباب الملاذ و يتفق فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف فرفع ذلك الى أبى الفتح موسى بن أبى بكر العادل بن أيوب الملقب بالاشرف فهدمه وعمره جامعا وسماه الناس جامع التوبة كانه تاب الى الله وأناب مما كان فيه ﴿ وجرت فى خطابته

نكتة لطيفة ﴾ وهى انه كان بمدرسة الشام التى خارج البلد امام يعرف بالجمال قيل انه كان فى زمان صباه يلعب بشىء من الملاهى وهى التى تسمى الجفانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا فى الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور الى خطيب رشح جانبه للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما توفى تولى بعده العماد الواسطى الواعظ وكان متهما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن العادل أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن روتينة أبياتا وهى هذه

يامليكا أوضح الحق * لدينا وأبانه جامع التوبة قد * حملنى منه أمانه
قال قل للملك الصا * لح أعلى الله شانه ياعماد الدين يامن * حمد الناس زمانه
كم الى كم أنا فى بؤ * س وضر واهانه لى خطيب واسطى * يعشق الشرب ديانه
والذى قد كان من قبـ * ـل يغنى بجفانه فكما نحن ومازلـ * ـنا ولا أبرح حانه
* ردنى للنمط الاول واستبق زمانه *

﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ ان بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف الى عزة وقال انت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة ولكننى ام بكر قال أتروين قول كثير

وقد زعمت انى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

قالت لست أروى هذا ولكننى أروى قوله

كانى أنادى أو أكلم صخرة من الصم لو تمشى بها العصم زلت

ثم انحرف الى بثينة فقال أنت بثينة جميل قالت نعم ياأمير المؤمنين قال ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذى رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم قال فضحك حتى بدا له ضرس اسود ولم ير قبل ذلك وفضل بثينة على عزة فى الجائزة ثم أمرهما ان يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت لعزة اخبرينى عن قول

كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها قالت عاتكة وددت انك فعلت وأنا كنت تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة انتهى ﴿ و يعجبنى قول اسامة بن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره ﴾

انظر الى الايام كيف تسوقنا ... قسرا الى الاقرار بالاقدار

ماأوقد ابن طليب قط بداره ... نارا وكان حريقها بالنار

﴿ قلت ومما يناسب هذه الواقعة ﴾ ان الوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب بمصر كان له دار موصوفة بالحسن فاحترقت فعمل فيها نشو الملك المعروف بابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من نهاوش ... فعما قليل فى نهابر يعدم

وما هو الا كافر طال عمره ... فجاءته لما استبطأته جهنم

« قلت » وهذه اللطائف تضارع قصة أبى الحسين الجزار مع بعض أهل الادب بمصر وكان شيخا قد ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت فلما سمع أبو الحسين الجزار بذلك كتب اليه

أيها السيد الاديب دعاء ... من محب خال عن التنكيت

أنت شيخ وقد قربت من النا ... ر فكيف ادهنت بالكبريت

« قيل » ان ابا القاسم الزعفرانى مدح الصاحب بن عباد بقصيدة نونية وانتهى الى قوله منها

وحاشية الدار يمشون فى ... صنوف من الخز الا انا

فقال الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة الشيبانى ان رجلا قال له احملنى أيها

الامير فأمر له بناقة وفرس و بغل وحمار وجارية ثم قال لوعلمت ان الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا من الخز لاعطيناكه « وبلغ » حديثه من المذكور للعلاء بن أيوب فقال رحم الله ابن زائدة لو كان يعلم ان الغلام يركب لامر له به ولكنه كان عربيا خالصا لم يدنس بقاذورات الاعاجم انتهى « قيل » ان بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وكان جرير أفحل شعراء الاسلام فى الاربعة فالفخر قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

« والمديح قوله »

الستم خير من ركب المطايا ... وانداى العالمين بطون راح

« والهجاء قوله »

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

« والنسيب قوله »

ان العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله انسانا

« وقال أبو عبيدة » التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى ... فخارا فأخبرنى بما أنت فاخر

فقال له جرير بلبيك اللهم لبيك قال أبو عبيدة أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير و يعجبون منه « قيل » لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء ابن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وأنشده

يا أيها الرجل المرخى عمامته ... هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل عليه ولم يذكر له شيأ من أمرهم ثم مر بهم عدى بن ارطاة فقال جرير أبياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة ... قد طال مكثى عن أهلى وأوطانى

قال فدخل عدى على عمر فقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك يا عدى مالى وللشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك فى رسول الله عليه الصلاة والسلام اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة فقطع بها لسانه قال أوتروى من قوله شيأ قال نعم قوله

رأيتك ياخير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما أصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان أمرا مدلسا ... وأطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عنى النبى محمدا ... وكل امرئ يجزى بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ... وكان قديما ركنه قد تهدما

فقال عمر ويلك ياعدى من بالباب منهم قال عمر بن أبى ربيعة قال أليس هو الذى يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا ... طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم انها بعد قالت ... ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل والله على أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أوليس الذى يقول

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز اقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا ... احى فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله فمن بالباب سواه قال الاخطل قال ياعدى هو الذى يقول

ولست بصائم رمضـان طوعا ... ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسـا بكورا ... الى بطحاء مـكة للنجاح
ولست بزائر بيتـا عتيقـا ... بمكة ابتغى فيه صـلاحى
ولست بقـائم بالليـل ادعو ... قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكـنى سأشربهـا شمولا ... واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر ابدا فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاخوص قال اليس الذى يقول

الله بينى وبين سيدها ... يفر منى بها واتبعه

فـاهو بدون من ذكرت فمن هنا ايضا قال جميل بن معمر قال أليس هو الذى يقول

الا ليتنا نحيا جميعا وان أمت ... يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لـكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل سوى من ذكرت احد قال جرير قال اما هو الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهو الذى يدخـل فلـما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل الاحقا فأنشده قصيدته الرائية المشهورة التى منها

وانا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخـلافة اوكانت له قـدرا ... كما أتى ربه موسى على قـدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخـير مادمت حيا لا يفارقنا ... بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال ياجرير ما أرى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنـين انى ابن سبيل ومنقطع فقال له ويحك ياجرير قـد ولينا هـذا الامر ولا نملك الا ثلاثمـائة درهم فمـائة أخـذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله ياغلام أعطه المـائة الباقية قال فأخـذها

جرير وقال والله لهى أحب الى مما كتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك. فقال مايسوء كم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء و يمنع الشعراء وانى عليه لراض وأنشد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

﴿ ومن لطائف الظرف ﴾ ماحدث ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل أنت مساعدى فقلت جعلت فداءك انا اسعد بمساعدتك وامر بمحادثتك قال فبكر الى بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرنى للميعاد فصلينا ثم افضينا الى الحديث وقدم الطعام فأكلنا فلما غسلنا ايدينا خلعت علينا ثياب المنادمة ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستائر ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال اذا اتى عبد الملك فائذن له يعنى قهرمانا له فاتفق ان جاء عبد الملك بن صالح الهاشمى شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع من منادمة امير المؤمنين على امر جليل وكان الرشيد قد اجتهد ان يشرب معه قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط فى ايدينا وعلمنا ان الحاجب قد غلط بينه و بين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ثم قام اجلالا له فلما نظر الى تلك الحال دعا غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته ثم قال اصنعوا بنا ماصنعتم بأنفسكم قال فجاء اليه الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودعى بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عنى فانه شئ ماشربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت اليه فقال جعلت فداءك بالغت فى الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها قدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها مكافأة لما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين على غضبا فتسأله الرضا عنى فقال له جعفر قد رضى امير المؤمنين عنك ثم قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال هى لك حاضرة من مالى ومن مال امير المؤمنين مثلها ثم قال وابنى ابراهيم احب ان

أشدظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قدزوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال وأحب ان تخفق على رأسه الالوية قال قدولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبدالملك بن صالح قال ابراهيم بن المهدى فبقيت متحيرا متعجبا من اقدام جعفر على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت عسى ان يجيبه فيما سأل من الرضا والمال والولاية ولكن من أطلق لجعفر أو لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لارى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا بأبي يوسف القاضي وابراهيم بن عبدالملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية بين يديه وحملت البدر الى منزل عبدالملك وخرج جعفر فأشار الينا فقال تعلقت قلوبكم بحديث عبدالملك فأحببتم علم آخره لما دخلت على امير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبدالملك وكان متكئا فاستوى جالسا وقال ايه ولله أبوك فقلت سألنى فى رضا أمير المؤمنين قال فبم أجبته قلت قد رضي امير المؤمنين عنك قال قد رضيت ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين عنك قال قد قضيت قلت وذكر انه راغب فى أن يشدظهر ولده ابراهيم بصهر منك قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد امضيت ذلك ثم ماذا الله أبوك قلت وذكر انه يشتهى ان تخفق على رأس ولده ابراهيم الالوية قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته فأحضر ابراهيم والقضاة والفقهاء وأتم له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أيهم أكرم وأعجب اما ابتداء عبدالملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولباسه ماليس من لبسه من ثياب المنادمة أم اقدام جعفر على الرشيد بما اقدم أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ ماحكى عن أبى معشر البلخى المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة فى علم النجوم

قيل انه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذاك الملك طلب رجلا من اتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم ان أبامعشر يدل عليه بالطريقة التي يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيأ حتى لا يهتدي اليه و يبعد عنه حديثه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلبه الملك و بالغ في الطلب فلما عجز عنه أحضر أبامعشر وطلب اظهاره فعمل المسئلة التي يستخرج بها وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ماسبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيأ عجيبا فقال وماهو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له أعد نظرك ففعل ثم قال ماأرى الاماذكرت وهذا شيء ماوقع لي مثله فلما أيس الملك من تحصيله نادى في البلد بالامان للرجل ولمن اخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمد عليه فأعجبه حسن احتياله في اخفاء نفسه ولطافة أبي معشر المنجم في استخراجه وله غير ذلك من الاصابات ﴿ قال قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ﴾ ومما يناسب هذا من فطن المتطببين ماروراه الحسين بن ادريس الحلواني قال سمعت الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه يقول ماأفلح سمين قط الا ان يكون محمد بن الحسن قيل له ولم ذلك قال لانه لا يعدو العاقل احدى خلتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده أولدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد ثم قال وكان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع الحكماء وقال احتالوا الى بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلا قال فماقدر واله على شيء فجاءه رجل عاقل لبيب متطبب فقال عالجني ولك الغنى قال أصلح الله الملك انا طبيب منجم دعني حتى انظر الليلة في طالعك لارى أي دواء يوافقه فلما أصبح قال أيها الملك الامان فلما امنه قال رأيت طالعك يدل على انه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك وان أردت

بيان ذلك فاحبسني عندك فان كان لقولي حقيقة نخل عني والا فاقتص مني قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد هما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما فبعث اليه وأخرجه فقال ماترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من ان أعلم الغيب والله انى لم أعلم عمرى فكيف أعلم عمرك ولكن لم يكن عندى دواء الا الغم فلم أقدر أجلب اليك الغم الا بهذه الحيلة فان الغم يذيب الشحم فاجازه على ذلك وأحسن اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم ﴿ قلت ويعجبني قول جعفر بن شمس الخلافة في هذا المعنى ﴾

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها وأسى يبشر بالسرور العاجل

واذا رأيت فان بؤسا عاجلا للمرء خير من نعيم زائل

﴿ ويعجبني قوله وان كان في غير ما نحن فيه ﴾

مدحتك السنة الانام مخافة وتشاهدت لك بالثناء الاحسن

اترى الزمان مؤخرا في مدتي حتى أعيش الى انطلاق الالسن

﴿ نادرة لطيفة ﴾ نقل عن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان الجنيد قال ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها قيل له وما هي قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار وتقول هذه الابيات

اذا قلت اهدى الهجر لي حلل الاسى تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

وان قلت ما أذنبت قالت مجيبة حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت وصحت فبينما أنا كذلك اذ خرج صاحب الدار فقال ما هذا يا سيدى فقلت له مما سمعت فقال انها هبة مني اليك فقلت قد قبلت وهي حرة لوجه الله تعالى ثم دفعها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت منه ولدا نبيلا حج على قدميه ثلاثين حجة ﴿ وذكر قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في ترجمة أبي علي الفارسي ﴾ انه

كان يوما يساير عضد الدولة بن بويه فى ميدان سيران فقال له لما تنتصب المستثنى فى قولنا قام القوم الا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر تقديره استثنى زيدا فقال له عضد الدولة هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع و قال هذا الجواب ميدانى ثم انه لما رجع الى منزله وضع فى ذلك كلاما حسنا وحمله اليه فاستحسنه ﴿ وحكى أبو القاسم أحمد الاندلسى ﴾ قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبى على الفارسى وأنا حاضر فقال انى لاغبطكم على قول الشعر فان خاطرى لا يوافقنى الى ذلك مع تحقيق العلوم التى هى من معاده فقال له رجل فما قلت قط شيأ منه قال ما أعلم ان لى شعرا غير ثلاثة أبيات فى الشيب وهى قولى

خضبت الشيب لما كان عيبا ... وخضب الشيء أولى ان يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خلى ... ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما ... فصيرت الخضاب له عقابا

﴿ ومن لطائف المنقول ان ابا محمد الوزير المهلبى ﴾ كان فى غاية من الادب والمحبة لاهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه فى شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقى فى سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش مالا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى ... يخلصنى من العيش الكريه
اذا أبصرت قبرا من بعيد ... وددت لو اننى فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه

وكان له رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفى وقيل أبو الحسن العسقلانى فلما سمع الابيات اشترى له لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت الاحوال وولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاق الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم فى

السفر و بلغه و زارة المهلبي فقصده و كتب اليه

ألا قل للوزير فدته نفسي   مقال مذكرما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضيق عيش   ألا موت يباع فاشتريه

« فلما » وقف عليها تذكر الحال وهزته اريحية الكرم فأمر له بسبعمائة درهم و وقع له في رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق منه انتهى « وذكر الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص » مامثاله قال حماد الراوية كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته وكان أخوه هشام يجفوني لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لاأخرج الا لمن أثق به من اخواني سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرني في السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة في الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا علي وقالا ياحماد أجب الامير يوسف بن عمر الثقفي وكان واليا على العراق فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف ثم قلت لهما تدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما فقالا مالى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما ثم صرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد على السلام و رمى الي بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فاذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في اثنتي عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك فسلمت عليه فرد على السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط فقال كيف أنت وكيف حالك فقلت

بخير يا امير المؤمنين فقال أتدرى فيم بعثت اليك فقلت لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال

ودعوا الصبوح يوما فجاءت   قينة فى يمينها ابريق

فقلت يقوله عدى بن زيد العبادى فى قصيدة قال أنشدنيها فانشدته

بكر العاذلون فى وضح الصبح   يقولون لى اما تستفيق
و يلومون فيك يا ابنة عبد الله   والقلب عندكم موثوق
لست أدرى اذا اكثر العذل   فيها أعذول يلومنى أم صديق

﴿ قال حماد فانتهيت فيها الى قوله ﴾

ودعوا الصبوح يوما فجاءت   قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك   صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما   مزجت لذ طعمها من يذوق

قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا حماد سل حاجتك قلت احدى الجاريتين قال هما جميعا لك بما عليهما وما لهما فأقام عنده مدة ثم وصله بمائة ألف درهم قلت انظر ايها المتأمل الى نفاق رخيص الادب فى ذلك العصر وكساد غاليه فى هذا العصر و بشهادة الله ان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من بغداد الى دمشق فى اثنتى عشرة ليلة وأجيز عليه بالجاريتين والمائة ألف درهم تأنف نفسى ان أضعه فى قصيدة من قصائدى لرخصه وسفالته وهو

ودعوا الصبوح يوما فجاءت   قينة فى يمينها ابريق

« وكنت أود » أن أكون فى ذلك العصر و يسمع هشام بن عبد الملك قولى فى هذا الباب من قصيدة قلتها

فى ليلة رقم البدر المنير لها   طارا به لعصا الجوزاء نقرات
و بات لى من لماها اذ تبسم لى   تحت الضفائر صبحات وغبقات

والراح دق على فهمى تصورها ... لـكن لها ضاع فى الـكاسات نفحات
كانت علامة تحقيق وقال فى ... هى المنازل لى فيها عـلامات
مذ انشأ تناسجعنا فى محاسنها ... مغردين وللانشاء سـجعات
هذا وأفواه كاساتى قد ابتسمت ... وما زجتهـا ثغـور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الهم ماسكنت ... فللحباب على التسكين جزمات

« قال ثعلب » ماأحد من الشعراء تـكلم فى الليل الطويل الاقارب ولـكن خالد الـكاتب أبدع فيه فقال

رقدت فلم ترث للساهر ... وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقا ... دماصنع الدمع بالناظر

وقال بعض من كان يحضر مجلس المبرد كنا نختلف اليه فاذا كان آخر المجلس املى علينا من طرف الاخبار وملح الاشعار ماترتاح الى حفظه فأنشـدنا يوما مرثية زياد الاعجم فى المغيرة بن المهلب التى منها

فاذا مررت بقـبره فاعقر له ... كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقـد يكون أخا دم وذبائح

قال فخرجت من عنده وأنا أديرها فى لسانى لاحفظها فاذا بشيخ قد خرج من خربة وفى يده حجر فهم أن يرمينى به فتترست بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمنى فقلت اللهم لا ولـكنى كنت عند استاذنا أبى العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الاعجم فى المغيرة بن المهلب فقال ايه ايه أنشدنى ماأنشدكم باردكم لامبردكم فأنشدته فقال والله ماجود الراثى ولا أنصف المرثى ولاأحسن الراوى قلت فـما عسـاه أن يقول قال كان يقول

احمـلانى ان لم يكن لـكماعقـ ... ـر الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا ... ن دمى من نداه لو تعلمـان

« قال » فقلت هل رأيت احدا واسى احدا بنفسه قال نعم هذا الفتى الفتح بن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركنى وتولى فلما عدت الى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان انتهى قيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه و رق جلده وقوى به الوسواس و رؤى ببغداد والصبيان يتبعونه فأسند ظهره الى قصر المعتصم والصبيان يصيحون به يابارد فقال كيف أكون باردا وأنا الذى أقول

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته ... وكم مثله من مسعد ومعين

و رقت دموع العين حتى كانها ... دموع دموعى لا دموع جفونى

﴿ وحدث أبو الحسن على بن مقلة ﴾ قال حدثنى أبى عن عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وأنا على باب دارى بسر من رأى والصبيان حوله يلعبون به فجاءنى لما رآنى وسألنى صرفهم عنه فصرفتهم وأدخلته دارى وقلت له ما تشتهى تأكل قال الهريسة فتقدمت باصلاحها له فلما أكل قلت أى شئ تحب بعد هذا قال رطب فأمرت باحضاره فأكل فلما فرغ من أكله قلت له أنشدنى من شعرك فأنشدنى

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعى ... كانك بعد الضر خال من النفع

فان كنت مطبوعا على الصد والجفا ... فمن أين لى صبر فاجعله طبعى

لئن كان أضحى فوق خديك روضة ... فان على خدى غديرا من الدمع

فقلت زدنى فقال لا يساوى هريسك و رطبك غير هذا ﴿ ومن المروى عنه ﴾ قال بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالدا الكاتب فقال من أين قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى أنشدكم اليوم قلت أنشدنى

أعار الغيث نائله ... اذا ما ماؤه نفدا

وان أسد شكا جبنا ... أعار فؤاده الاسدا

« فقال » أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم انه اذا أعار الغيث نائله

بقى بلانائل واذا اعار الاسد فؤاده بقى بلا فؤاد فقلت فكيف كان يقول فأنشد

علم الغيث الندى من يده مذ دعاه علم البأس الاسد

فاذا الغيث مقر بالندى واذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبتهما وانصرفت ﴿ نادرة لطيفة ﴾ دخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لى كلبا قال فغضب وقال أقول لك سل حاجتك تقول هب لى كلبا فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لى أولك فقال بل لك فقال انى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هبنى خرجت للصيد أ أعدو على رجلى فأمر له بدابة فقال يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هبنى صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين فهؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار فقال يا أمير المؤمنين قد صيرت فى عنقى عيالا فمن أين لى ما يقوت هؤلاء قال المهدى أعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لى ان أقبل يدك انتهى وحكى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامير المؤمنين ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك فقال يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت يا هشام كيف أنت فقال له طاوس اما خلع نعلى بحاشية بساطك فانى أخلعهما بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب على وأما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك فخفت ان أكون كاذبا وأما قولك لم تكننى فان الله عز وجل

سمى أنبياءه فقال ياداود يايحيى ياعيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب واما ويلك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول اذا أردت ان تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظني فقال له اني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج انتهى

﴿ نادرة لطيفة ﴾ مروية عن أبي عمرو عامر الشعبي ولكن يتعين ان نبدأ بشيء من ترجمته أولا قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام والشعبي بالكوفة ويقال انه أدرك خمسمائة من الصحابة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والنادرة الموعود بذكرها ﴾ هي ماحكى الشعبي قال أنفذني عبد الملك بن مروان الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة فحبسني عنده أياما كثيرة فلما أردت الانصراف قال أمن بيت المملكة أنت فقلت لا ولكني من العرب فدفع الى رقعة وقال اذا أديت الرسائل الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما وصلت الباب أريد الخروج تذكرت الرقعة فرجعت فأوصلتها اليه فقال لي هل قال لك شيأ قبل ان يدفعها اليك قلت نعم قال لي أنت من أهل بيت المملكة قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما بلغت الباب طلبني فرددت فلما مثلت بين يديه قال أتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره قلت يا أمير المؤمنين لو علمت ما فيها ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك فأراد ان يغريني بقتلك انتهى «وقيل» كان الشعبي ضئيلا نحيلا فقيل له في ذلك فقال زوحمت في الرحم وكان قد ولد هو وأخ آخر وأقام في البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف

« و يقال » ان الحجاج قال له يوما كم عطاك فى السنة فقال ألفين فقال له و يحك كم عطاؤك قال ألفان فقال و يحك كيف لحنت أولا فقال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت وما يحسن ان يلحن الامير وأعرب فاستحسن ذلك منه وأجازه

﴿ نادرة بديعة غريبة ﴾ منقولة عن سديد الملك أبى الحسن على بن منقذ صاحب قلعة شيرز وكان سديد الملك المذكور مقصودا من البلاد ممدوحا مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجى وغيرهما وله شعر جيد أيضا ومنه قوله وقد غضب على مملوكه فضربه

اسطو عليه وقلبى لو تمكن من كفى غاهما غيظا الى عنقى
وأستعين اذا عاقبته حنقا وأين ذل الهوى من عزة الحنق

﴿ وكان موصوفا بقوة الفطنة ﴾ و يحكى عنه فى ذلك حكاية عجيبة وهى انه كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة شيرز وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح ابن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشأم وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود صاحب حلب الى كاتبه ابى نصر محمد بن الحسين بن على النحاس الحلبى ان يكتب الى سديد الملك كتابا يتشوقه فيه و يستعطفه و يستدعيه الى حلب ففهم الكاتب انه يقصد له شرا اذا جاء اليه وكان الكاتب صديقا الى سديد الملك فكتب الكاتب كما أمره مخدومه الى ان بلغ الى آخره وهو ان شاء الله فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك فعرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه استجسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وايثاره لقربه فقال سديد الملك انى أرى ما لا ترون فى الكتاب ثم أجاب عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب فى جملة فصول الكتاب انا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من انا وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود وقف عليه سر بما فيه وقال

لا صدقائه قد علمت ان الذى كتبته لا يخفى على مثله وقد أجاب بما طيب قلبى عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأجاب سديد الملك بقوله انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها وكانت هذه الحكاية معدودة من شدة تيقظه وفهمه انتهى ﴿ وحكى الصابى فى كتاب الاعيان والامثال ﴾ ان رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتابا من الوزير أبى الحسن على بن الفرات وزير المقتدر بالله العباس الى ابن زيتون المارداني عامل مصر يتضمن المبالغة فى الوصايا وزيادة الاكرام وعمل المصالح فلما دخل مصر اجتمع بابن زيتون ودفع اليه الكتاب فلما اقرأ ابن زيتون الكتاب ارتاب فى أمره لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعده به ثم كتب الى أبى الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الذى ورد عليه وأنفذه بعينه فلما وقف عليه ابن الفرات عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وماله من الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وعجب اليهم منها وقال لهم ما الرأى فى مثل هذا الرجل فقال بعضهم تأديبه وقال بعضهم قطع ابهامه وقال أجلهم محضرا يكشف لابن زيتون أمره ويرسم له بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم من الخير رجل توسل بنا وحمل المشقة الى مصر وأمل الخير بجاهنا والانتساب الينا يكون حاله عند أحسنكم نظرا تكذيب ظنه وتخييب سعيه والله لا كان هذا أبدا ثم أخذ القلم ووقع على الكتاب المزور هذا كتابى ولست اعلم لم انكرت أمره واعترضتك فيه شبهة وليس كل من يخدمنا نعرفه وهذا رجل خدمنى أيام نكبتى فاحسن تفقده ورفده وصرفه فيما يعود نفعه عليه ثم رد الكتاب الى ابن زيتون من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة اذ دخل على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة فاقبل يدعوله ويثنى عليه ويبكى ويقبل يديه والارض فقال له ابن الفرات من أنت بارك الله فيك

قال صاحب الكتاب المزورالى ابن زيتون الذى صححه كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم وصل اليك منه قال أوصل الى من ماله ومن قسط قسطه على عماله عشرين ألف دينار فقال الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه انتهى والحمد لله على ذلك ﴿ ذكر الحصرى فى كتابه المسمى بالدر المصون فى سر الهوى المكنون ﴾ ان الجاحظ ذكر للواثق لتأديب بعض أولاده فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه قال الجاحظ فخرجت من عنده فرأيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض على الانحدار معه فانحدرت ونصبت ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة تغنى

كل يوم قطيعة وعتاب   ينقضى دهرنا ونحن غضاب

ليت شعرى أنا خصصت بهذا   دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر طنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا   ماان أرى لهم معينا

كم يهجرون ويصرمو   ن ويقطعون فيصبرونا

فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة وبدت كانها فلقة بدر ثم رمت بنفسها فى الماء قال وكان على رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وفى يده مذبة فالقى المذبة من يده لما رأى ماصنعت الجارية ثم اتى الى الموضع ونظر اليها وأنشد

أنت التى غرقتنى   بعد القضا لو تعلمينا

ورمى بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال ياعمرو ان لم تحدثنى حديثا يسلينى عنهما ألحقتك بهما قال الجاحظ فحضرنى خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد يوما للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت قصة فيها مكتوب ان رأى أمير المؤمنين اعزه الله ان يخرج الى جاريته فلانة حتى

تغنيني ثلاثة اصوات فعل ان شاء الله تعالى فاغتاظ سليمان لذلك وأمر من ياتيه برأسه ثم أردفه رسولا آخر ان يدخل به اليه فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالقعود حتى لم يبق أحد من بنى أمية الا خرج أمر بالجارية فاخرجت ومعها عود فقال لها غنى ما يقول لك فقال الفتى غنى

تألق البرق نجديا فقلت له　　　يا أيها البرق انى عنك مشغول

فغنته فقال لسليمان أتامر لى برطل فاتى به فشرب به ثم قال لها غنى

حبذا رجعها الينا يداها　　　في يدى درعها تحل الازارا

فغنته فقال لسليمان أتامر لى برطل فاتى به فشرب به ثم قال غنى

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل　　　وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

فغنته فقال لسليمان تامر لى برطل فما استتم شربه حتى صعد على الفور على قبة لسليمان فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق ظن انى أخرج اليه جاريتى وأردها الى ملكى ياغلمان خذوا بيد هذه الجارية وانطلقوا بها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه فلما انطلقوا بها نظرت الى حفيرة فى دار سليمان اتخذت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت

من مات عشقا فليمت هكذا　　　لا خير فى عشق بلا موت

فزجت بنفسها فى الحفيرة فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى انتهى « وكتب » أبو منصور أفتكين التركى متولى دمشق الى عضد الدولة بن بويه كتابا مضمونه ان الشأم قد صفا وصار فى يدى وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتنى بالاموال والرجال والعدد حاربت القوم فى مستقرهم فكتب اليه عضد الدولة فى جوابه هذه الكلمات وهى متشابهة فى الخط لا تعرف الا بعد النقط والضبط وهى غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا قال القاضى شمس الدين ابن خلكان تغمده الله برحمته لقد أبدع غاية الابداع « قلت » وأبدع منه قول

السلامى فيه من قصيدته التى منها

اليك طوى عرض البسيطة جاعل قصار المطايا ان يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى ثلاثة أشياء كما اجتمع النشر

و بشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا و يوم هو الدهر

قال ابن خلكان هـذا على الحقيقة هو السحر الحلال كما يقال وقد أخذ هـذا المعنى القاضى أبو بكر الارجانى فقال

ياسائلى عنه لما جئت أمدحه هذا هو الرجل العارى من العار

لقيته فرأيت الناس فى رجل والدهر فى ساعة والارض فى دار

ولكن أين الثريا من الثرى وألم أبو الطيب المتنبى أيضا بهـذا المعنى لكنه ما استوفى بقوله

هو الغرض الاقصى و رؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

ولكن ليس لاحـد منهما طلاوة بيت السـلامى انتهى ﴿ نادرة لطيفة ﴾ كان أبو بكر المحلى يتولى نفقات أبى المسك كافور الاخشيدى وكان له فى كل عيـد أضحى عادة وهو ان يسلم الى أبى بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حـد القرافة الى الجبانة وما بينهما قال أبو بكر المذكور وكان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشاء الاخيرة الى آخر الليل حتى أسلم ذلك الى من تضمنت اسمه الجريدة فاطرق منزل كل انسـان ما بين رجل وامرأة وأقول الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى يهنئك بالعيد و يقول لك اصرف هـذا فى منفعتك فادفع اليه ما جعـل له وفى آخر وقت زاد فى الجريدة الشيخ أبا عبـد الله بن جابار وجعل له فى ذلك العيد مائة دينار فطفت فى تلك الليلة وأنفقت المـال فى أربابه ولم يبق الا الصرة فجعلتها فى كمى وسرت مع النقيب حتى اتينا منزله بظاهر القرافة فطرقت الباب فنزل الينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت

عليه فلم يردعلى وقال ماحاجتك قات الاستاذأبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام فقال والى بلد ناقات نعم قال حفظه الله الله يعلم انى أدعوله فى الخلوات وادبار الصلوات عما الله سامعه ومستجيبه قلت وقد أنفذ معى نفقة وهى هذه الصرة ويسألك قبولها لتصرف فى مؤنة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحبه فى الله تعالى ومانفسد هذه المحبة بعلة فراجعته القول فتبين لى الضجر فى وجهه والقلق واستحيت من الله أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت قال فجئت فوجدت الامير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرنى فلما رآنى قال ايه يا ابا بكر قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك فى هذه الليلة وفى هذا اليوم الشريف فقال الحمد لله الذى جعلنى لا يصال الراحة الى عباده ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو جدير لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لى عد اليه واركب دابة من دواب النوبة واطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له مافى السموات ومافى الارض ومابينهما وماتحت الثرى يا ابن جابار الاستاذ كافور يقول لك ومن كافور العبد الاسود ومن هو مولاه ومن الخلق ليس لاحد مع الله ملك ولا شركة تلاشى الناس كلهم هاهنا أتدرى من هو معطيك وعلى من رددت انت ماسالت وانما هو أرسل لك يا ابن جابار أنت ماتفرق بين السبب والمسبب « قال أبو بكر » فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل الى فقال لى مثل لفظ كافور فاضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ماقال لى كافور فبكى وقال لى أين ماحملت فأخرجت الصرة فاخذها وقال علمنا الاستاذ كيف التصوف قلت له أحسن الله جزاءك ثم عدت اليه فاخبرته بذلك فسر وسجد شكر الله تعالى وقال الحمد لله على ذلك ﴿ ونقل ابن خلكان فى تاريخه ﴾ ان أباعبد الله محمد بن الاعرابى كان يزعم ان الاصمعى

وأباعبيدة لايحسنان شيأ وكان يقول جائز فى كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذا فى موضع هذا و ينشد

الى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لى غائض

و يقول هكذا سمعته بالضاد ﴿ ومن النوادر اللطيفة ﴾ و رد أبو نصر الفارابى الى دمشق على سيف الدولة بن حمدان وهو اذذاك سلطانها قيل انه لما دخل عليه وهو بزى الاتراك وكان ذلك زيه دائما وقف فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث أنا أوحيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة و زاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الادب وانى مسائله عن أشياء ان لم يعرفها أخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل و بقى يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون مايقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك فى أن تأكل قال لا قال فهل لك أن تشرب قال لا فقال هل تسمع قال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر فى الصنعة بانواع الملاهى فخطأ الجميع فقال له سيف الدولة هل تحسن هذه الصنعة قال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها فاخرج منها عيدانا و ركبها ثم لعب بها فضحك كل من فى المجلس ثم فكها و ركبها تركيبا آخر فبكى كل من فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج وهو الذى وضع القانون وكان منفردا بنفسه لايجالس الناس وكان مدة اقامته بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع المياه أومشتبك الرياض وهناك يؤلف كتبه وكان أزهد الناس فى الدنيا لايحتفل بامر مسكن ولا مكسب وسأله سيف الدولة فى مرتب من بيت المال

فقال يكفيني أربعة دراهم ولم يزل على ذلك الى ان توفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن ظاهر دمشق خارج الباب الصغير ﴿ ومن المنقول من خط القاضي الفاضل ﴾ ان نور الدين الشهيد كتب الى راشد الدين سنان صاحب القلاع الاسمعيلية كتابا يهدده فيه فشق ذلك على سنان فكتب اليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو

ياذا الذى بقراع السيف هددنا	لاقام مصرع قلب كنت تصرعه
قام الحمام الى البازى يهدده	واستصرخت باسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الافعى باصبعه	يكفيه ماذا تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن الفيل و بعوضة تعد فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم فما كان لهم من ناصرين أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون واما ماصدر من قولك فتلك أمانى كاذبه وخيالات غير صائبه فان الجواهر لاتزول بالاعراض كما ان الارواح لاتضمحل بالامراض فان عدنا الى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ماأوذى نبى ماأوذيت ولقد علمتم ماجرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ماحال والامر مازال ولله الحمد فى الآخرة والاولى اذ نحن مظلومون لاظالمون ومغصبون لاغاصبون واذا جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويستقربون به الى حياض الموت قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وفى أمثال العامة أوللبط تهددون بالشط فهيئ للبلاء جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا وانك لكالباحث على حتفه بظلفه أوالجادع أنفه بكفه وماذلك على الله بعزيز ﴿ ومن غرائب الظرف ماحكاه ابن خلكان فى تاريخه ﴾ قال حدثنى من اثق به ان

شخصا قال له رأيت فى تأليف أبى العلاء المعرى ما صورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم الى منزلنا الخالى لكى يحدث لى انسك يازين الاخلاء فما مثلك من غير عهدا أو غفل وسأله من أى الابحر وهل هو بيت واحد أم أكثر فان كان أكثر فهل أبياته على روى واحد أو مختلفة الروى قال فافكر فيه ثم أجابه بجواب حسن قال ابن خلكان فقلت للقائل اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله فاجاب القاضى شمس الدين بن خلكان بعد حسن النظر بما أجاب به عنه الرجل وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات فى روى اللام وهى على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولا بد من الاتيان بها لتظهر صورة ذلك وهى

أصلحك الله وأبقا	ك لقد كان من ال
واجب ان تأتينا ال	يوم الى منزلنا ال
خالى لكى يحدث لى	انسك يازين الاخل
لاء فما مثلك من	غير عهدا أو غفل

قلت وعلى ذكر أبى العلاء الضرير يعجبنى قول مظفر بن جماعة الضرير

قالوا عشقت وانت أعمى	ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها	وتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك فى المنا	م فما أطاف ولا ألما
من أين ارسل للفؤا	دوانت لم تنظر هسهما
ومتى رأيت جماله	حتى كساك هواه سقما

وبأى جارحة وصلت لوصفه نثرا ونظما

فاجبت انى موسوى العشق انصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما ع ولا أرى ذات المسمى

﴿ و يعجبنى أيضا قول ضرير آخر ﴾

وغادة قالت لاترابها ياقوم ما أعجب من هذا الضرير
أيعشق الانسان مالا يرى فقلت والدمع بعينى غزير
ان لم تكن عينى رأت شخصها فانها قد مثلت فى الضمير

ومثل هذا قول المهذب عمر بن الشحنة

وانى امرؤ أحببتكم لمحاسن سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وتقدمه بشار بقوله

ياقوم أذنى لبعض القوم عاشقة والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون عن على بن أبى طالب أنه قال سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه أهلا للخير ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وكان ينبغى له ان يسارع الى مكام الاخلاق فانها تدل على سبل النجاح فقام اليه رجل فقال ياأمير المؤمنين أسمعته من النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتى بسبايا طيء وقعت جارية بها جميلة لما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت نسيت جمالها بفصاحتها فقالت يامحمد ان رأيت ان تخلى سبيلى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يفك العانى و يشبع الجائع و يكسو العارى و يفشى السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا ابنت حاتم الطائى فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه صفات المؤمنين خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق والمنقول عن حاتم فى زيادة الكرم كثير من ذلك ما حكاه المدائنى قال اقبل ركب من بنى أسد و بنى قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا اتركناقومنا يثنون عليك وقد أرسلوا اليك رسالة قال وماهى فأنشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما

أنشدوه قالوا انا نستحي ان نسألك شيأ وان لنا حاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد أرجل يعني فقدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فافلت يتبع أمه فتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية وقيل أجود العرب في الجاهلية ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم كان أشهرهم بالكرم ذكر انه أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم وحكى الهيثم بن عدي قال تمارى ثلاثة في اجواد الاسلام فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقال آخر أسخى الناس عرابة الاوسي وقال آخر بل هو قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدال في ذلك وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد أكثرتم الجدال في ذلك فما عليكم ان يمضي كل واحد منكم الى صاحبه يسأل له حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله اليه فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يريد ضيعة له فقال يا ابن عم رسول الله قال قل ما تشاء قال ابن سبيل ومنقطع به قال فاخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بسيفك فانه من سيوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف ومضى صاحب قيس بن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به قالت حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم ان ما في دار قيس غيره خذه وامض الى معاطن الابل الى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فقيل ان قيسا لما انتبه من رقدته أخبرته بما صنعت فاعتقها ومضى صاحب عرابة الاوسي اليه فالفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشي على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به قال فخلى العبدين وصفق بيمينه على يسراه وقال أواه أواه ما تركت

الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعني العبدين قال ما كنت الذي أقص جناحيك قال ان لم تاخذهما فهما حران فان شئت تاخذ وان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط بيده راجعا الى منزله قال فاخذهما وجاء بهما فثبت انهم اجود عصرهم الا انهم حكموا لعرابة لانه أعطى جهده ﴿ نادرة غريبة ﴾ حضر يعقوب بن اسحق الكندى المسمى بوقته فيلسوف الاسلام مجلس أحمد بن المعتصم وقد دخل عليه أبو تمام فانشد قصيدته السينية المشهورة فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم احنف فى ذكاء اياس

قال له الكندى ما صنعت شيأ فقال كيف قال مازدت على ان شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك فى أبى دلف

رجل أبر على شجاعة عامر ... باساوغبر فى محيا حاتم

فاطرق أبو تمام ثم أنشأ يقول

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندى ولوه لانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد تكون ظهرت له دلائل من شخصه فى ذلك الوقت على قرب أجله انتهى وسمع الكندى انسانا ينشد

وفى أربع منى حلت منك أربعا ... فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى

خيالك فى عينى أم الذكر فى فمى ... أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فقال لقد قسمتها تقسيما فلسفيا انتهى ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ان واضع العود بعض حكماء

الفرس ولما فرغ منه سماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وجعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع الاربع فالزير بازاء السوداء والبم بازاء الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم فاذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع وانتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وبدئ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلى وحكى ابن حمدون فى تذكرته ان الحسن بن حماد قال كنت بالمدينة فخلا لى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى بشعر ذى يزن وهو

مابال قومك يار باب خزرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغنى فغنى الصوت غناء لم أسمع مثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام يعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركته وتبعت الفقهاء فبلغ بى الى ما ترى فقلت أعد لى الصوت جعلت فداءك فقال لا ولا كرامة أتريد ان تقول أخذته عن مالك بن أنس ﴿ فائدة غريبة ﴾ روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابن ماجه ﴿ نادرة لطيفة ﴾ قال عبد الله بن أبى يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبى مليكة يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه ابو داود ﴿ نادرة لطيفة ﴾ تتضمن المثل السائر فى قولهم عن الخائب رجع بخفى حنين المنقول عن حنين انه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابى بخفين ولم يشترمنه

شيأ وغاظه ذلك فخرج الى الطريق التى لا بد للاعرابى من المرور منها فعلق الفردة الواحدة منهما فى شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى فجاء الاعرابى فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبهه بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه وتقدم فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من الكمين فاخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابى الى ناحية بعيره فلم يجده فرجع بخفى حنين فصارت مثلا ﴿ نادرة لطيفة ﴾ قيل ان بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة اذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أذابت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا وان كانت لله ففرقوها على عباد الله وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ما ترك الاعرابى لنا عذرا فى واحدة ﴿ ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى ﴾ فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن البصرى ما ترك الاعرابى أحدا منكم حتى عمه بالسؤال قلت هذا النوع سماه البديعيون بالتقسيم ﴿ نادرة أدبية بديعة ﴾ حكى ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر بعد ما أورد لغزا فى الخلخال

ومضروب بلا جرم ... مليح اللون معشوق

له شكل الهلال على ... رشيق القد ممشوق

وأكثر ما يرى أبدا ... على الامشاط فى السوق

قال بلغنى ان بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ ﴿ ومن نوادر الادب أيضا ﴾ اشارة الحجاج الى قول ابن نباتة السعدى فى فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا ... أيرى فقلت لها مقالة فاجر

بالله الا ما لطمت جبينه　　حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد بذلك قوله

وكأنما لطم الصباح جبينه　　فاقتص منه فخاض فى أحشائه

﴿ ومن المنقول المشهور ﴾ ان الادب وأهله كانا عند أصحاب حماة فى الذروة العالية ولكن قصة زكى الدين بن عبد الرحمن العوفى مع الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك تقى الدين عمر بن شهنشاه كانت على غير المعهود منه ومن سلفه الطاهر وماذاك الا ان زكى الدين المذكور أنشد الملك المظفر محمودا قبل ان يتملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما　　تهوى على رغمهم روحين فى بدن

هناك أنشد والآمال حاضرة　　هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده ان تملك حماة ان يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته　　برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما شئته　　فذا اوان الوعد الصادق

فدفع له ألف دينار وأقام معه مدة ولزمته اسفار أنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ان الذى أعطوه لى جملة　　قد استردوه قليلا قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا　　وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك الملك المظفر فاخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

اتخرجنى من كسر بيت مهدم　　ولى فيك من حسن الثناء بيوت

فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى　　وأنت فتدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وأمر بخنقه فلما أحس بذلك قال

اعطيتني الالف تعظيما وتكرمة　　　ياليت شعري أم أعطيتني ديتي

قلت كان والد الملك المظفر أليق بهذا المقام الذي لم يقصد به زكي الدين العوفي غير ترويج الادب في اختلاف المعاني والمداعبة به والتوصل بذلك الى بسط الملك المظفر ولكن حال الزكي كقول الشاعر

وكنت كالمتمني ان يرى فلقا　　　من الصباح فلما ان رآه عمي

« قلت » وكان والد السلطان الملك المظفر المنصور من كبار أهل الادب وكان أحب الناس لاهله وله كتاب طبقات الشعراء عشر مجلدات وسمع الحديث من الحافظ السلفي بالاسكندرية وكان مغرما بحب الادباء والعلماء وجمع تاريخا على السنين في عشر مجلدات ومن مصنفاته كتابه المسمى بمظاهر الحقائق وسر الخلائق وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب مالا مزيد عليه وكان في خدمته ما يناهز مائتي متعمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب وأقامت دولته ثلاثين سنة وتوفي سنة عشر وستمائة ومن شعره

أربي راح وريحا　　　ن ومحبوب وشادي

والذي ساق لي الملـ　　　ـك له دفع الاعادي

قلت وقد تقدم القول وتقرر ان جميع ملوك حماة المحروسة من بني أيوب وكان لهم الملمام بالادب وأهله وقد تعين ان نذكر هنا ترجمة مؤيدهم فانه كان بدر كمالهم ومسك ختامهم وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسمعيل بن الملك الافضل ابن الملك المظفر بن الملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماة المحروسة كان اميرا بدمشق المحروسة فخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ في خدمته فوعده بحماة ووفى له بذلك وجعله بها سلطانا يفعل فيها ما يشاء من اقطاع وغيره ليس لاحد من الدولة المصرية معه حديث وأركبه في القاهرة بشعار المملكة وأبهة السلطنة ومشى الامراء في خدمته حتى الامير سيف الدين بن أرغون النائب وقام له القاضي كريم

الدين بكل مايحتاج اليه في ذلك المهم من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبوه بالملك الصالح ثم بعد ذلك بقليل لقب بالمؤيد وتقدم أمر السلطان الملك الناصر الى نوابه ان يكتبوا اليه يقبل الارض والمقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى وفى العنوان صاحب حماة وكان الملك الناصر يكتب اليه أخوه محمد بن قلاوون أعز الله المقام الشريف العالى السلطانى الملكى المؤيد العمادى المولوى « وكان » الملك المؤيد من علماء الفقه والادب والطب والحكمة والهيئة ونظم الحاوى وله تاريخ بديع وكتاب الكناس وكتاب تقويم البلدان هذبه وجدوله وأجاد فيه ماشاء وله كتاب الموازين « وكان » قد رتب للشيخ جمال الدين بن نباتة فى كل شهر ألف درهم غير مايتحفه به وهو مقيم بدمشق وتوجه الملك المؤيد فى بعض السنين الى الديار المصرية ومعه ابنه الملك الافضل محمد فمرض ولده فجهز اليه السلطان الحكيم جمال الدين بن المغربى رئيس الاطباء فكان يجىء اليه بكرة وعشيا فيراه ويبحث معه فى مرضه ويقدر له الادوية ويطبخ له الشراب بيده فى دست فضة فقال له ابن المغربى يامولانا السلطان أنت والله ماتحتاج الى المملوك وماأجىء الا امتثالا للاوامر الشريفة ولما شفى أعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش مزركش وعشرة الاف درهم والدست الفضة وقال يارئيس اعذرنى فانى لما خرجت من حماة ماحسبت مرض هذا الولد ومدحه شعراء زمانه وأجازهم وبنى بظاهر حماة المحر وسة جامعا حسنا يسمى جامع الدهيشة ووقف عليه كتبا قيل انها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون فانه اجتهد فى جمعها من سائر البلاد شرقا وغربا وتوفى رحمه الله سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ومن شعره

كم من دم حللت وماندمت	تفعل ماتشتهى فلاعدمت
سمت فلو تبلغ الشموس الى	لثم موطىء أقدامها لثمت

﴿ والمنقول عن القاسم المكنى بابى دلف ﴾ انه جمع بين طرفى الكرم والشجاعة

ولى دمشق فى خلافة المعتصم فاماشجاعته فانه لحق قومامن الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا طعنة فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلتهما فقال بكر ابن النطاح

قالواو ينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلوان طول قناته ميل اذا نظم الفوارس ميلا

وفيه يقول ابن عنين

تمشى المنايا الى غيرى فاكرهها فكيف أمشى اليها بارز الكتف
ظننت ان نزال القرن من خلق وان قلبى من جنبى أبى دلف

واما شهرته فى الكرم فهو الذى قال فيه أبو تمام

ياطالبا للكيمياء وعلمها مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لولم يكن فى الارض الا درهم ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده

أبو دلف ان المكارم لم تزل مغلغلة تشكو الى الله حلها
فبشرها منه بميلاد قاسم فارسل جبريل اليها فحلها

فامر له بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر ببيت المال فامر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فامر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال أبو دلف

أتعجب ان رأيت على دينا وان ذهب الطريف مع التلاد
وماوجبت على زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد

وقال آخر

انظر بعينيك الى أسنى الشرف ان سار سار المجد أوحل وقف
هل ناله بقدرة أو بكلف خلق من الناس سوى ابى دلف

فاعطاه خمسين ألف درهم وفيه يقول العكوك بن على بن أبى جبلة

انمــا الدنيا أبودلف　　بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبودلف　　ولت الدنيا على أثره
كل من فى الارض من عرب　　بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة　　يكتسبها يوم مفتخره

فاعطاه أبودلف مائة ألف درهم ولمــا بلغت المأمون غضب غضبا شديدا على العكوك فطلب فهرب فاجتهدوا الى أن جاؤا به مقيــدا فلمــا صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل فى مدحك لابى دلف كل من فى الارض من عرب البيتــين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه و يفتخر بها فقال يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لان الله تعالى اختصكم لنفســه على عباده وآتاكم الكتاب والحكم وانمــا ذهبت فى شعرى لاقران واشــكال أبى دلف فقال والله ما أبقيت من أحــد ولقد أدخلتنا فى الــكل وما استحل دمك بهذا ولــكن بكفرك حيث قلت فى عبد ذليل مهين

انت الذى تنزل الآيات منزلهــا　　وتنقل الدهر من حال الى حال
وما نظرت مدى طرف الى أحد　　الا قضــيت بأرزاق وآجال

ذاك هو الله يا كافر أخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات ومن مصنفاته كتاب البزاة والصيد وكتاب الســلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك وكانت له اليد الطولى فى الغناء وهو مترجم بذلك فى كتاب الاغانى وذكر أبو عبيــدة فى كتاب مثالب أهل البصرة ان النضر بن شميل النحوى البصرى كان عالمــا بفنون من العلم صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بايام العرب وروابة الحــديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد فاتفق ان ضاقت به المعيشة ورق حاله فخرج يريد خراسان فشيعه من أهــل البصرة ثلاثة آلاف رجــل ما فيهم الا محدث أو نحوى أو عروضى أو لغوى أو اخبارى أو فقيه فلمــا بعدوا عن المدينة جلس فقال يا أهل البصرة يعز على فراقــكم والله لو وجدت كل يوم أكلة باقلاء ما فارقتــكم قال فلم يكن أحد فيهم يتــكلف له ذلك.

القدر اليسير وسار حتى وصل الى خراسان فاستفاد بها مالا عظيما فمن ذلك انه أخذ على حرف ثمانين ألف درهم وهذه القصة نقلها الحريرى صاحب المقامات فى كتابه المسمى بدرة الغواص فى أوهام الخواص قال حكى عن محمد بن ناصح الاهوازى قال حدثنى النضر بن شميل المازنى قال كنت أدخل على المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحر مرو شديد فاتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فاجرى ذكر النساء فقال حدثنى هشام عن مجاهد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سدادا من عوز بفتح السين من سداد فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشام حدثنا عوف عن ابن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سدادا من عوز بكسر السين قال وكان أمير المؤمنين متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سدادا قلت نعم يا أمير المؤمنين لان سدادا بالفتح هنا لحن قال أو تلحننى قلت انما لحن هشام وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لى بمرو وقال أفلا نفيدك معها مالا قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فاخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا امرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت أطنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى

ثم قال ياغلام أتربه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه تبلغ النضر الى الفضل بن سهل
قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف
درهم فما كان السبب فاخبرته ولم أكذبه شيأ فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا
انما لحن هشام وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة
الآثار ثم أمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم فاخذت ثمانين ألف درهم بحرف
واحد انتهى ويحكى ان النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له
رجل منهم يكنى أباصالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح
الله بالصاد أى أذهبه وفرقه أو ما سمعت قول الاعشى

واذا ما الخمر فيها أزبدت افل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل بالصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر
فقال له النضر فانت اذا أبو سالح ﴿ قلت ويشبه هذه النادرة ﴾ ما حكى ان
بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات ان تقام السين مقام الصاد فى
كل موضع فقال الوزير أتقول جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم ام سلح
فخجل الرجل وانقطع والذى ذكره أرباب اللغة فى جواز ابدال الصاد من السين
انه فى كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهى الطاء والخاء
والغين والقاف فتقول الصراط والسراط وفى سخر لكم صخر لكم وفى مسغبة
مصغبة وفى سيقل صيقل وقس على هذا ﴿ ونقل قاضى القضاة شمس الدين بن
خلكان فى تاريخه ﴾ ان أباجعفر أحمد بن عيسى البلاذرى المؤرخ قال كنت من
جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من يقول مثل قول البحترى
فى المتوكل

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسعى اليك المنبر

« قال البلاذرى » فرجعت الى دارى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله

البحتري قال هاته « فانشدته »

ولو ان برد المصطفى اذ لبسته … يظن لظن البرد انك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته … نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الى سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية مادمت حيا ﴿ ويعجبني من المدائح الرافلة في حلل الحشمة ﴾ قول عبد الله الاسطرلابي

أهدى لمجلسه الكريم وانما … أهدى له ما حزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وماله … فضل عليه لانه من مائه

ومثله قول القاضي الفاضل وقد كتب به الى وزير بغداد

يا أيها المولى الوزير ومن له … منن حللن من الزمان وثاقي

من شاكر عني نداك فانني … من عظم ما أوليت ضاق نطاقي

منن تخف على يديك وانما … ثقلت مؤنتها على الاعناق

قلت كان نظم القاضي الفاضل رحمه الله ونثره كفرسي رهان ولكن نثرا أكثر مما نظم وأجمع الناس انه أتى مع الاكثار بالعجائب ﴿ وذكر قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ﴾ ان مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها ولعمري ان الانشاء الذي صدر في الايام الاموية والايام العباسية نسي والغي بانشاء الفاضل وما اخترعه من النكت الادبية والمعاني المخترعة والانواع البديعة والذي يؤيد قولي قول العماد الكاتب في الخريدة انه في صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع ﴿ ومن غرر نثره ﴾ هذه الرسالة التي أنشأها في حمائم الرسائل وسحب فيها ذيل البلاغة والفصاحة على سحبان وائل « وهي » مسرحة لا تحمل تحمل من البطائق أجنحه وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحه وتحمل من الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت

الجناح الطائر وتزوى لها الارض حتى ترى ماسيبلغه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى ترى مالا يبلغه وهم ولا همه وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات على اعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادت ماهى مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها الفت الرياض فهى اليها دائمة الرجع وقد سكنت النجوم فهى أنجم وأعدت فى كنائنها فهى للحاجات اسهم وكادت تكون ملائكة لانها رسل واذا أنيطت بالرقاع صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين اسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود أداء الامانة فى رقابها أطواقا وأدنت من اذنابها أوراقا وصارت خوافى من وراء الخوافى وأعطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافى ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ نجم السعود وهى أنبياء الطيور لكثرة ماتأتى به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطباء ﴿ ومن غريب المنقول ﴾ انى حضرت فى بعض الليالى على جانب النيل المبارك فى خدمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وبيده الكريمة جزء من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدى بخطه وهذه الرسالة أول الجزء فشرع فى قراءتها وكررها مرارا وهو يترنم فى بديعها وغريبها ورسم فى اثناء ذلك لى بمعارضتها فلم أجد بدا من الشروع لالتزام الواجب وأوترت قوس العزم مطمئنا بهذا الرأى الصائب وقد أوصلت هنا شمل القطعتين ليتأمل المتأمل فى جنى الجنتين وينزه نظره فى حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمائم الدوحتين « قلت » شرح فساسرح العيون الادون رسالته المقبوله

وطلب السبق فلم يرض معرق البرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقوله وهمز جواد النسيم فقصر وأمست اذياله بعرق السحب مبلوله وأرسل فلقر الناس برسالته وكتابه المصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدي مخلق يؤدي ما جاء على يده من الترسل فيهيج الاشواق وما برحت الحمائم تحسن الاداء في الاوراق وصحبناه على الهدى فقال ما ضل صاحبكم وما غوى ومن روى عنه حديث الفضل المسند فعن عكرمة قدروى يطير مع الهواء لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت جناحه ان برز من مقفصه لم يبق للبرد قيمه بل تنعزل بتدبيج أوراقه وتعلق عليه من العين التميمة ماسجن الا صبر على السجن وضيق الاطواق ولهذا حمدت عواقبه على الاطلاق ولا غنى على عود الا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو الا كان سهما مريشا تبلغ به الاغراض كم علا فصار بريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وامسى عند الهبوط لعين الهلال كالطمس فهو الطائر الميمون والغاية السباقة والامير الذي اذا أودع اسرار الملوك حملها بطاقة فهو من الطيور التي خلا لها الجو فنقرت ماشاءت من حبات النجوم والعجماء التي من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق الفهوم والمقدمة والنتيجة لكتاب الحجلي في منطق الطير وهي من جملة الكتاب الذي اذا وصل القارىء منه الى الفتح تهلل بفاتحة الخير وان تصدر البارزي بغير علم فكم جمعت بين طرفي كتاب وان سألت العقبان عن بديع السجع أحجمت عن رد الجواب شعر

رعت النجوم بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ما قدمت الا وأورثتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمه وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمه كم اهدت من مخلقها وهي غادية رائحه وكم حنت اليها الجوارح وهي أدام الله اطلاقها غير جارحه وكم ادارت من كؤس السجع ما هو ارق من قهوة

الانشا وأبهج على زهر المنثور من صبيح الاعشا وكم عامت بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف ورمت من تلك الأنملة قلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفق لامر مريب وكم لمع فى أصيل الشهر خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بافنان أبوابه العالية الحان السواجع ولا برح تغر يدها مطربا بين البادى والراجع انتهى

﴿ وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزرى فى كتابه المسمى بالوشى المرقوم فى حل المنظوم ﴾ قال حدثنى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بمدينة دمشق «سنة ٥٨٨» ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذذاك كاتب الدولة الصلاحية ان فن الانشاء لا تخلو منه رأس مكانا أو بيانا وكل من أنشأ أقام لسلطانه بانشائه سلطانا «وكان» من العادة ان كلا من أرباب البيوت اذا نشأ له ولد أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويسمع فارسلنى والدى وكان اذذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية فى أيام الحافظ العبيدى وهو أحد خلفائها فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذى يراس به فى تلك الايام وهو صاحب الانشاء بمصر موفق الدين أبا الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبى رحب بى ثم قال ما الذى أعددت لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس عندى سوى أنى أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال فى هذا بلاغ ثم أمرنى بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت عليه وطال تدربى بين يديه أمرنى ان أحل عليه ديوان الحماسة فحللته من أوله الى آخره ثم أمرنى ان أحله مرة أخرى فحللته انتهى ماذكره ابن الاثير قلت وقال عماد الدين الكاتب فى كتاب الخريدة فى حق موفق الدين بن الخلال كان فن الترسل والانشاء آل اليه وكان فى ذلك ناظر مصره وانسان ناظره وقبلة جامع مفاخره «قلت» الذى ثبت

عند المؤرخين وعلماء هذا الفن ان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أخذ علم الانشاء وحكمه عن موفق الدين بن الخلال منشىء الخليفة الحافظ العلوى ورتبته فى الانشاء معلومة ولكن جنحت الى الوقوف على شىء من نظمه لا نظر فى الرتبتين كما قررت ذلك فى نظم القاضى الفاضل ونثره فوجدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله قد أورد له فى تاريخه نظما ونثرا دلنى على ان نظمه ونثره رضيعا لبان وفرسا رهان

﴿ فمن ذلك قوله فى الشمعة ولله دره حيث أجاد ﴾

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها

﴿ وله ﴾

واغن سيف لحاظه يغرى الحسام بحده
عجب الورى لما جنيت وقد فنيت ببعده
وبقاء جسمى ناحلا يصلى بوقدة صده

« نادرة » كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة أن اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فول القضاء أفقههما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما ففهم القاسم ان سألهما عنه أشارا به فقال له لا تسل عنى ولا عنه فوالله الذى لا إله الا هو ان اياس بن معاوية أفقه منى وأعلم منى بالقضاء فان كنت كاذبا فما عليك أن تولينى وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى أن تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل وقفت به على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله تعالى منها وينجو مما يخاف فقال له عدى اما اذا فهمتها فأنت لها أهل فاستقضاه «نادرة لطيفة» نقل ابن عبد ربه فى العقد ان ابا سفيان زار معاوية فى

الشام فلما رجع من عنده دخل على الامام عمر رضي الله عنه فقال له الامام اجدنا قال ما أصبنا شيأ فنجديك فأخذ الامام عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فاحضريهما فلم يلبث عمر ان اتى بالخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فألقاها عمر فى بيت المال فلما ولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد ردها اليه قال ما كنت لآخذ مالا عابه عمر على والله ان لنا اليه حاجة ولكن لا تردعلى من قبلك فيردعليك من بعدك « استنجاز المواعيد » قلت وما ظنك بشيء قد جعله الله فى كتابه العزيز مدحة وفخر الانبيائه فقال واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد ولو لم يكن فى خلف الوعد الاقول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لكفى قال عمر بن الحارث كانوا يقولون و يفعلون فصاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق

« و يعجبنى قول العباس بن الاحنف »

ماضر من شغل الفؤاد ببخله	لو كان عللنى بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة	الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من مطل وتبقى حاجتى	فيما لديك وما لها من طالب

«وذكر حيان بن سليمان عامر بن الطفيل فقال » والله كان اذا وعد الخير وفى واذا وعد الشر اخلف وهو القائل

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى	و يأمن منى صولة المتهدد
وانى وان أوعدته أو وعدته	لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

﴿ وقال ابن حازم ﴾

اذا قلت عن شيء نعم فاتمه	فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها	لئلا يظن الناس انك كاذب

﴿ و يعجبني قول عبد الصمد الرقاشي في خالد بن ديسم عامل الري وقد أبطأ عليه بوعد ﴾

أخالد ان الري قد أجحفت بنا ... وضاق علينا رسمها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة ... أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فيرجع طامعا ... ولا ودقها يهمي فتروى عطاشها

«قلت» ومن البلاغة المرقصة في هذا الباب خطاب كوثر بن زفر وقد وعده يزيد ابن المهلب وأبطأ بوعده وهو * أصلح الله الامير أنت أعظم من أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيأ الا وهو يصغر عنك وأنت تكبر عنه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل «قيل» ان يزيد بن المهلب لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا وقال له سل حاجتك قال حملت من عشير عشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها «و يعجبني قول بعضهم» أما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن وعدها سالما من جوائح المطل والسلام «لطيف الاستمناح» قال الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والنفس ربما انطاقت وانشرحت للطيف السؤال وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل «ولله در القائل»

ان الكريم أخا المودة والنهى ... من ليس في حاجاته بمثقل

«دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد» فقال له اسأل بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة فقال بالخلافة والعامة فقال يا أمير المؤمنين يداك بالعطية اطلق من لساني فاجزل عطيته «وقفت امراة» على قيس بن سعد بن عبادة فقالت اشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها لحما وخبزا وسمنا * نادرة لطيفة كان ابو جعفر المنصور أيام بني أمية اذا دخل البصرة دخل متكتما وكان يجلس في حلقة ازهر السمان المحدث فلما أفضت اليه الخلافة قدم ازهر عليه فرحب به وقربه وقال

ماحاجتك ياأزهر فقال ياأمير المؤمنين داري متهدمة وعلي أربعة آلاف درهم وأريد أن أزوج ابني محمدا فوصله باثني عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك ياأزهر فلا تأتنا بعد هذا طالبا فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له جعفر ماحاجتك ياأزهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا فلا تأتنا طالبا ولا مسلما فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال ماحاجتك ياأزهر قال أتيت عائدا فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ماحاجتك ياأزهر قال ياأمير المؤمنين دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه فضحك أبو جعفر وقال الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب فأني دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب لي وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا وتعال اذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك ودخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ... ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة ... توارثني من والد بعد والد

فامر له بعشرة آلاف درهم ﴿ اجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود ثلاثة نفر ﴾ حاتم بن عدي الطائي وهرم بن سنان المزني وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أوقد نارا في بقاع الارض لينظر اليها المار ليلا فيبادر اليها وهو القائل لغلامه يسار

أوقد فان الليل ليل قر ... والريح ياموقد ريح صر

حتى يرى نارك من يمر ... ان جلبت ضيفا فانت حر

« واما » هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

تراه اذا ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سائله

واما كعب بن مامة الايادي فلم يأت له الاماذكر عنه من ايثاره رفيقه السعدي

بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدى وناهيك بهذا الكرم الذى ماسبق اليه
﴿ واما اجواد الحجاز ﴾ فثلاثة فى عصر واحد وهم عبيد الله بن العباس وعبد الله
ابن جعفر وسعيد بن العاص ﴿ واجواد أهل البصرة خمسة فى عصر واحد ﴾
وهم عبد الله بن عامر وعبد الله بن أبى بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالم
ابن زياد وعبد الله بن معمر القرشى التيمى وطلحة الطلحات وهو طلحة بن خالد
الخزاعى ﴿ وأجواد أهل الكوفة ثلاثة فى عصر واحد ﴾ وهم عتاب بن ورقاء
الرباحى وأسماء بن خارجة وعكرمة الفياض ﴿ فمن جود عبيد الله ﴾ انه أول من
فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطريق ومن جوده ان أتاه رجل وهو بفناء
داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه
بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال له رأيتك واقفا بزمزم وغلامك
يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت فقال أجل
انى لاذكر لك ذلك ثم قال لغلامه ماعندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم
قال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسمعيل ولد
غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم شفع بك وبأبيك
﴿ ومن جوده أيضا ان معاوية حبس عن الحسين بن على رضى الله عنه صلاته حتى
ضاقت عليه فقيل له لو وجهت الى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بألف
ألف قال الحسين فما مقدارها عنده والله انه لاجود من الريح اذا عصفت وأسخى
من البحر اذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته
وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان أرق الناس قلبا
وألينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية تكون لين المهاد رفيع العماد
والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف
ما نملكه من ذهب وفضة ودابة وأخبره انى شاطرته فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل

اليه النصف الآخر قال فلما وصل الرسول الى الحسين قال انا لله ثقلت والله على ابن عمى وماظننت انه يتسع بهذا كله فاخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل هذا فى الاسلام ﴿ ومن جوده أيضا ﴾ ان معاوية أهدى اليه وهو عنده فى شهر من هدايا النوروز وحللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر فيها فقال هل فى نفسك منها شئ قال نعم والله ان فى نفسي منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف فضحك عبيد الله فقال فشأنك بها فهى لك قال جعلت فداءك أنا أخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك قال فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن وهو يحملها اليك ليلا فقال الحاجب والله ان هذه الحيلة فى الكرم اأكثر من الكرم ولوددت ان لا أموت حتى أراك مكانه يعنى معاوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع هذا الكلام انا من قوم نفى بما عقدنا ولا ننقض ما كدنا وقال له رجل من الانصار جعلت فداءك والله لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب وأنا اشهد ان عفو جودك أكثر من مجهوده وطل صوبك أكثر من وابله ﴿ ومن جود عبد الله بن جعفر ﴾ ان عبد الله ابن أبى عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها الى المشترى فشبب بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فى ذلك فكان جوابه ان قال

يلومنى فيك أقوام أجالسهم ... فما أبالى أطار اللوم أم وقفا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه أن تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالى لا أرى ابن عمارة زائرا فأخبر بذلك فأتى مسلما فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة قال حبها فى اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها ان رأيتها قال لو أدخلت الجنة لم أنكرها

فأمرها عبد الله أن تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك ووالله مادنوت منها فشأنك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال ياغلام احمل اليه مائة ألف درهم قال فبكى عبد الرحمن وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فهنأ كم الله بهذه النعمة و بارك لكم فيها « ولقد تقرر » أن أجواد الاسلام أحد عشر جوادا ذكرت من جود بعضهم ما تيسر وقال صاحب العقد انه جاء بعدهم طبقة أخرى وهي الطبقة الثانية « فمنهم » الحكم بن أحطب قيل سأله اعرابي فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت ما أعطيناك فقال لا والله ولكنني أبكي لما تأكل الارض منك ثم أنشد

فكان آدم حين حان وفاته | اوصاك وهو يجود بالحوباء
بنيه ان ترعاهم فرعيتهم | وكفيت آدم عيلة الابناء

« وحكى » عن العتبي أنه قال حدثني رجل قال قدم علينا الحكم بن أحطب وهو متملق فاغنانا فقلت وكيف اغناكم وهو مملق فقال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا « ومنهم » معن بن زائدة يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وأتاه رجل يستحمله فقال ياغلام اعطه فرسا و برذونا و بغلا وعيرا و بعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هذا لاعطيتك «ومنهم» يزيد ابن المهلب قيل كان هشام بن حسان اذا ذكره قال كانت السفن تجري في بحر جوده « حكى » الاصمعي انه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ماندري اذا مافاتنا | طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد | أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا | أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار « ومنهم » يزيد بن حاتم قيل ان ربيعة الراى قدم مصر فأتى يزيد السلمى فلم يعطه شيأ ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لامر ضرورى

نخرج وهو يقول

اراني ولا كفران لله راجعا بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ عدى من ضرورته سأل عنه فاخبر عنه أنه خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فارسل من يجد في طلبه فاتى به فقال كيف قلت فانشد البيت فقال شغلنا عنك وعجلت علينا ثم امر بخفيه فملئا من رجليه وملئا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفي حنين « ومنهم » أبودلف واسمه القاسم وفيه يقول ابن أبي جبلة

انما الدنيا أبودلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبودلف ولت الدنيا على أثره

﴿ وقال ﴾

ان سار سار المجد أو حل وقف انظر بعينيك الى أعلى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف حاق من الناس سوى أبي دلف

فاعطاه خمسين ألف درهم « ومنهم » خالد بن عبد الله القسرى قيل انه كان جالسا في مظلة اذ نظر الى اعرابي يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم لا تحجبه فلما قدم ادخله فسلم فقال

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهر رمى بكلكله فارسلوني اليك وانتظروا

« فقال » خالد ارسلوك الى وانتظروا والله لتعودن اليهم بما يسرهم فامر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة « ومنهم » عدى بن حاتم حكى صاحب العقد قال دخل أبو دارة على عدى بن حاتم فقال انى مدحتك قال امسك حتى آتيك بمال فاني أكره أن أعطيك ثمن ما تقول هذه ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاثة اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما أجزتك « قيل » ان أروى بنت الحارث بن عبد المطلب كانت أغلظ الوافدات على معاوية خطابا وكان حليما

معاوية أعظم من خطابها دخلت عليه وهي عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك ياخالة كيف كنت بعدنا قالت بخير ياأمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت بابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة فى الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فاتعس الله منكم الجدود وأرغم منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هى العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعد فاصبحتم تحتجون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا منكم فكنا فيكم بمنزلة بنى اسرائيل فى آل فرعون وكان على رضى الله عنه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو ابن العاص كفى أيتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وانت ياابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغى بمكة وأرخصهن أجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فالحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به فقال مروان كفى أيتها العجوز واقصدى ماجئت له فقالت وانت ايضا ياابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ماجرأ هؤلاء غيرك وأمك القائلة فى قتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم

نحن خزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات عسر

ما كان لى عن عتبة من صبر   ولا أخى وعمه وبكر

سكنت وحشيا غليل صدرى   فشكر وحشى على دهرى

حتى ترم اعظمى فى قبرى

فاجابتها ابنة عمى بقولها   خزيت فى بدر وغير بدر   يابنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف ياخالة هات حاجتك فقالت مالى اليك حاجة وخرجت

عنه وهذه العبارة بنصها منقولة من العقد لابن عبد ربه رحمه الله تعالى ﴿ وحكى صاحب العقد أيضا ﴾ قال قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له في بعض الايام ياعقيل أنا خير لك من أخيك علي قال صدقت أخي آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لي من أخي وأخي خير لنفسه منك لنفسك ﴿ ودخل عقيل أيضا ﴾ على معاوية وقد كف بصره فاقعد على سريره معه ثم قال له أنتم معاشر بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال عقيل وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم ﴿ ودخل عليه يوما ﴾ فقال معاوية لاصحابه هذا عقيل عمه ابولهب فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ثم قال يامعاوية اذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فانك ستجد عمي ابالهب مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما خير الفاعل ام المفعول به « وقال له يوما » ما ابين الشبق في رجالكم يابني هاشم قال لكنه في نسائكم ابين يابني أمية ﴿ وقال الجاحظ ﴾ اجتمعت يوما بنو هاشم عند معاوية فاقبل عليهم فقال يابني هاشم والله ان خيري لممنوح وان بابي لكم لمفتوح وقد نظرت في أمري وأمركم فرأيت امرا مختلفا انكم ترون انكم احق مني مما في يدي فاذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنه وكان جريئا عليه فقال والله مامنحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه واما هذا المال فمالك منه الا مال رجل واحد من المسلمين ولولا حقك في هذا المال لم يأتك منا اثر تحمله خف ولا حافر واما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل أكفاك ام ازيدك قال كفاني ﴿ وقال الشعبي ﴾ قال ابن الزبير يوما لابن عباس قاتلت امير المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما أم المؤمنين فانت اخرجتها انت وأبوك وخالك وبنا سميت ام المؤمنين وكنا لها خير بنين وقاتلت انت وابوك عليا

فان كان مؤمنا ضللتم بقتال المؤمنين وان كان على كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفرار كم من الزحف ﴿ وذكر صاحب العقد ﴾ ان عبدالله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو فلما دخل بها قال هل تدرين من معك قالت نعم عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد قال ليس هذا قالت فاى شيء تريد قال معك من اصبح فى قريش كمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الراس قالت اما والله لو ان بعض الهاشميين حضرك قال خلافا لقولك قال فالطعام والشراب على حرام حتى احضر الهاشميين وغيرهم ولا يستطيعون لذلك انكارا قالت ان اطعتنى لم تفعل فانت اعلم بشأنك فخرج من المجلس فاذا بحلقة فيها جماعة من قريش وفيها من بنى هاشم عبدالله بن عباس رضى الله عنه وعبدالله بن الحارث بن عبدالمطلب فقال لهم ابن الزبير انى احب ان تنطلقوا معى الى منزلى فقام القوم باجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير ياهذه اطرحى عليك سترك ثم اذن للقوم فلما اخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال ابن الزبير انما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة هذا الستر وزعمت ان لو كان بعض بنى هاشم حاضرا ما اقرلى بما قلت وقد حضرتم جميعا والحديث الذى ردته على قلت لها ليلة الدخول بها وانا معها فى خدرها ان معك من اصبح فى قريش بمنزلة الراس من الجسد لا بل العينين من الراس فردت على مقالى فقال ابن عباس ان شئت اقول وان شئت اكفف قال لا بل قل وما عسيت ان تقول الست تعلم ان الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان امى اسماء بنت ابى بكر الصديق ذات النطاقين وان خديجة سيدة نساء اهل الجنة عمتى وان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتى وان عائشة ام المؤمنين خالتى فهل تستطيع لهذا انكارا يا ابن عباس قال ابن عباس لا ولكن ذكرت شرفا شريفا وفخرا عظيما غير انك نلت ذلك كله وانت تفاخر من بفخره فخرت وتسامى من بفضله سموت قال ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر مفخرا

الا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اهل بيته واقرب اليه واولى بالفخر به قال ابن الزبير فانا افاخرك بما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس لقد انصفت اسائلكم ايها الحضور اعبد المطلب كان اشرف في قريش ام خويلد قالوا عبد المطلب قال اسائلكم اهاشم كان اشرف في قريش ام امية قالوا بل هاشم قال فاسألكم بالله اعبد مناف كان اشرف ام عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فأنشد ابن عباس يقول

تفاخرني يا ابن الزبير وقد مضى　　عليك رسول الله لا قول هازل
فلو غيرنا يا ابن الزبير تحوته　　ولكن بنا ساميت شمس الاصائل

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما افترقت فرقتان الا وكنت في خيرهما فقد فارقناك من لدن قصي بن كلاب فنحن في فرقة الخير اولا ونحن في فرقة الخير آخرا فان قلت نعم خصمت وان قلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت المراة من خلف الستر اما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى الا ما ترى فقال ابن عباس مه ايتها المراة اقنعي ببعلك واخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا انهض ايها الرجل فقد افحمته في منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول

الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا　　فلو ترك القطا ليلا لناما

« وحكى صاحب العقد » قال بينما معاوية جالس وعنده وجوه الناس اذ دخل رجل من اهل الشام فقام خطيبا وقال لعن الله عليا فأطرق الناس وفيهم الاحنف فقال الاحنف يا امير المؤمنين ان هذا القائل ان علم ان رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه وافرد بقبره وخلا بعمله وكان والله مبرزا في سبقه طاهر الثوب ميمون النقيبة عظيم المصيبة فقال له معاوية يا احنف لقد اغضيت العين على القذى اما والله لتصعدن المنبر وتلعن عليا طوعا او كرها فقال ان تعفني خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لا تجدني شقيا به ابدا قال وما انت قائل يا احنف قال

احمد الله واصلي على نبيه ثم اقول ان امير المؤمنين امرني ان العن عليا ومعاوية وعلى اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله اللهم العن انت وملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية امنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على ذلك ولا انقص ولو كان فيه ذهاب نفسي فقال معاوية اذا اعفيتك انتهى ﴿ وقال معاوية لعقيل ﴾ ان عليا قطعك و وصلتك ولا يرضيني منك الا ان تلعنه على المنبر قال افعل فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال ان امير المؤمنين امرني ان العن عليا فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ثم نزل فقال له معاوية يا عقيل انك لم تبين من المراد منا قال والله لا زدت حرفا والكلام راجع الى نية المتكلم ﴿ ومن غريب المنقول ﴾ ما نقل عن المنصور وهو انه وعد الهذلي بجائزة ونسي فحجا معا ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص

﴿ يا دار عاتكة التي اتغزل ﴾

فانكر عليه امير المؤمنين المنصور ذلك لانه تكلم من غير ان يسئل فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة الى آخرها ليعلم ما اراد الهذلي بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

وارك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم المنصور انه أشار الى هذا البيت فتذكر ما وعده به وانجزه له واعتذر اليه من النسيان « ومثله » ما حكى ان أبا العلاء المعري كان يتعصب لابي الطيب المتنبي فحضر يوما مجلس المرتضي فجرى ذكر ابي الطيب فهضم من جانبه المرتضي فقال أبو العلاء لو لم يكن لابي الطيب من الشعر الا قوله

﴿ لك يا منازل في القلوب منازل ﴾

لكفاه فغضب المرتضي وأمر به فسحب وأخرج و بعد اخراجه قال المرتضي هل

تعلمون ماأراد بذكر البيت قالوا لا قال عنى به قول أبي الطيب في القصيدة

واذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي باني كامل

« ومثله » قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا فان السري الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى في مجلسه يوما ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السري اشتهي ان الامير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لاعارضها و يتحقق الامير بذلك انه اركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته التي مطلعها

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي   وللحب مالم يبق مني وما بقي

« قال » السري فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب لكن رأيته يقول في آخرها عن ممدوحه

اذا شاء ان يلهو بلحية احمق   أراه غباري ثم قال له الحق

« فقلت » والله ما اشار سيف الدولة الا الى هذا البيت « ومثله » ماحكاه ابن الجوزي في كتاب الاذكياء وهو من الغرائب في هذا الباب ان رجلا من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه فاقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المراة وقلت والله ان لم تقولي لي ما أراد ابن الجهم فضحتك قالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وعنيت انا بابي العلاء قوله

فيادارها بالخيف ان مزارها   قريب ولكن دون ذلك اهوال

« ومثله » ماهو منقول عن الامام الحافظ فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد

ابن محمد بن سيد الناس اليعمرى ان الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين الجزار وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أما مراد الشيخ بهاء الدين فهو اشارة الى قول ابن سناء الملك

أنا فى مقعد صدق ... بين قواد وعاق

وأما مراد أبى الحسين من قول السراج الوراق فهو

ومهفهف راض الأ بـــى فقاده سلس القياد

لما توسط بيننا ... جرت الامور على السداد

فبلغ كل منهما ما أراد من صاحبه ولم يشعر أحد بمراد الاثنين غيرهما قلت و بالنسبة الى هذا الذكاء المفرط الصادر من هؤلاء القوم يتعين ان نوردهنا نبذة من كتاب الاذكياء لابن الجوزى « فمن ذلك » ماروى عن منصور بنى العباس وهو انه جلس يوما فى أحد قباب المدينة فراى رجلا ماهوفا يجول فى الطرقات فارسل اليه من اتاه به فسأله عن حاله فأخبره انه خرج فى تجارة فأفاد فيها مالا كثيرا وانه رجع بها الى زوجته ودفع المال اليها فذكرت المراة ان المال سرق من المنزل ولم ير نقبا ولا مسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال تزوجتها بكرا أم ثيبا قال ثيبا قال شابة أم مسنة قال شابة فدعا المنصور بقارورة طيب وقال تطيب بهذا فانه يذهب همك فاخذها وانقلب الى أهله فقال المنصور لجماعة من نقبائه اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه رائحة الطيب فأتونى به ومضى الرجل بالطيب الى بيته فدفعه الى المرأة وقال هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أعجبها الى الغاية فبعثت به الى رجل كانت تحبه وهو الذى دفعت المال اليه فقالت له تطيب بهذا الطيب فتطيب به ومر مجتازا ببعض الابواب ففاحت منه رائحة الطيب فأخذوا تى

به الى المنصور فقال له من اين استفدت هذا الطايب فتلجلج فى كلامه فسلمه الى صاحب شرطته وقال له ان احضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه والا فاضربه ألف سوط فما هو الا ان جرده وهدده حتى اذعن برد الدنانير واحضرها كهيئتها ثم أعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال له أرأيتك ان رددت اليك الدنانير أتحكمنى فى امرأتك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ها هى دنانيرك وقد طلقت امرأتك وقص عليه الخبر «ومن ذلك» ماروى عن المهدى وهو ان شريك بن عبد الله القاضى دخل عليه يوما فأراد المهدى أن يبخره فقال للخادم احضر للقاضى عودا فذهب الخادم فجاء بالعود الذى يلهى به فوضعه فى حجر شريك فاضطرب شريك من ذلك وقال ما هذا يا أمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضى فقال شريك جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ثم أفاضوا فى الحديث حتى نسى الامر فقال المهدى لشريك ما تقول فى رجل أمر وكيلا له أن يأتى بشئ بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشئ فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم اضمن ما تلفت «ومن ذلك» انه حكى انه قدم رجل الى بغداد ومعه عقد يساوى ألف دينار فأراد بيعه فلم يتفق فجاء الى عطار موصوف بالخير والديانة فأودع العقد عنده وحج وأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال من أنت ومن يعرفك فقال أنا صاحب العقد فلما كلمه رفسه وألقاه عن دكانه فاجتمع الناس وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا شتما وضربا فقيل له لو ذهبت الى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه فقال ما شأنك فقص عليه القصة فقال اذهب غدا واجلس فى دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك فى اليوم الرابع فأقف وأسلم عليك فلا ترد على الا السلام فاذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ثم اعلمنى بما يقول لك ففعل الحاج ذلك فلما كان فى اليوم الرابع جاء عضد الدولة فى

موكبه العظيم فلما رأى الحاج وقف وقال سلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ولم يتحرك فقال يا أخي تقدم من العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك فقال له ما اتفق هذا ولم يزده على ذلك شيأ هذا والعسكر واقف بكماله فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما انصرف عضد الدولة التفت العطار الى الحاج وقال له يا أخي متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء هو ملفوف فذكرني لعلي أتذكر فقال من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد وقال الله أعلم انني كنت ناسيا ولو لم تذكرني ما تذكرت فاخذ الحاج العقد ومضى الى عضد الدولة فاعلمه فعلقه في عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودي عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ثم أخذ الحاج العقد ومضى الى بلاده « ومثله » ما نقل عن ذكاء اياس الذي سارت به الركبان « قيل » ان رجلا استودع أمين اياس مالا وخرج المودع الى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فأتى اياسا فاخبره فقال له اياس أعلمته أنك أتيتني قال لا قال افنازعته عند غيري قال لا قال فانصرف واكتم سرك ثم عد الي بعد يومين فمضى الرجل ودعا اياس أمينه فقال قد حضر عندنا مال كثير أريد ان أسلمه اليك أفحصين منزلك قال نعم قال فاعد موضعا للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل الى اياس فقال انطلق الى صاحبك فان أعطاك المال فذاك وان جحد فقل له اني أخبر القاضي بالقصة فاتى الرجل صاحبه فقال تعطيني الوديعة أو أشكوك الى القاضي وأخبره بالحال فدفع اليه المال فرجع الرجل وأخبر اياسا وقال اعطاني الوديعة وجاء الامين الى اياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال له لا تقربني بعد هذا يا خائن « ومثله » انه ولي القضاء بواسطة رجل مشهور بالدين والذكاء المفرط فجاءه رجل استودع بعض الشهود كيسا مختوما وذكر أن فيه ألف دينار فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة المودع ظن أنه قد مات فهم بانفاق المال وخشي من مجيء صاحبه ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة

كما كانت فقدر ان الرجل حضر الى واسط وطلب الشاهد بوديعته فاعطاه الكيس
بختمه فلما حصل فى منزله فض ختمه فاذا فى الكيس دراهم فرجع الى الشاهد
وقال له اردد على مالى فانى أودعتك دنانير والذى وجدت دراهم فانكر فاستدعى
عليه الى القاضي المتقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال الحاكم للمستودع منذ كم
أودعك الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فقال القاضي لصاحب الكيس احضر لى
الدراهم فاحضرها فقال القاضي للشهود اعتبروا تواريخ الدراهم فقرؤا سككها
فاذا منها ماله سنتان وثلاث سنين ونحو ذلك فامره أن يدفع له الدنانير فدفعها وعزله
القاضي أطاف به البلد وأسقطه « ومثله بل أغرب منه » ان رجلا استودع رجلا
مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه الى اياس وقال المدعى انى أطالبه بمال أودعته اياه
وقدره كذا وكذا فقال له اياس ومن حضرك قال كان رب العزة حاضرا قال دفعته اليه
فى اى مكان قال فى موضع كذا قال فاى شيء تعهده من ذلك الموضع قال شجرة عظيمه
قال فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك أو
لعلك دفنت مالك تحت الشجرة فنسيت فتذكره اذا رأيت الشجرة فمضى الرجل
مسرعا فقال اياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى يرجع خصمك فجلس واياس يقضى
بين الناس ونظر اليه بعد ذلك ثم قال له ياهذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التى
ذكرها قال لا فقال له والله ياعدو الله انك لخائن فقال اقلنى أقالك الله ياأمير المؤمنين
فامر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال اياس قد أقر بحقك فخذه ﴿ ومن لطائف
المنقول من كتاب الاذكياء ﴾ ان يحيى بن أكثم القاضي ولى القضاء بالبصرة
وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم كم سن القاضي فعلم يحيى
انه استصغره فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور حين ولاه

عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال فعظم فى أعين اهل البصرة وهابوه
﴿ ومن المنقول من كتاب الاذكياء ﴾ ان بعض اللصوص دخل بيتا ومعه
جماعة تحت أمره ونهيه فى القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل
فتدخل عليهم فى ابقاء مهجته وأخذ ما فى البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق
الثلاث وعلى المصحف انه لا يعلم بهم أحدا فاصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون
متاعه ولا يقدر أن يتكلم لاجل اليمين فجاء الى أبى حنيفة وأعلمه بحاله فقال له
احضر أكابر حيك وأذين جيرانك وامام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة
هل تحبون ان يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا اداعر يكم فادخلوهم
الجامع ثم اخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فان
كان ليس بلصه قال لا وان كان لصه فليسكت فاذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك
فرد الله عليه ما سرق له « ومنه » ان الربيع صاحب المنصور كان يعادى أبا حنيفة
فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان أبا حنيفة يخالف جدك
ابن عباس وكان جدك يقول اذا حلف الرجل على شئ ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو
بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة
يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم ان ليس لك فى رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال
يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم فضحك المنصور
وقال يا ربيع لا تتعرض لابى حنيفة « ومنه » ان الامام أبا حنيفة رضى الله عنه
قال دخلت البادية فاحتجت الى الماء فجاءنى اعرابى ومعه قربة ملآنة فابى أن يبيعها
الا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت ما رايك يا اعرابى فى السويق
فقال هات فاعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال على
شربة فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقى الماء « ومنه »
انه استودع رجل بالكوفة رجلا مالا وحج ورجع فطلبه فجحده وجعل يحلف له

فانطلق الرجل الى أبي حنيفة فخلا به واخبره بذلك فقال له الامام لا تكلم أحدا بجحوده وكان الرجل يجالس أبا حنيفة فقال له وقد خلا لهم المكان ان هؤلاء بعثوا يستشيرونني في رجل يصلح للقضاء وقد اخترتك فانصرف من عند الامام فجاء صاحب الوديعة فقال له الامام ارجع الى صاحبك وذكره لاحتمال ان يكون ناسيا فذهب اليه وسأله فلم يحتج معه الى علامة بل دفع اليه متاعه وتوجه بعد ذلك الى أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة اني نظرت في امرك فاردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ماهو أنفس من هذا « ومنه » انه كان بجوار أبي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الايام يا امام أريد التزويج الى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر ذوق وسعي وطاقتي فقال ابو حنيفة فاستخر الله تعالى واعطهم ماطلبوه فلما عقدوا النكاح جاء الى ابي حنيفة فقال اني سألتهم ان يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فابوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل باهلك فان الامر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت اليه ودخل بها قال له ابو حنيفة ما عليك أن تظاهر الخروج باهلك عن هذا البلد الى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر ومايحتاج اليه وأظهر انه يريد الخروج من البلد في طلب المعاش وان يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا الى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها الى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال ارضوه بان تردوا عليه ما أخذتم منه فاجابوه الى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى ان القوم قد سمحوا وأجابوا الى أن يردوا عليك ما اخذوا منك من المهر ويبرؤك فقال الفتى لا بد من زيادة آخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب اليك ان ترضى بما بذلوا لك والا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضى ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا امام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب واخذ ما بذلوه من المهر « ومنه » ان رجلا جاء

الى أبي حنيفة وقال يا امام دفنت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع الذى دفنته فيه فقال الامام ليس فى هذا فقه فاحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكره ان شاء الله تعالى ففعل فلم يمض الا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع الذى دفن فيه فجاء الى أبي حنيفة فاخبره فقال قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلى الليل كله فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى « ومنه » أن بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان يحبها حبا شديدا وتبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة بينهما البتة فاضجره ذلك وطالت مدة تجرئها عليه فى الكلام فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا بتاتا ان خاطبتني بشيء ولم أخاطبك بشيء مثله فقالت له فى الحال انت طالق ثلاثا بتاتا فابلس الرجل ولم يدر ما يجيب وخاف فى جوابها من وقوع الطلاق وأرشد الى أبي جعفر الطبرى فاخبره بما جرى فقال له اذا طالبتك بالجواب فقل لها أنت طالق ثلاثا بتاتا ان أنا طلقتك فتكون قد خاطبتها و وفيت بيمينك « ومنه » قيل ان ذا النون المصرى كان يعرف الاسم الاعظم قال يوسف بن الحسن لما تحققت منه ذلك قصدت مصر وخدمته سنة ثم قلت له يرحمك الله انى قد خدمتك و وجب حقى عليك وأشتهى ان تعلمنى اسم الله الاعظم فلا تجد له موضعا مثلى قال فسكت ولم يجبنى ستة أشهر وأومأ الى انه يعلمنى ثم أخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شدا بمنديل وكان ذوالنون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فاحب أن تؤدى هذا اليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشى طول الطريق وأقول مثل ذى النون يوجه الى فلان بهدية ترى أى شيء هى فلم أصبر ان بلغت الجسر فحللت المنديل و رفعت المكبة فاذا فأرة نفرت من الطبق وفرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت ذوالنون المصرى يسخر بى و يوجه مع مثلى فأرة فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآنى علم ما فى وجهى فقال يا أحمق ائتمنتك على فأرة فخنتنى فكيف أئتمنك على اسم الله الاعظم مر عنى فلا

أراك بعدها « ومن ذلك ماهو منقول عن الافراط فى ذكاء العرب» قيل سار مضر وربيعة وايادو انمار اولاد نزار بن معد الى ارض نجران فبينما هم يسيرون اذرأى مضر كلا قد رعى فقال البعير الذى رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير فقال مضر اهو أعور قال نعم قال ربيعة اهو ازور قال نعم قال اياد اهو أبتر قال نعم قال أنمار اهو شرود قال نعم والله هذه صفات بعيرى دلونى عليه فحلفوا انهم مارأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء القوم وصفوا الى بعيرى بصفته ثم أنكروه فقال الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعلمت أنه اعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت أنه افسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا لتفرق وقال انمار انما عرفت انه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث فقال الافعى ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم واضافهم وبالغ فى اكرامهم « ومنه » ان عقبة الازدى كان مشهورا بمعالجة الجن وصدق العزائم فأتوه بجارية قد جنت فى ليلة عرسها فعزم عليها فاذا هى قد سقطت فقال لاهلها اخلونى بها فاجابوه فلما خلا بها قال لها اصدقينى عن نفسك وعلى خلاصك فقالت انه كان لى صديق وأنا فى بيت أهلى وانهم ارادوا ان يدخلونى على زوجى ولست ببكر فخفت الفضيحة فهل عندك حيلة فى أمرى فقال نعم ثم خرج الى أهلها فقال ان الجنى قد اجابنى الى الخروج منها فاختاروا من اى عضو واعلموا أن العضو الذى يخرج منه الجنى لا بد أن يهلك ويفسد فان خرج من عينها عميت وان خرج من اذنها صمت وان خرج من يدها شلت وان خرج من رجلها زمنت وان

خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال اهلها انا لم نجد شيأ أهون من ذهاب عذرتها فاخرج الشيطان منه فاوهمهم انه فعل ذلك وادخلت المرأة على زوجها «ومن ذلك» ان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه عنه انه قال

اسقني شربة الذعليها　　واسق بالله مثلها ابن هشام

قال فاشخصه وعلم الرجل بالحال فضم اليه بيتا آخر فلما قدم على الامام قال ألست القائل

اسقني شربة ألذعليها　　واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت ثانيا وهو

عسلا باردا بماء سحاب　　انني لا احب شرب المدام

فقال الامام الله الله ارجع الى عملك «ومن لطائف هزليات الاذكياء» ان الرشيد خرج متنزها فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع فاذا هو بشيخ قد ركب حمارا ضعيفا وهو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد يا شيخ فقال حائطا لي قال هل أدلك على شيء تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجني الى ذلك قال خذ عيدان الهوى وغبار الماء وورق الكماة فصير الجميع في قشر جوزة واكتحل من القشر فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة طويلة ثم قال خذ هذه الضرطة أجرة وصفك فان نفعتنا زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر دابته ﴿ومن الجد المفحم﴾ ان رجلا من اليهود قال للامام علي رضي الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير فقال له الامام أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة «ومنه» ان المتوكل قال يوما لجلسائه نعم المسلمون لهم على عثمان أشياء منها أن الامام أبا بكر رضي الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دون مقام أبي بكر وصعد عثمان ذروة المنبر

فقال عبادما أحد أعظم منة عليك من عثمان يا امير المؤمنين قال وكيف ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر ولولا انه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان لمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله « ومن المنقول عن أذكياء الاطباء »
أن جارية من جوارى الرشيد تمطت فلما أرادت ان تمديدها لم تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الاطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق يا أمير المؤمنين لا دواء لها الا أن يدخل اليها رجل أجنبي غريب فيخلو بها ويمرجها بدهن نعرفه فاجابه الخليفة الى ذلك رغبة فى عافيتها فاحضر الطبيب الرجل والدهن وقال أريد أن أمير المؤمنين يأمر بتعريتها حتى يمرج جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك على الخليفة وأمره أن يفعل وأضمر فى نفسه قتل الرجل وقال للخادم خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسعى اليها وأومأ بيده الى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التى قد كانت عطلت حركاتها ولشدة ماداخلها من الحياء والجزع حمى جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها فى فرجها فلما أغطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الخادم وجاء به الى الرشيد واعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف تعمل فى رجل نظر الى حرمنا فمد الطبيب يده الى لحية الرجل فانتزعها فاذا هى ملصقة واذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لابذل حرمك للرجال ولكن خشيت أن أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لانى أردت أن ادخل على قلبها فزعا شديدا ليحمى طبعها ويقودها الى تحريك يدها وتمشى الحرارة الغريزية فى سائر اعضائها بهذه الواسطة فسرى عن الرشيد ما كان وقر فى صدره من الرجل وأجزل عطيته « ومن المنقول عن أذكياء المتطفلين »
قال أبو عمرو الجهضمى كان لى جار طفيلى وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم

منطقا وأطيبهم رائحة فكان من شأنه اذا دعيت الى وليمة يتبعني فيكرمه الناس من أجلي و يظنون صحبتي له « فاتفق » ان جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت في نفسي كاني برسول الامير قدجاءني وكأني بالطفيلي قد تبعني والله لئن فعل لافضحنه فانا على ذلك اذجاءني رسول الامير يدعوني فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت فاذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره وقد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني فلما حضرت الموائد كان معي على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت حدثني درسة بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير اذنهم فاكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا فلما سمع الطفيلي ذلك قال انفت لك والله يا أباعمر و من هذا الكلام على مائدة سيد من اطعم الطعام فانه مامن أحد من الجماعة الا وهو يظن انك تعرض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم مااستحييت حتى حدثت عن درسة بن زياد وهو ضعيف وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث والمسلمون على خلاف ماذكرت فان حكم السارق القطع وحكم المغير ان يعزر على مايراه الامام « وأين أنت » من حديث حدثناه أبو عاصم عن ابن جريج عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وهو اسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه قال أبو عمرو والله لقد أفحمني ولم يحضرني جواب فلما خرجنا فارقني من جانب الطريق الى الجانب الآخر بعد ان كان يمشي ورائي وسمعته يقول

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بان لا يصاب فقد ظن عجزا

ومن المنقول عن اذكياء المتلصصين ان بعض التجار قال احتال على رجل بحوالة فكان

يأتيني كل يوم و يأخذ قدر نفقته الى ان نفدت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس
عندى وكان يرانى أخرج من صندوق لى فاعطيه منه فقال لى يوما ان قفل الرجل
صاحبه فى سفره وأمينه فى عصره وخليفته على حفظ ماله وان لم يكن وثيقا تطرقت
الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقا فقل لى ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسى فقلت من
فلان الاقفالى قال فما شعرت يوما وقد جئت الى دكانى وتقدمت الى الصندوق
لاخرج منه شيأ من الدراهم ففتحته فاذا ليس فيه شئ فقلت لغلامى وهو عندى
أمين غير متهم هل أنكرت شيأ من أحوال الدكان قال لا قلت ففتش هل ترى نقبا أم
فى السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان الذى كان فى الصندوق قد ذهب وقلق الغلام
فامسكته وقمت مفكرا وتأخر الرجل عنى فتيقظت له وذكرت سؤاله عن القفل
وقلت للغلام اخبرنى كيف تفتح دكانى وتقفله فقال احمل الدراريب دفعتين وثلاثة
حتى أضعها فى محلها وهكذا أصنع فى غلقها قلت فمن تدع عند الدكان اذا نقلت
الدراريب قال اتركه خاليا قلت فمن ههنا ذهبت فمضيت الى الصانع الذى ابتعت منه
القفل فقلت جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل فقال نعم رجل من
صفته كذا وكذا وأعطانى صفة صاحبى فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء
ودخل الدكان واختبأ فيها ومعه مفتاح القفل وأخذ المال ومكث طول الليل الى
الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدراريب ليضعها فى محلها اخرج وانه ما فعل ذلك
الا وقد خرج من المدينة فخرجت من البصرة ومعى قفلى ومفتاحى فقلت ابتدئ
بواسط فلما صعدت طلبت خانا أنزله فلما دخلت الخان وجدت قفلا مثل قفلى على
باب بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم امس من البصرة فقلت
ما صفته فوصف لى صاحبى فما شككت انه هو وان الدراهم فى بيته فاكتريت
بيتا الى جانبه ورصدته حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل ودخلت البيت
فوجدت كيسى بعينه فاخذته وخرجت ووضعت قفله على بابه ونزلت على الفور فى

السفينة وانحدرت الى البصرة ولم أقم بواسط غير ساعة من نهار فرجعت الى منزلى بمالى كله ﴿ ومن المنقول عن أذكياء الصبيان ﴾ انه وقف اياس بن معاوية وهو صبى على قاضى دمشق ومعه شيخ فقال أصلح الله القاضى هذا الشيخ ظلمنى وأكل مالى فقال القاضى ارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال اياس ان الحق أكبر منى ومنه ومنك قال اسكت قال ان سكت فمن يقوم بحجتى قال فتكلم فوالله لا تتكلم بخير فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضى وولى اياسا مكانه ﴿ ومن المنقول عن أذكياء النساء ﴾ حكى المدائنى قال خرج ابن زياد فى فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها فى الحسن فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمى فانقطع الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية فهرب واشتغلوا عنه بالجارية ومد بعضهم يده الى أذنها وفيها قرط وفى القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة فقالت وما قدر هذه الدرة انكم لو رأيتم ما فى قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له ألق ما فى قلنسوتك وكان فيها وتر قد أعده فنسيه من الدهش فلما ذكره ركبه فى القوس ورجع الى القوم فولى القوم هاربين وخلوا الجارية ﴿ وحكى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء ﴾ نبذة عن الحيوان الذى كان بذكائه يشبه ذكاء الآدميين فمن ذلك ان بعض الكتاب مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض الى قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال كان هنا ملك عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما الى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاؤا باللبن الى الطباخ ونسى أن يغطيه بشئ واشتغل بالطبخ فخرجت من بعض الشقوق افعى فكرعت فى ذلك اللبن ومجته فى الثريدة والكلب رابض يرى ذلك

ولم يجد له حيلة يصل بها الى الافعى وكان هناك جارية زمنة خرساء قد رأت ما صنعت الافعى و وافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال يا غلمان ادركونى بالثريدة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ولج فى الصياح فلم يعلم مراده فقال للغلمان نحوه عنى ومد يده الى اللبن بعدما رمى الى الكلب ما كان يرمى اليه فلم يلتفت الكلب الى شئ من ذلك ولم يلتفت الى غير الملك فلما رآه يريد أن يضع اللقمة من اللبن فى فيه وثب الى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع فى اللبن فسقط ميتا وتناثر لحمه و بقى الملك متعجبا من الكلب وفعله فاومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فدانى بنفسه وقد وجب ان أكافئه وما يحمله و يدفنه غيرى فدفنه و بنى عليه القبة التى رأيتها قات قد أوردنا نبذة لطيفة من كتاب الاذكياء لابن الجوزى مختلفة الانواع وقد تعين ان نورد له هنا نبذة لطيفة من كتاب الحمقاء والمغفلين لانه قال فى كتاب الحمقاء ما وضعت ذلك الا لان النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لحنظلة ساعة وساعة « وعن على » رضى الله عنه انه قال روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل كما تمل الابدان « وكان » رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يحدثهم فاذا أكثروا وثقل عليه الحديث قال ان الاذن مجاجة وان القلوب حمضة هاتوا من أشعاركم وحديثكم « وقال » أبو الدرداء رضى الله عنه انى لاستجم نفسى بشئ من الباطل كراهة ان أحملها من الحق ما عملها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ فى أحاديث العرب واشعارهم ومثله عن الزهرى ومالك بن دينار « وكان » شعبة يحدث فاذا رأى ابازيد قال له ايه أبازيد

استعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار

«ووصف» رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة لقد أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فككها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط «وقال الرشيد» النوادر تستحد الاذهان وتفتق الآذان «وقال آخر» لا يحب الملح الا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم وقال الشاعر

أروح القلب ببعض الهزل　　تجاهلا مني بغير جهل

أمزح فيه مزح أهل الفضل　　والمزح أحيانا جلاء العقل

﴿ قال ابن الجوزي في كتاب الحمقاء ﴾ ان الاحنف بن قيس قال اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق وقال معاوية لرجل كفى أن نشهد عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك «وقال آخر» وتلطف ماشاء من طالت لحيته تكوسج عقله وقال أصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته في عقله وقالوا اذا كان الرجل طويلا طويل اللحية وأضيف الى ذلك أن يكون صغير الرأس فاحكم عليه بالحمق «وقال زياد» مازادت لحية الرجل على قبضة الا كان ذلك نقصانا من عقله وقال الشاعر

اذا عرضت للفتى لحيسة　　وطالت وصارت الى سرته

فقد ضاق عقل الفتى عندنا　　بمقدار مازاد من لحيته

وقال ابن الرومي

ان تطل لحية عليك وتعرض　　فالمخالى مخلوقة للحمير

علق الله في عذاريك مخلا　　ة ولكنها بغير شعير

وقال بعضهم صارم الاحمق فليس له خير من الهجران وقيل مكتوب في التوراة من اصطنع الى احمق معروفا فهى كخطيئة مكتوبة عليه «وقال» سفيان الثورى هجران الاحمق قربة الى الله تعالى «فمن ضرب المثل بحمقه وتغفله» هبنقة

واسمه يزيد وكان قد جعل فى عنقه قلادة من عظام وودع وقال أخشى أن أضيع من نفسي ففعلت ذلك لاعرفها فحولت أمه القلادة الى عنق أخيه فلما أصبح و رآها قال يا أخي أنا أنت وانت أنا وضل له بعير فجعل يقول من وجده فهو له فقيل له فلم تنشده قال لحلاوة الظفر واختصمت بنو طفاوة و بنو راسب فى رجل ادعى كل من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه ان يلقى فى الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من راسب فقال الرجل ان كان الحكم هكذا فقد زهدت فى الطائفتين « ومنهم أبو غبشان » رجل من خزاعة كان يلى سدانة البيت فاجتمع مع قصي ابن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصي ولاية سدانة البيت بزق من خمر وأخذ منه مفاتيحه وسار بها الى مكة وقال يا قريش هذه مفاتيح أبيكم ابراهيم ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم وأفاق أبو غبشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبي غبشان « وقال شاعرهم »

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت ... بزق خمر فبئست صنعة البادى

باعت سدانتها بالخمر وانقرضت ... عن المقام وظل البيت والنادى

« ومنهم ربيعة البكاء » سمي البكاء لانه دخل على أمه وهي تحت زوجها فبكى وصاح أتقتل أمي فقالوا أهون مقتول أم تحت زوج فذهبت مثلا « ومنهم حمزة ابن بيض » قال يوما لغلامه أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة فافتكر الغلام ساعة ثم قال يوم الثلاثاء « ومنهم جحى » قال بعضهم كان من أذكياء الناس وانما كان بينه و بين قوم عداوة فوضعوا عليه حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار الحمقى والمغفلين « قيل » انه دخل الحمام وخرج منه فضربته ريح باردة فمس خصيتيه فاذا احداهما قد تقلصت فرجع الى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا والله مالك فقال سرقت احدى بيضتي ثم انه دخل فى الحمام وحمى فرجعت البيضة فلما

وجدها سجد شكر الله وقال كل شيء لا تسرقه اليد لا يفقد « واشترى يوما » دقيقا وحمله على حمال فلما دخل الحمال في الزحام هرب فرآه جحى بعد أيام فاستتر منه لئلا يطالبه بالاجرة وكان لهم جارية تسمى عميرة فضر بتها ذات يوم أمه فصاحت الجارية فاجتمع الناس على الباب فخرج اليهم فقال مالكم عافاكم الله انما هي أمي تجلد عميرة « ومنهم ابن الجصاص » قيل انه كان يقصد التباله خيفة من الوزير ابن الفرات « فمن المنقول من حمقه » انه كان يوما مع الوزير في مركب ومعه بطيخة فاراد أن يعطيها للوزير و يبصق في البحر فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في البحر هذا من المنقول عما ظهر عنه من التباله « والافقد » روى عنه انه قال لما ولى ابن الفرات الوزارة قصدني قصدا قبيحا وأنفذ العمال الى ضياعي و بسط لسانه بثلبي ونقصي في مجلسه فدخلت يوما داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا بيت مال يمشي على وجه الارض ليس له من يأخذه فقلت هذا من كلام صاحبه وقد كان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا سوى الجواهر والذخائر وغير ذلك فسهرت في ليلتي أفكر في أمري معه فوقع في نفسي الثلث الاخير من الليل ان ركبت الى داره على الفور فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرف الحجاب اني حضرت في مهم فعرفهم فخرج الى احدهم وقال انه في هذا الوقت لا ينتبه فقلت الامر أهم من ذلك فايقظه وعرفه عني ما قلت لك فدخلوا وابطأ ساعة ثم خرج وأدخلني فارتاع لدخولي وظن اني جئته برسالة من الخليفة أو حدثت حادثة وهو متوقع لما أو رده عليه فنظر الي وقال ما الذي جاء بك في هذا الوقت قلت خير ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت الا في أمر يخصني و يخص الوزير ولم تصلح مفاوضته الا على خلوة فسكن روعه وقال لمن حوله انصرفوا فمضوا فقال هات فقلت أيها الوزير انك قصدتني بأقبح قصد وشرعت في هلاكي وازالة نعمتي وفي ازالتها

خر و ج نفسي وليس عن النفس عوض وقد جعلت هذا الكلام عذرا بيني و بينك
فان نزلت تحت حكمي في الصلح والا قصدت الخليفة في هذه الساعة وحولت اليه
ألف ألف دينار وأنت تعلم قدرتي عليها وأقول له خذ هذا المال وسلم الى ابن الفرات
وأسلمك لمن اختاره للوزارة و يقع في نفسي انه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول
ولسان عذب وخط حسن ولا أعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك و بينه
اذا رأى المال حاضرا فيسلمك في الحال اليه و يفرغ عليك العذاب بحضوري
و يأخذ منك المال المعين وأنت تعلم ان حالك تني بها ولكنك تفتقر بعدها
و يرجع المال الى وأكون أهلكت عدوي وشفيت غيظي و زاد محلي بتقليدي
وزيرا فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال يا عدو الله أو تستحل ذلك فقلت
بل عدو الله من استحل مني هذا فقال وما تريد فقلت تحلف الساعة بما استحلفك
من الايمان المغلظة ان تكون معي لا علي في صغير أمري و كبيره ولا تنقص لي رسما
ولا تضع مني بل تبالغ في رفعتي ولا تبطن علي فقال وتحلف أنت أيضا لي بمثل هذا
اليمين على جميل النية وحسن الطاعة فقلت افعل فقال لعنك الله والله لقد سحرتني
واستدعى بدواة فعملنا نسخة يمين وحلف كل منا عليها فلما أردت القيام قال لي يا أبا
عبد الله لقد عظمت في نفسي والله ما كان المقتدر يفرق بيني و بين أحسن كتابي
اذا رأى المال فليكن ما جرى بيننا مطويا فقلت سبحان الله فقال اذا كان غدا
فصر الى المجلس فترى ما أعاملك به فقمت فأمر الغلمان ان يسيروا في خدمتي
بأجمعهم الى داري ولما أصبحت جئته فبالغ في الاكرام والتعظيم وأمر بانشاء
الكتب الى النواحي باعزازي وكلائي وحماية أملاكي فشكرته وقمت فأمر الغلمان
أيضا بالمشي بين يدي والحجاب والناس يتعجبون من ذلك ولم يعلم أحد منا السبب وما
حدثت بهذا الحديث الا بعد القبض عليه ﴿ وذكر ابن الجوزي في الباب السابع
من كتاب الحمقى والمغفلين ﴾ ان جماعة من العقلاء صدر عنهم أفعال الحمقى

وأصروا على ذلك مستصوبين لها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين فاول القوم ابليس لعنه الله تعالى فانه صوب نفسه وخطأ حكمة الله تعالى ورمى عن قوس الاعتراض فى عدم السجود لآدم عليه السلام ثم قال انظرنى الى يوم يبعثون فصارت لذته فى ايقاع العاصى فى الذنب كانه يغبط ونسى عقاب الدائم فلا حمق كحمقه ولا غفلة كغفلته ولله در القائل فى ابليس

عجبت من ابليس فى غفلته وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم فى سجدة وصار قواد الذريته

« الثانى » فرعون فى دعواه الربوبية وافتخاره بقوله أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى فافتخر بساقية لا هو أجراها ولا يعرف مبداها ولا منتهاها ونسى أمثالها مما ليس تحت قدرته وليس فى الحمق اعظم من ادعائه الالهية وقد ضربت الحكماء بذلك مثلا فقالوا دخل ابليس على فرعون فقال له من أنت قال ابليس قال ما جاء بك قال جئت متعجبا من جنونك قال كيف قال أنا عاديت مخلوقا مثلى فامتنعت من السجود له فطردت ولعنت وأنت تدعى انك إله هذا والله هو الحمق والجنون البارد ﴿ ومن عجيب الحمق والتغفل ﴾ اتخاذ الاصنام باليد والاقبال على عبادتها والاله ينبغى ان يفعل ولا يفعل « وكذلك » نمرود فى بنائه الصرح ثم رميه بنشابة يريد ان يقتل اله السموات والارض « وكذلك بنو اسرائيل » حين جاوزوا البحر وقد أنجاهم الله تعالى من تلك الاهوال واستنقذهم من فرعون قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة « وكذلك » قول النصارى ان عيسى اله وابن اله ثم يقرون ان اليهود صلبوه وهذا غاية البله والغفلة « وكذلك » الرافضة يعلمون اقرار على ببيعة أبى بكر وعمر واستيلاده الحنفية من سبى أبى بكر وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم فى الرافضة من يسبهما وفيهم من يكفرهما وكل ذلك يطلبون به حب على بزعمهم وقد تركوا حبهم وراء

ظهورهم « وقد روى » عن الامام أحمد بن حنبل انه قال لو جاءنى رجل فقال انى حلفت بالطلاق ان لا أكلم فى هذا اليوم من هو أحمق وكلم رافضيا أو نصرانيا لقلت له حنثت فقال له ابن الدينارى أعزك الله ولم صارا أحمقين قال لانهما خالفا الصادقين « أما الصادق الاول » فعيسى عليه السلام قال للنصارى انى عبد الله وقال أن اعبدوا الله فقالوا الا وعبدوه جهلا وحمقا « والصادق الثانى » الامام على رضى الله عنه فانه قال عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عن أبى بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما ﴿ ومن المنقول ﴾ عن حمق النساء ان الامين لما حوصر قال لجارية تغنى فغنت

ابكى فراقهم عينى فارقها　　　ان التفرق للاحباب نكباء

« فقال » لعنك الله أما تعرفين غير هذا فغنت

ما اختلف الليل والنهار ولا　　　دارت نجوم السماء فى فلك

الا لينتقل السلطان من ملك　　　غيب تحت الثرى الى ملك

فقال لها قومى فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فقال قائل قضى الامر الذى فيه تستفتيان ولما قتله المأمون دخل على زبيدة ليعزيها به فقالت ان أردت ان تسلينى فى غدائك عندى فتغدى عندها فاخرجت له من جوارى الامين من تغنيه فغنت

هم قتلوه كى يكونوا مكانه　　　كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فوثب المأمون مغضبا فقالت له زبيدة أحرمنى الله أجره ان كنت دسسته اليها أو لقنتها فصدقها وانصرف « ومن ذلك » ان المعتصم لما فرغ من بناء قصره أدخل الناس عليه فاستأذن اسحق بن ابراهيم فى الانشاد فاذن له فانشد

يادار غيرك البلى ومحاك　　　ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم وجميع من حضر المجلس وتعجبوا كيف يصدر من مثل اسحق هذا التغفل المفرط ولم يجتمع بعد ذلك بالدار اثنان ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ عن الحمق

والمغفلين أن عيسى بن صالح تولى قنسرين والعواصم للرشيد وكان من الحمق على جانب عظيم قال بعضهم أتاني رسوله بالليل فامرني بالحضور فتوهمت ان كتابا جاءه من أمير المؤمنين فى مهم احتاج فيه الى حضوري فركبت الى داره فلما دخلت سألت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر فقالوا لا فافضيت الى الخدم فسألتهم فقالوا مثل مقالة الحجاب فصرت الى الموضع الذى هو فيه فقال لى ادخل ليس عندى أحد فدخلت فوجدته على فراشه فقال اعلم انى سهرت الليلة مفكرا فى أمر الى ساعتى هذه فقلت وما هو الامر أصلح الله الامير قال اشتهيت ان يصيرنى الله حورية فى الجنة ويجعل زوجى يوسف الصديق فطال لذلك فكرى فقلت له هلا اشتهيت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يكون زوجك فانه سيد الانبياء عليهم السلام فقال لا تظن انى لم أفكر فى هذا قد فكرت فيه ولكنى كرهت ان أغيظ عائشة رضى الله عنها ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ عن المغفلين من الاعراب قيل صلى اعرابى خلف بعض الائمة فى الصف الاول وكان اسم الاعرابى مجرما فقرأ الامام والمرسلات عرفا فلما بلغ الى قوله تعالى ألم نهلك الاولين تأخر الاعرابى الى الصف الاخير فقال ثم نتبعهم الآخرين فرجع الى الصف الاوسط فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى « ومثله » صلى اعرابى خلف امام صلاة الصبح فقرأ الامام سورة البقرة وكان الاعرابى مستعجلا ففاته مقصوده فلما كان من الغد بكر الى المسجد فابتدأ الامام فقرأ سورة الفيل فقطع الاعرابى الصلاة وولى هاربا وهو يقول أمس قرأت سورة البقرة فلم تفرغ منها الى نصف النهار واليوم تقرأ سورة الفيل ما أظنك تفرغ منها الى الليل « ومنه » كان اعرابى قائما يصلى فأخذ قوم يصفونه بالصلاح وهو يسمع فقطع الصلاة وقال وأنا مع هذا صائم « ومنه » دخل خالد بن صفوان الحمام وفى الحمام رجل ومعه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ما عنده من البيان والنحو فقال يابنى ابدأ

بيداك و رجلاك ثم التفت الى خالد فقال له ياأ بى صفوان هـذا كلام قدذهب أهله فقال خالد هـذا كلام ماخلق الله له أهلا ﴿ ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء ﴾ ان بعضهم دخـل مسجد الـكوفة يوم الجمعة وقدنمـاخبر المهدى انه مات وهم يتوقعون قراءة الـكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته مات الخليفـة أيها الثقلان فقالوا هذا أشعر الناس فانه نعى الخليفة الى الانس والجن فى نصف بيت ومـدت الناس أبصارهم وأسماعهم اليـه فقال فكأ ننى أفطرت فى رمضـان قال فضحك الناس وصار شهرة فى الحمق ومثله ان سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء فانشدوه فدخل معهم رجل شـامى فانشده

وكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط   وكنت كسنور عليهم تسقفا

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكى فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق له وأمر برده وقال له مالك تبكى قال قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه اطلب منه بعض ما يقدر عليـه فلمـا خاب أملى بكيت فقال له سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم وكم كنت املت قال خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم فاخـذها وانصرف ﴿ ومن المنقول عن المغـفلين على الاطلاق ﴾ قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العـلم فجلست اليهم وهم ينقصون من على بن أبى طالب رضى الله عنـه فقمت من عنـدهم مغضبا فرأيت شيخا جميلا يصلى فظننت به الخير فجلست اليـه فقلت له ياعبد الله اماترى هؤلاء القوم يشـتمون على بن أبى طـالب و ينقصونه وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم محمـد صلى الله عليه وسـلم فقال لى ياعبد الله لونجا احد من الناس لنجا منهما بو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن ابو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكى فقمت من عنده وحلفت لاأقيم بها «ومن ذلك» ان رجلا سأل بعضهم وكان من الحمق على جانب عظيم فقال ايمـا افضل عندك معاوية

ابوعيسى بن مريم فقال ما رأيت سائلا اجهل منك ولا سمعت بمن قاس كاتب الوحى الى نبى النصارى « ومن ذلك » ان لصا تسور روزنة بيت وكان اللص مغفلا فنظر من خلال الروزنة فوجد رجلا وزوجته وهى تقول له يا رجل من أين اكتسبت هذا المال العظيم فقال لها كنت لصا وكنت اذا تسورت روزنة بيت صبرت الى ان يطلع القمر فاذا طلع اعتنقت الضوء الذى فى الروزنة وتدليت بلا حبل وقلت شولم شولم ونزلت فآخذ جميع ما فى البيت ولا تبقى ذخيرة من ذخائر البيت الا ظهرت لى ثم اقول شولم شولم واصعد فى الضوء ولا ينتبه احد من اهل البيت واذهب بلا تعب ولا كلفة فسمع اللص ذلك فصبر الى ان طلع القمر ونام اهل البيت فتعلق فى ضوء الروزنة فوقع وتكسرت اضلاعه فقام اليه صاحب البيت وقبض عليه وأسلمه الى صاحب الشرطة « ومنهم » من كان يسوق عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها فاذا هى تسعة حمير فنزل وعدها فاذا هى عشرة فقال امشى وار بح حمارا خير من ان اركب واخسر حمارا فمشى حتى كاد يتلف الى ان بلغ قريته « ومنهم » من مات بعض اقاربه فقيل له لم لا تبعت جنازته فقال هذا الكلام ما يقوله عاقل اكون منسيا فاذكر بنفسي « ومن ذلك » ان بعض المغفلين سمع رجلا ينشد

وكان بنو عمى يقولون مرحبا فلما رأونى معدما مات مرحب

فقال كذب الشاعر مرحب قتله على بن ابى طالب ولم يمت الا قتيلا ومنهم من باع دارا وكان يؤذن بباب مسجد بالقرب منها فانسى انه باعها فصلى ورجع اليها ودخل من الباب فصاحت النسوة وقلن له يا رجل اتق الله فينا فقال اعذرونى فانى ولدت فى هذه الدار ولم اذكر البيع « ومنهم » من رأى جاريته تحت رجل يجامعها فقال لها يا جارية ما حملك على هذا فقالت له يا مولاى حلفنى بحياة رأسك وانت تعلم صدق محبتى لك فسكت « ومنهم » من سمع ان صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام الى الظهر وقال يكفينى ستة اشهر « ومنهم » من جاء الى الحب ونظر فيه فرأى خيال

وجهه فذهب الى امه وقال يا أمى فى الحب لص فجاءت الام فتطلعت فرأت فيه خيال وجهها فقالت صدقت ومعه قحبة « ومنهم » من دعا فقال اللهم اغفرلى ولامى ولاختى ولامرأتى فقيل لم تركت ذكر ابيك قال لانه مات وانا صبي لم ادركه « وقال رجل لرجل » كم فى هذا الشهر يوم فنظر وقال والله لست من اهل هذه المدينة « ومن ذلك » ان هشام بن عبد الملك عرض الجند فتقدم رجل حمصي بفرس كلما قدمه يتأخر فقال له هشام ماهذا قال ياسيدى فاره ولكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر « ومنهم » من قيل له عندك مال جزيل وليس لك الا والدة عجوز وان مت ورثتك فافسدت مالك فقال انها لا ترثنى قيل وكيف قال لان ابى طلقها قبل ان يموت « ومنهم » من جاء اليه جماعة يسألونه فى كفن لجار له مات فقال ماعندى الآن شيء ولكن عاودونى فى وقت آخر قالوا افنملحه الى ان يتيسر عندك شيء « ومنهم » من تقدم يصلى المغرب بجماعة فاطال القيام فلما فرغ من الصلاة سجد سجدتى السهو ولم يكن سها فقيل نحن انكرنا عليك طول القراءة فما الجواب عن سجدتى السهو ولم تكن سهوت فقال ذكرت انى صليت بكم على غير وضوء فسجدت للسهو « ومن ذلك » ان عبدا كان بين اثنين فى الشركة فجعل احدهما يضربه فلامه شريكه فقال انما اضرب حصتى « ومنهم » من قيل له كيف صنعتم فى رمضان فقال اجتمعنا ثلاثين فانفذناه فى يوم واحد واسترحنا منه « قال الاصمعى » خرج جماعة من بنى غفار ومعهم رجل مغفل فاصابتهم ريح فى البحر ايسوا معها من الحياة فاعتق كل واحد منهم مملوكا او مملوكة فقال ذلك الرجل اللهم انك تعلم انى ليس لى مملوك ولا مملوكة ولكن امرأتى طالق طلقة واحدة لوجهك الكريم « قال ابن الجوزى » فى آخر كتاب الحمقاء والمغفلين ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد ان تكون اكسير القلة العقل وابراز الحماقة « وقال » عدل عقل امرأة سبعين حائكا وعدل عقل حائك سبعين معلما وسيبه

قلة عقل المعلم انه مع الصبيان بالنهار ومع النساء بالليل وكان يحيى بن اكثم لا يقبل
شهادة المعلم «وقيل» لصبي مالنا نراك كثير الحمق فقال لو لم اكن كذلك
لكنت ولد زنا «وقيل» لمعلم مالك تضرب هذا الصبي ولم يذنب قال انما
ضربته قبل ان يذنب لئلا يذنب «وقال» الجاحظ مررت بمعلم وهو يقرئ صبيا
واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك
كيدا او كيد كيدا فقلت له ويحك قد ادخلت سورة في سورة فقال نعم عافاك الله
اذا كان ابوه يدخل شهرا في شهر فانا ايضا ادخل سورة في سورة ولا آخذ شيأ
ولا ابنه يتعلم شيأ انتهى ما تخيرته من كتاب الاذكياء والحمقاء والمغفلين ﴿ ومما
تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر ﴾ ان الوليد بن يزيد لما بلغه ان ابن عمه يزيد
ابن الوليد بن عبد الملك قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه اهل اليمن ونازعه في
ملكه احتجب عن سماره ودعا في بعض الليالي خادما فقال له انطلق متنكرا حتى
تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيئة يمشي
مشيا هوينا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في اذنه امير المؤمنين يدعوك فان اسرع
في الاجابة فائتني به وان استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذي
ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه برجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد حياه
بتحية الخلافة فامره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر الى ان ذهب روعه وسكن جاشه
ثم اقبل عليه فقال له اتحسن المسامرة للخلفاء فقال نعم يا امير المؤمنين فقال الوليد
ان كنت تحسنها فاخبرنا ما هي فقال يا امير المؤمنين المسامرة اخبار لمنصت وانصات
لمخبر ومفاوضة فيما يعجب و يليق فقال له الوليد احسنت لا ازيدك امتحانا فقل
اسمع لقولك فقال الكهل نعم يا امير المؤمنين ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما
احدهما الاخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني الاخبار بما يوافق غرضا من
اغراض صاحب المجلس واني لم اسمع بحضرة امير المؤمنين طريقة فانحو نحوها والزم

اسلو بها فقال الوليد صدقت وها نحن نقترح لك ما تقتفيه قد بلغنا ان رجلا من رعيتنا سعى فى ضرر ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين فقال له الوليد قل الآن على حسب ما سمعت وعلى ما ترى من التدبير فقال يا أمير المؤمنين بلغنى عن امير المؤمنين عبد الملك بن مروان انه لما ندب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية فى نيل الخلافة وكان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه كان يحترمه ولما ابعد امير المؤمنين عن دمشق تمارض عمرو بن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين فى العود الى دمشق فاذن له فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا الناس الى خلع عبد الملك فاجابوه الى ذلك وبايعوه وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان والى حمص قد نزع يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فاحضر وزراءه فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم دمشق ملكنا قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر بن الحارث امير فلسطين قد خرجا عن الطاعة وبايعا الناس لابن الزبير وهذه المضربة بسيوفها تطالبنا بقتلى المرج فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون هذا وقت الحاجة اليكم فقال أفضلهم وددت أنا أكون طيرا على عود من اعواد تهامة حتى تنقضى هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وأمرهم بلزوم موضعهم وركب منفردا وامر جماعة من شجعانه ان يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار عبد الملك حتى انتهى الى شيخ ضعيف البدن سيء الحال وهو يجمع سماقا فسلم عليه عبد الملك

وآنسه بحديثه ثم قال له أيها الشيخ ألك علم بنزول هـذا العسكر فقال الشيخ وما سؤالك عنه فقال عبد الملك انى أردت الانتظام فى سلكه فقال له انى أرى عليك سمة الرياسة فينبغى لك ان تصرف نفسك عن هـذا الرأى فان الامير الذى انت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان فى اضطراب اموره كالبحر اذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوى على جـذب نفسي الى صحبة هـذا الامير فهل لك أن ترشـدنى الى رأى اتفق به عنـده فلعله يكون سبب قربى منه فقال الشيـخ ان هذه النازلة التى نزلت بهـذا الامير من النوازل التى لا تنفذ فيها العقول وانى لاكره ان ارد مسئلتك بالخيبة فقال له عبـد الملك قل جزاك الله خيرا فقال الشيـخ ان هذا الخليفة خرج الى قتال عـدوه والارادة غـير قابلة لمراده والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يرد ماقصـده من محـاربة ابن الزبير ووثوب عمرو بن سعيد على منـبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خـلافته فاذا قصدت هذا الامـير وانتظمت فى سلـكه انظر فى امره فان رأيتــه قد اصر على قصده ابن الزبير فاعلم انه مخـذول فاجتنبه وان رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الاول فارج له النصر والسلامة فقال عبد الملك ياشيخ وهل رجوعـه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير فقـال الشيـخ ان الذى اشكل عليك لو اضح وها أنا ازيل عنك اللبس وهو ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان فى صورة ظالم لان ابن الزبير لم يعطه طاعـة قط ولا وثب له على مملـكة فاذا قصـد ابن سعيد كان فى صورة مظلوم لانه نـكث بيعته وخان أمانتــه ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لابيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمر وعليها متعد ومن الامثال سمين الغصب مهزول ووالى الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفى النفس ويزيل اللبس زعموا ان ثعلبا كان يسمى ظالمـا وكان له جحر يأوى اليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغى ما يأكل ثم رجع فوجـد فيه حيـة فانتظر خروجها فلم تخرج فعـلم انها استوطنته وذلك ان الحية لا تتخـذ جحرا بل اذا اعجبها جحر

اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان اظلم من حية فهذا ظلمها ولما
رأى ظالم ان الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها ذهب يطلب لنفسه
مأوى فانتهى به السير الى جحر حسن الظاهر حصين فى ارض منيعة ذات أشجار
ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه مفوض وانه
ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وادخله الى جحره وسأله عن حاله
فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت فى طلب الثار خير من الحياة
فى العار والرأى عندى ان تنطلق معى الى مأواك الذي اخذ منك غصبا حتى أنظر
اليه فلعلى اهتدى الى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتأمله
مفوض وقال لظالم اذهب معى فبت الليلة عندى لا نظر ليلتى هذه فيما يسنح من
الراى والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض
فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر الحيلة فى
اغتصابه ونفى مفوض عنه فلما اصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك الجحر بعيدا
من الشجر والماء فاصرف نفسك عنه وهلم اعينك على احتفار جحر فى هذا المكان
المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لان لى نفسا تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع
مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة فى وطنه قال له انى أرى ان نذهب يومنا
هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا جاء الليل انطلقنا الى بعض هذه
الخيام فاخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس الى مسكنك فنجعل الحزمتين
فى بابه ونضرم النار فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الجحر قتلها الدخان فقال له
ظالم هذا نعم الرأى فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض الى
ظاهر تلك الخيام فاخذ قبسا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فازالها الى موضع
غيبها فيه ثم جرا الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض فسده بها سدا محكما وقدر
فى نفسه ان مفوضا اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته فاذا يئس منه ذهب

فنظر لنفسه مأوى وكان ظالم قد رأى فى منزل مفوض طعاما ادخره لنفسه فعول ظالم
على انه يقتات به ان حاصره مفوض وهو من داخل واذهله الشره والحرص عن
فساد هذا الراى ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن أن
ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه وانه سبقه الى مسكنه الذى فيه الحية اشفاقا على
مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الرأى ان يبادر اليه و يلحقه ليحمل معه الحطب
فوضع القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر ان الباب مسدود به لشدة الظلمة فما أ بعد
عن الباب الا وضوء النار وشدة الدخان قد لحقا به فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب
قد صار نارا فعلم مكيدة ظالم و رآه قد احترق من داخل الجحر وحاق به مكره فقال
هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم ان مفوضا صبر حتى انطفأت النار فدخل جحره
فاخرج جثة ظالم فالقاها واستوطن جحره آمنا فهذا المثل ضربته لك لانه ملائم
لفعل عمرو بن سعيد فى بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته فى اخذ دار ملكه وتحصينها
منه وهذا فعل ظالم مع مفوض والله اعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ فى ضرب
أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه فقال جزيت عنى خيرا وانى أريد ان
تجعل بينى و بينك موعدا وتعرفنى مكانك لالقاك به بعد يومى هذا فقال الشيخ
وما تريد بذلك فقال له عبد الملك انى أريد مكافأتك على ما كان منك فقال له الشيخ
انى أعطيت الله عهدا أن لا اقبل منة لبخيل فقال عبد الملك ومن اين علمت انى
بخيل فقال لانك اخرت صلتى مع القدرة فما عليك لو وصلتنى ببعض ما عليك
فقال عبد الملك أقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال له اقبل منى هذا واحترس
عليه فقيمته عشرون ألف درهم فقال الشيخ انى لا اقبل صلة ذاهل فدعنى و ربى
الذى لا يذهل ولا يبخل فهو حسبى فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم فى
عينه وعلم فضله فى دينه فقال له انا عبد الملك فارفع حوائجك الى فقال الشيخ وأنا
أيضا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا الى من انا وأنت له عبدان فانطلق عبد الملك وعمل

رأى الشيخ فانجح الله قصده وانتصر على اعدائه فلما سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجح عقله واستظرف أدبه واستحسن محاضرته وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحى منه وقال له من جهل مثلك فى رعيته ضاع فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم ابوابها فقال له الوليد صدقت ثم أمر له بصدقة معجلة وعهد اليه فى ملازمته فكان يتمتع بأدبه وحكمته الى أن كان من امر الوليد ما هو مشهور والله أعلم ﴿ومما تخيرته من عجائب سلوان المطاع﴾ قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه وعقلاء وزرائه وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال او زر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيان من المشايخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان من ادهى الناس فى الحزم وسداد الرأى واختلاف الاديان ولغاتها وكان من المتبحرين فى العلوم والمبرزين بالمكائد فسلم اليه سابور جميع ما يحتاج اليه فى سفره وأمره ان لا يتجاوز فى السير ولا يبعد عنه بحيث يراعى جميع احواله فى ليله ونهاره فتوجها نحو الشأم ولبس ذلك الوزير زى الرهبان وتكلم بلسانهم وتحرف بصناعة الطب الجرائحى وكان معه الدهن الصينى الذى اذا دهنت به الجراحات ختمت بسرعة واندملت فكان ذلك الوزير فى مسيره نحو بلاد الروم يداوى الجراحات بادوية يضيف اليها يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة واذا عنى بأحد من ذوى الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ على الفور ولا يأخذ على ذلك أجرة فانتشر ذكره فى بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر واقبل عليه الناس وكان مع انفراده مع سابور يراعى جميع احواله فلم يزالا كذلك حتى طافا جميع الشأم وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم ابو الآباء فاستأذن عليه فاذن له وسأله عن قصده فاخبره انه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل فى اتباعه

ثم اهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن نزله والحقه بطانته واختبره فوجده عالما بدينهم بل مبرزا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل احوال البطرك ليصحبه بما يلائمه وينفق عنده فوجده مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار وكان الوزير فى ذلك غاية فاخذ يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطرك لم يطق عن الوزير صبرا لانه حلا لعينه وحل بقلبه وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم قدره فى الناس هذا وهو يتعاهد احوال سابور فى كل وقت الى ان صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فاراد سابور حضورها ليطلع على احوال قيصر وعلى رتبته فى قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وتزيا بزى ظن انه يستتر به ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احترامه من سابور وخيفته من ان يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة ذلك صور سابور فى مجلسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفى آلات أكله وشربه ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر فى مجلسه واكل مع من حضر اتوا بالشراب فى كؤس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم وكان فى المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد فى تأمله وصل اليه دور الكاس فتأمل الصورة التى على الكاس وراجع النظر فى سابور فما شك ان الصورة التى على الكاس وضعت على مثاله وغلب على ظنه انه سابور فامسك الكاس فى يده امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التى على هذا الكاس تخبرنى اخبارا عجيبا فقيل له وما الذى تخبرك فقال تخبرنى ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فادناه وقربه وسأله فاخبر ان سابور معه فى مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض عليه وقرب من

قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل لم تقبل فقال ذلك المتفرس أيها الملك لا تقبل قوله فانه سابور لا محالة فهدده قيصر بالقتل فاعترف انه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر ان يعمل له من جلود البقر صورة بقرة وتطبق عليها الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب وتجعل لها كوة لاجل البال ويستقر سابور بها وتجمع يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول ما يعمل له من طعام وشراب وغير ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من ذوى البأس والشدة يحملونها وصرف أمره الى المطران وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة التى فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب بلاد فارس ولما جد السير قال وزير سابور للبطرك أيها الاب انما استفدت بخدمتك الرغبة فى مصالح الاعمال ولا عمل أصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر منفعة الى مضطر وقد علمت اجتهادى فى مداواة الجرحى وان نفسى تنازعنى الى صحبة الملك قيصر فى سفره هذا لا غير فلعل الله تعالى يستنقذ بى نفسا صالحة أو يسوقنى الى مداواة جريح من العسكر ليتقدس قلبى بهذه المثوبات فكره البطرك ذلك وقال له قد علمت انى لا أستطيع فراقك فكيف تطالبنى بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع الى البطرك الى ان استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه الى المطران يخبره برتبته عنده وانه يحله فى أعلى المراتب ويستضىء برأيه اذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وأنزله فى قبته وجعل زمام امره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه ويطرفه فى كل ليلة بطرف الاخبار

رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس فى احاديثه مايريدان يعلمه به ويطلعه من الاسرار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وكان الوزير قد أعد لخلاص سابور انواعا من المكايد رتبها عندما اقدم على المطران منها انه امتنع عن مؤاكلة المطران وأخبره انه لا يخلط بطعام البطرك غيره لاجل بركته فكان اذا حضر طعام المطران أخرج هو ذلك الزاد الذى معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ أرض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الاشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولى على دار ملك سابور قبل ان يشعروا فيملكوا عليهم رجلا منهم ولم يكن للفرس هم الا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه فاحاط بها ونصب عليها آلات الحصار ولم يكن عندها قوة ولا منعة فى دفعه أكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من كنايات الوزير فى محاضراته للمطران ولكن لم يسمع له كلمة من حين سجنه قيصر فى تلك الصورة فلما علم سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته وأشرف على فتح البلد عيل صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت منى منالا اضعفت قوتى عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عنى منها واجعلوا بينها وبين يدى وعنقى خرقا من الحرير فجاء الموكل بالطعام الى المطران وأعلمه بالذى قاله سابور فسمعه الوزير وعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما أراد سابور فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ماذكرته منذ كذا وكذا وددت انى كنت حدثت به البطرك قبل سفرى فقال له المطران انى أرغب اليك ان تحدثنى الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير حبا وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض ويستأنس فقال اعلم أيها المطران انه كان ببلادنا فتى وفتاة ليس فى

زمانهما أحسن منهما اسم الفتى عين أهله واسم الفتاة سيدة الناس وكانا زوجين مؤتلفين لا يبتغى احدهما بالآخر بدلا ثم ان عين أهله جلس يوما مع أصحابه فتذاكروا النساء الى ان ذكر أحدهم امرأة أطنب فى وصفها وبالغ وذكر ان اسمها سيدة الذهب فوقع فى قلب عين أهله حبها فسأل الواصف عن منزلها فذكر انها ببلد بالقرب من بلده ففكر عين أهله فى أمرها وخامره حبها فانطلق الى البلد التى هى ساكنة بها وسأل عن منزلها فعرفه ولم يزل يتردد الى بابها حتى رآها فرأى منظرا حسنا ولكن لم تكن بأحسن من امرأته بل ضرورات النفس حب التنقل فى الاحوال ولازم عين أهله المعاودة الى منزل سيدة الذهب حتى فطن له بعلها وكان جافيا غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه الى داخل دار الذئب وربطوه الى سارية فى الدار ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن عليه الليل وقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلى فذكر عين أهله ما كان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاء شديدا فأقبلت عليه العجوز وقالت له ماذنبك الذى أوجب هذا فقال عين أهله ما علمت لى ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين أهله للعجوز وما الذى كذب فيه الفرس عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا ان فرسا كان لاحد الشجعان فكان يبالغ فى اكرامه ويحسن اليه ويعده لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به فى صحبته كل يوم فيزيل لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى فى كل مرج مخصب حتى يرتفع النهار فيرده وهو على يده ثم انه خرج يوما الى المرج راكبا ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس الى أهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب

عن الفرس وأظلم عليه الليل جاع وطلب ان يرعى فمنعه اللجام و رام ان يتمرغ فمنعه السرج و رام ان يضطجع فمنعه الركاب فبات بشر فلما أصبح ذهب يبتغى فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى جهته الاخرى فاذاهو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد ما أتقن فى دبغه فلما خرج أصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم موضع اللبب والحزم واشتد به الضرر وقوى به الجوع ومضت عليه أيام فتزايد ضعفه وعجز عن المشي فمر به خنزير فهم بقتله فرآه ضعيفا جدا فسأله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وسأله ان يصنع معه معروفا و يخلصه مما هو فيه فسأله الخنزير عن الذنب الذى أوقعه فى تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت خلصتك مما أنت فيه ومن جهل ذنوبه وأصر عليها لم يرج فلاحه فحدثنى يافرس عن ابتداء أمرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس وأخبره بجميع أمره و كيف كان عند فارسه مكرما و كيف فارقه وما لقى فى طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير تالله لقد كفرت النعم وأكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك الذى بالغ فى الاحسان اليك وأعدك لمهماته ومنها كفرك احسانه ومنها تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام ومنها اساءتك لنفسك بتعاطيك التوحش الذى لست من أهله ولا لك عليه مقدرة ومنها اصرارك على ذنبك وكنت قادرا على العود الى فارسك قبل ان يوهيك اللجام والجوع والحزام واللبب بالالم فقال الفرس للخنزير قد عرفت ذنبي فانطلق عنى ودعنى فانى استحق اضعاف ما انا فيه فقال الخنزير بعد ان عرفت وعدت على نفسك باللوم واخترت لها العقوبة على جهلها تعين الشروع فى خلاصك ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس قال فلما سمع عين أهله ما خاطبته به العجوز قال لها صدقت فيما نطقت قد أدبتنى فتأديت ثم أعلمها بخبره ثم رغبها فى أن تمن عليه بالخلاص

كما فعل الخنزير بالفرس فقالت العجوز الذى سألتنى لا يمكننى فعله الآن ولعلى أجد لك فرجا ومخرجا عن قريب فعليك بالصبر وأمسكت العجوز عن مخاطبته قال فلما انتهى الوزير فى حديثه الى هذه الغاية أقبل على المطران وقال انى أحس فى أعضائى فتورا وفى رأسى صداعا ولم أقدر الليلة على اتمام الحديث ولعلى أكون الليلة القابلة نشيطا الى ذلك فنهض الى مضجعه فجعل سابور يتأمل حديث الوزير ويتأمل الامثال التى ضربها له ودسها فى المسامرة ففهم أن الوزير كنى عن سابور بعين أهله وكنى عن مملكته بسيدة الناس وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب الذى ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور الى مملكة الروم بطموح نفس عين أهله الى رؤية سيدة الذهب وكنى عن أخذ قيصر له بقبض الذئب على عين أهله وكنى عن نفسه وحاله وعجزه بالعجوز القطعاء وعرفه أنه لا يمكنه تخليصه فى هذا الوقت كما قررت العجوز لعين أهله وانه شارع فى خلاصه فاستروح سابور ريح الفرج فسكنت نفسه ووثق بوزيره فلما كانت الليلة القابلة وتعشى المطران وأخذ مقعده للمسامرة قال الوزير أيها الحكيم الراهب أخبرنى ما كان من أمر عين أهله وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا « فقال » الوزير سمعا وطاعة فشرع فى حديثه وقال ان عين أهله أقام على حالته عدة أيام وكل يوم يدخل عليه الذئب ويهدده بالقتل ويزيده قيدا ثم ان العجوز جاءته فى بعض الليالى وأضرمت لها بالقرب منه نارا وجلست تصطلى ثم أقبلت على عين أهله وقالت له ساعدنى على خلاصك بالصبر فقال لها عين أهله هان على الطليق ما لقى الاسير فقالت العجوز حدثنه سنك قصرت فهمك عن ادراك الحقائق أفتسمع حديثا لك فيه سلوة قال نعم « فقالت » العجوز ذكروا أن بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفا به فاتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبى بذلك الخشف الصغير فكان لا يفارقه وجعلوا فى جيده حليا نفيسا ور بطوا له شاة

بوضعه حتى اشتد ونجم قرناه فاعجبه بريقهما وسوادهما وقال لاهله ماهذا الذى ظهر فى رأس الخشف قالوا قرناه وقالوا له انهما سيكبران ويطولان فقال الغلام لابيه انى أحب ان أرى غزالا كبيرا له قرنان كاملان فامر أبوه بعض الصيادين أن يصيد له غزالا كبيرا فاحضر له غزالا قد استكمل قوة ونموا فاعجب الغلام وحلى جيده أيضا فتأنس الغزال الكبير بالخشف الصغير للمجانسة الطبيعية فقال الخشف للغزال ما كنت أظن لى فى الارض شكلا قبل ان أراك فقال له الغزال ان أشكالك كثيرة فقال الخشف وأين هى فاخبره الغزال بتوحشها وانفرادها فى فلوات الارض وتناسلها فارتاح الخشف لذلك وتمنى أن يراها فقال له الغزال هذه أمنية لاخير لك فيها الا انك نشأت فى رفاهية من العيش ولو تحصلت على ما تمنيت لندمت فقال الخشف للغزال لابد من اللحاق باشكالى فلما رأى الغزال ان الخشف غير راجع لم يجد بدا من قضاء اربه لحرمة الالفة فرصدا وقتا قابلا وخرجا معا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الخشف فرح ومرح ومر يعدو ولا يلتفت الى ماوراءه فسقط فى أخدود ضيق قد قطعه السيل فانتظر أن يأتيه الغزال فيخلصه فلم يأته وأما ولد التاجر فانه تنكد لفقد الخشف والغزال واشفق أبوه عليه فاستدعى كل من يعانى الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال ووعدهم بالمكافأة على ذلك وركب التاجر معهم وفرق اتباعه على أبواب المدينة ينتظرون من يأتى من الصيادين وانطلق هو وعبيده حتى دخلوا الصحراء فرأوا على بعد رجلا منكبا على شئ بين يديه فاسرعوا نحوه فرأوا صيادا قد أوثق غزالا كبيرا وقد عزم على ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذى لولده فخلصه من الصياد وأمر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلى الذى كان على الغزال فسأله كيف ظفر به وأين وجده فقال انى بت فى هذه الصحراء ونصبت شركا ومكثت قريبا منه فلما أصبحت مر على هذا الغزال ومعه خشف يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الخشف يمشى

حتى حصل فيه فقنصته وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطئ فى ادخال هذا الظبي الى المدينة حيا لعلمى انه اذا رؤى حيا طولبت بما كان عليه من الحلى فرأيت ان أذبحه وأدخل به لحما فهذا خبرى فقال له التاجر لقد جنى عليك طمعك الخيبة فماذا عليك لو أطلقته وحصلت ما كان عليه من الحلى ثم ان التاجر أرسل الغزال الى ولده مع أحد عبيده وقال للصياد ارجع معى فارنى الجهة التى رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة فسمع من قريب صوته فصاح به التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فادركه فاذا هو فى ذلك الاخدود ملقى فاخذوه ووهب التاجر للصياد ما رضى به وصرفه ورجع التاجر بالخشف الى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الخشف يتجنب الغزال الكبير اذا رآه ولا يألفه فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهد أهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف نائم فى كناسه اذ دخل عليه الغزال فايقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف اما انت الذى غدرت وقد علمت احتياجى فى غربتى الى معاونتك فقال له والله ما أخرنى عن ذلك الا وقوعى فى شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره وعادا الى الالفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب العجوز وفهم كنايتها عن عجزها فى تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحديث سكت فقال له المطران أيها الحكيم الراهب ما هذا السكوت فقال الوزير قد عاودنى ذلك الفتور الذى أجده فى أعضائى فقال المطران لا تفعل فان ذلك يشق على فقال الوزير نعم افعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وبات عين أهله تلك الليلة فى أضيق الاحوال ولما أصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر ان تجلس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل فايقن بقتله فى تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل

ثم قال للعجوز لم احظ فى هذه الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبى لقولك لى هان على الطليق ما لقى الاسير ولو اعتبرت باطن حالى لعلمت أن اسرى أشد من اسرك فاستمع لى أحدثك « اعلم أيها الفتى » انى كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لى محبا فكنت معه فى أرغد عيش وولدت له أولادا كثيرة فغضب الملك على زوجى لامر كان منه فقتله وقتل أولادى الذكور وباعنى أنا وبناتى فاشترانى هذا الفارس الذى عدا عليك واحتملنى الى هذه البلدة وأساء الى وكلفنى من العمل ما لا أطيق ولى معه على هذه الحالة سبع سنين ثم فررت منه فظفر بى فقطع يدى وعاود عسفى ومضرتى وقد عزمت على تخليصك الليلة وما أشك انه يقتلنى وجل قصدى ذلك لاجل الراحة مما أنا فيه ولاجل ذلك أنا أكثر الدخول والخروج اليك وأنا فى غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم انها فتحت قيود عين أهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها فقال لها عين أهله ان تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك فى دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومى اذهبى معى لكى ننجو اما أو نعطبا معا فقالت ان كبر سنى وضعف بصرى يمنعانى من اتباعك فقال لها عين أهله ان الليل متسع والموضع الذى أنا فيه قريب ولى قوة على حملك فقالت له العجوز اذ عزمت على هذا فانى لا أحوجك الى حملى وخرجا معا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث أمنا فجزاها عين أهله خيرا على ما صنعت واتخذها اما فهذا ما بلغنى من ذلك فقال المطران ما أعجب أحاديثك أيها الحكيم ولقد وددت انى لا أفارقك أبدا ونهض كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل امثاله ففهم ان الخشف مثل لسابور وان الغزال الكبير مثل للوزير وان خروج الخشف مع الغزال الى الصحراء وحصول الخشف فى الاخدود مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل سابور فى حبس قيصر وان نفار الخشف عن الغزال لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وتحقق أن الوزير قد عزم على خلاصه والخروج

به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وانه يحمله ان عجز عن المشي فايقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ بها الطعام للمطران وبها الموكلون بقبة سابور نائمون ينتظرون الطعام فتحيل الى ان القى فى الطعام مرقدا اقوى الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير با كل زاده على ماجرت به العادة فلم تكن الاساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير الى فتح باب البقرة واستخراج سيده وأزال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا منها الى سورها فصرخ بهم الموكلون فتقدم الوزير اليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدر والهما وادخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وأمرهم أن يأخذوا اهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الاول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثاني يحملون بأجمعهم فامتثلوا أمره ثم ان سابورا انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان اساورته ووقف معهم مما يلي الجهة التي فيها أخبية قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا من كل جهة وقصد سابور أخبية قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسدأبوابهم فما شعروا حتى دهموهم وأخذ سابور قيصر أسيرا وغنم جميع ما فى عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور الى مدينته ودار مملكته فقسم تلك الغنائم بين أهل عسكره وأحسن الى حفظة ملكه وفوض جميع أموره الى الوزير ثم انه أحضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له انى مبق عليك كما أبقيت على وغير مجازلك على التضييق ولكن آخذك باصلاح ما أفسدت من جميع ملكي فتبني ما هدمت وتغرس جميع ما قلعت وتطلق كل من عندك من أسارى الفرس فضمن له جميع ذلك ووفى به فلما تم لسابور ما أراد من ذلك كله

أحسن الى قيصر وأطلقه وجهزه الى دارملكه واستمر قيصر على مهادنته والانقياد الى طاعته انتهى ﴿ ومن لطائف المنقول قصة أرينب بنت اسحق زوج عبدالله بن سلام ﴾ كان عبدالله بن سلام واليا بالعراق من قبل معاوية وكانت أرينب بنت اسحق زوجاله وهي من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قدهام بجمالها وأدبها على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبعث له شأنه فقال معاوية مهلا يا يزيد قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال معاوية وأين حجاك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجا ونفد الصبر قال له يابني ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت ارينب بنت اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الامثال فاخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب الى عبدالله ابن سلام يستحثه على الحضور لمصلحة عينها له وكان عند معاوية يومئذ بالشأم أبوهريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبدالله بن سلام الشأم أعد له معاوية منزلا حسنا ونقله اليه وبالغ في اكرامه ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان ابنتي قد بلغت وأريد نكاحها وقد رضيت عبدالله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ولكن أرجو ان لا تخرج عن رأيي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبدالله ابن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وابوهريرة فعرضا عليك عبدالله بن سلام وانكاحي اياك منه وحضاك على المسارعة الى رضائي فقولي لهما عبدالله بن سلام كفء كريم غير ان تحته أرينب بنت اسحق وأنا خائفة ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى

يفارقها واما أبو الدرداء وأبو هريرة فانهما لما وصلا الى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدى معاوية قال انى كنت أعلمتكما انني جعلت لها فى نفسها شورى فادخلا عليها واعلماها بما رأيت لها فدخلا عليها واعلماها بذلك فابدت ما قرره أبوها عندها من قبل فعادا الى عبد الله بن سلام فاعلماه بذلك ففهم المراد واشهدهما عليه بطلاق ارينب وبعثهما اليه خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق ارينب فاظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا احببته فانصرفا فى عافية وعودا الينا وكتب الى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لارينب بنت اسحق وعاد بعد ذلك ابو الدرداء وابو هريرة الى معاوية فامرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لى ان أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا عليها واعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسراها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروءته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة الا بالله

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب

ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله ابا الدرداء وأبا هريرة فاتياها فقالا لها اصنعى ما انت صانعة واستخيرى الله فقالت ارجو والحمد لله ان يكون الله قد اختار لى فانه لا يكل الى غيره وقد سبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم انها حيلة وانه مخدوع وقال متعزيا ليس لامر الله راد ولعل ما سر وابه لا يدوم لهم سروره «قال» وذاع أمره وفشا فى الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع ثم ان معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء الى العراق خاطبا

لهما على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق ما ينبغي لذي عقل ان يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذا دخل موضعا هو فيه فقصد الحسين رضي الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت على حقا ان لا ابدأ بشيء قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك واثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها واردت الارسال اليها اذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله علي وعليه وهي امانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال افعل ان شاء الله فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضيرك ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من اقر به من امته وسيد شباب أهل الجنة فاختاري ايهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاء في هذا الامر وانت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رايك فاما اذا كنت انت المرسل فيه فقد فوضت أمري فيه بعد الله اليك وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس امرهما عليك خفيا فقال أبو الدرداء ايتها المرأة انما على اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك اداء الامانة فلم يجد بدا من القول فقال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي في ذلك وارضى عندي والله اعلم وقد رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضمي شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته و رضيته فتزوجها الحسين ابن علي عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما و بلغ معاوية مافعله ابو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا بله وعمى ركب خلاف مايهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها ذهبا وكان معاوية قد اطرحه وقطع عنه جميع روادفه لقوله انه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده فرجع الى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبري وخبر أرينب وكنت قبل فراقي اياها استودعتها مالا وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله ان ظني بها جميل فذا كرها في امري فان الله يجزيك به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرني ذلك واعجبني وذكر انه استودعك مالا فقالت صدق استودعني مالا لا أدري لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فاثنى عليها الحسين خيرا وقال الا ادخله عليك حتى تبرئي منه ثم لقي عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت انه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها واستوف مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله ابن سلام قد جاء يطلب وديعته فاخرجت اليه البدر فوضعها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر واثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثا لها من ذلك جانبا كبيرا وقال لها والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت اصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم انني لم استنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكني أردت احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيأ مما ساق لها في مهرها بعد ما عرضته عليه وقال الذي ارجوه من الثواب خير لي فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله

ابن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة الى ان فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون فى تاريخه والله أعلم ﴿ ومن غرائب المنقول وعجائبه ﴾ عن الامير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لى الامير شجاع الدين محمد الشيرازى متولى القاهرة فى الايام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فاكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك فقال نعم وكأنى بكم وقد انكرتم بياضهم وسوادى فقلنا له نعم قال هؤلاء امهم افرنجية اخذتها فى ايام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف اخذتها قال حديثى بها عجيب قلنا اتحفنا به قال زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ الثمن الى اكثر من ذلك فحملته الى القاهرة فلم يصل الى اكثر من ذلك فاشير على بحمله الى الشام فحملته فما زاد على تلك القيمة شيأ فوصلت به الى عكاء فبعت بعضه بالاجل والبعض تركته عندى واكتريت حانوتا ابيع فيه على مهلى الى حين انقضاء المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بى امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما بهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الى بعد أيام فبعتها وسامحتها اكثر من الكرة الاولى فتكررت الى وعلمت انى احبها فقلت للعجوز التى معها انى قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو فقلت لها قد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على ان ادفع خمسين دينارا صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ماقدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلواء فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى اما تستحى من الله وانت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم

انى اشهدك انى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم
نمت الى الصبح فنامت الى الصبح وقامت فى السحر وهى غضبى ومضت
ومضيت أنا الى حانوتى فجلست فيه واذا هى قد عبرت على هى والعجوز وهى مغضبة
وكانها القمر فهلكت فقلت فى نفسى من هو أنت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها
ثم لحقت العجوز وقلت ارجعى فقالت وحق المسيح ما أرجع اليك الا بمائة دينار
فقلت نعم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة
الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعى
ثم عبرت بعد ذلك على وكانت مستعربة فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بى عندك
الا بخمسمائة دينارا أو تموت كمدا فارتفعت لذلك وعزمت اننى أصرف عليها ثمن
الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى معاشر المسلمين ان الهدنة التى بيننا
وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عنى وأخذت
أنا فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة
حسنة وخرجت من عكاء وفى قلبى من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت
البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وافر وأخذت اتجر فى
الجوارى عسى يذهب ما بقلبى من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان
الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين واخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل
باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فاحضرت جارية حسناء فاشتريت له
منى بمائة دينار فأوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يلتقوها فى
الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى
الخزانة التى فيها السبى من نساء الافرنج فخيروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة
الدنانير التى له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتى الافرنجية فقلت اعطونى هاتيك
فأخذتها ومضيت الى خيمتى وخلوت بها وقلت لها أتعرفيننى قالت لا فقلت أنا

صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ماجرى وأخذت منى الذهب وقلت مابقيت تبصرنى الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ماجرى فعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة عندى فحملت منى ثم رحل العسكر وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التى عندى فسألوا عنها واتضح الخبر انها عندى وطلبت منى فحضرت وقد تغير لونى وأحضرتها معى بين يدى مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين الى بلادك والى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يامولانا السلطان أنا قد أسلمت وحبلت وها بطنى كما ترونه ومابقيت الافرنج تنتفع بى فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الافرنجى فلان فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ زوجتك فوليت بها فطلبنى ثانيا وقال ان أمها أرسلت معى وديعة وقالت ان ابنتى أسيرة وأشتهى ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطتى لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام ﴿ ومن لطائف المنقول من المستجاد ﴾ قال الواقدى كان ابراهيم بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى وأقام مالكها سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندى ماحكاه لى « قال » لما دخل المأمون الرى فى طلبى وجعل لمن أتاه بى مائة ألف درهم خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدرى

أين أتوجه فوقفت فى شارع غير نافذ وقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثرى يرتاب فى أمرى فرأيت فى صدر الشارع عبدا اسود قائما على باب دار فتقدمت اليه وقلت هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر و بسط و وسائد جلود الا انها نظيفة ثم أغلق الباب على ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فى وانه خرج ليدل على فبقيت على مثل النار فبينما أنا كذلك اذ اقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداءك انا رجل حجام وأنا أعلم انك تتقزز منى لما اتولاه من معيشتى فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان بى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما اذكر انى أكلت مثلها فلما قضيت اربى من الطعام قال هل لك فى شراب فانه يسلى الهم فقلت ما أكره ذلك رغبة فى مؤانسته فاتى بقطر ميز جديد لم تمسه يد وجاءنى بدست شراب مطينة وقال لى روق لنفسك فروقت شرابا فى غاية الجودة وأحضر لى قدحا جديدا وفاكهة وابقالا مختلفة فى طسوت فخار جدد ثم قال بعد ذلك أتأذن لى جعلت فداءك ان اقعد ناحية وآتى بشرابى فاشربه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصفحا ثم قال ياسيدى ليس من قدرى ان أسألك فى الغناء ولكن قد وجبت على مروءتك حرمتى فان رأيت ان تشرف عبدك فلك علو الراى « فقلت » ومن أين لك انى أحسن الغناء فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن دله عليه مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظم فى عينى وثبتت مروءته عندى فتناولت العود وأصلحته وغنيت وقد مر بخاطرى فراق أهلى وولدى

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله وأعزه فى السجن وهو أسير

ان يستجيب لنا فيجمع شملنا والله رب العالمين قدير

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا ومن شدة طربه وسروره قال لى ياسيدى أتأذن لى ان أغنى ماسنح بخاطرى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك « فاخذ العود وغنى »

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لان النوم يغشى عيونهم سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا

اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا

فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بى وذهب عنى كل ما كان بى من الهلع وسألته ان يغنى فغنى

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

وانا القوم لا نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب ما لا مزيد عليه الى ان عاجلنى السكر فلم استيقظ الا بعد المغرب فعاودنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعتك الله فاننى ماض من عندك وأسألك ان تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى فاعادها على متنكدا وقال ياسيدى ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم أ آخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمنا والله لئن راجعتنى فى ذلك لاقتلن نفسى فاعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى ياسيدى ان هذا المكان أخفى

لك من غيره وليس فى مؤنتك على ثقلة فاقم عندى الى ان يفرج الله عنك فرجعت
وسألته ان ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فاقمت عنده أياما على تلك الحالة فى ألذ عيش
فتذممت من الاقامة فى مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد
لنا حالا وقمت فتزييت بزى النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت فى الطريق
داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء
فبصر بى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى فقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فمن
حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه
فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة
واقفة فى دهليز فقلت ياسيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت على الرحب
وأطلعتنى الى غرفة مفروشة وقدمت لى طعاما وقالت يهدأ روعك فما علم بك مخلوق
واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى دفعته على
الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك
فقال ظفرت بالغنى وانفلت منى فاخبرها بالحال فاخرجت خرقا وعصبته بها وفرشت له
ونام عليلا وطلعت الى وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت لا بأس عليك ثم
جددت لى الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا
يطلع عليك فينم بك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل
لبست زى النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى
بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام
بالضيافة فظننت خيرا فما شعرت الا بابراهيم الموصلى بنفسه فى خيله ورجله والمولاة
معه حتى سلمتنى اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزى الذى أنا فيه الى المأمون فجلس
مجلسا عاما وأدخلنى اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك
ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولى الثار محكم فى القصاص

والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبي اليك عظيم　　وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا　　فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن في فعالي　　من الكرام فكنه

فرفع الي رأسه فبدرته وقلت

اتيت ذنبا عظيما　　وأنت للعفو اهل
فان عفوت فمن　　وان جزيت فعدل

فرق المأمون واستتر وحتر وائح الرحمة من شمائله ثم اقبل على ابنه العباس وأخيه ابي اسحق وجميع من حضر من خاصته فقال ماترون في امره فكل اشار بقتلي الا انهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المأمون لاحمد بن ابي خالد ماتقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكت في الارض وأنشد متمثلا

قومي هم قتلوا اميم اخي　　فاذا رميت يصيبني سهمي

فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله عني امير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين اعظم من ان اتفوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر ولكن اقول

ان الذي خلق المكارم حازها　　في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة　　وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني　　اسبابها الا بنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله　　عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالا كافراخ القطا　　وحنين والدة بقلب جازع

« فقال » المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به	وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به	والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت	اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما أوليت من كرم	اني الى اللؤم أولى منك بالكرم

« فقال المأمون » ان من الكلام درا وهذا منه وخلع عليه وقال يا عم ان أبا اسحق والعباس أشارا بقتلك فقلت انهما نصحاء لك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت « فقال » المأمون يا عم امت حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم اجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عم اتدري لم سجدت قلت شكر الله تعالى الذي اظفرك بعدو دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكر الله الذي ألهمني العفو عنك فحدثني الآن حديثك فشرحت له صورة امري وما جرى لي مع الحجام والجندي والمرأة والمولاة التي نمت علي فامر المأمون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة في المال فقال لها هل لك ولد أو زوج قالت لا فامر بضربها مائتي سوط وخلد سجنها « ثم قال » احضروا الجندي وامرأته والحجام فاحضروا فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال الرغبة في المال « فقال المأمون » انت يجب ان تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس في دكان الحجام ليتعلم الحجامة واكرم زوجته وادخلها الى القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك وسلم اليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وأنعم عليه برزقه وزيادة الف دينار في كل سنة ولم يزل في تلك النعمة الى ان مات « ومما يضارع ذلك »

انه لما افضت الخلافة الى بني العباس اختفت رجال بني أمية منهم ابراهيم بن سليمان ابن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالما عاملا اديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فاخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثني عما مربك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل شارع على الصحراء فبينما انا على ظهر البيت اذ نظرت الى اعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت انها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى اتيت الكوفة ولا اعرف احدا اختفي عنده فبقيت في حيرة فاذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال من انت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فادخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا تسألني عن شيء من حالي الا انه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما اراك تدمن الركوب ففيم ذلك قال ابراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني انه مختف فانا اطلبه لادرك منه ثاري فكثر والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم ابيه فاخبرني فعلمت ان الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا قد وجب على حقك ومن حقك ان أدلك على خصمك وأقرب أليك الخطوة قال وما ذاك قال أنا ابراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثارك فقال انى احسبك رجلا قد مضه الاختفاء فاحببت الموت فقلت لا والله ولكن اقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق مليا ثم قال اما انت فستلقى ابي عند حكم عدل فيأخذ بثاره واما انا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي واعطاني الف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا اكرم رجل رأيته بعد امير المؤمنين ﴿ ومن لطائف ما نقلته من المستجاد ﴾ حدث ابو الحسن بن صالح البلخي بمصر قال اخبرني بعض عمال

شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج الى اخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على لزوم بيتي الى ان يأتيني الموت ثم اغلق بابه عليه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا في حاله فكان عكرمة الفياض واليا على الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من اهل البلد اذ جرى ذكر خزيمة ابن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار في اسوأ الاحوال وقد اغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وما سمي الفياض الا للافراط في الكرم فما وجد خزيمة ابن بشر مواسيا ولا مكافئا فامسك عن ذلك فلما كان الليل عمد الى اربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج سرا من اهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من انت جعلت فداءك قال له ما جئت في هذا الوقت وانا اريد ان تعرفني قال خزيمة فما اقبله او تخبرني من انت قال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى امرأته فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج فلو كان في هذا فلوس كانت كثيرة قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة الى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه منفردا فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها ما دهاك يا ابنة العم قالت سوء فعلك بابنة عمك امير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفردا مع غلامه في سر من اهله الا الى زوجة او سرية فقال

لقد علم الله ما خرجت لواحدة منهما قالت لا بد تعلمني قال فاكتميه اذا « قالت»
افعل فاخبرها بالقصة على وجهها ثم قال اتحبين ان احلف لك قالت لا قد سكن قلبي ثم
اصبح خزيمة صالح غرماءه واصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك
بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فاخبره بمكانه وكان مشهورا لمروءته وكان
الخليفة به عارفا فاذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال يا خزيمة ما ابطأك عنا
فقال سوء الحال يا امير المؤمنين قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي قال فمن
انهضك قال لم اشعر يا امير المؤمنين بعد هدءة من الليل الا ورجل يطرق بابي وكان
منه كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى آخرها فقال هل عرفته قال لا والله
لانه كان متنكرا وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان
ابن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لاعناه على مروءته ثم قال على بقناة فاتى بها
فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض واجزل عطاياه وامره
بالتوجه الى الجزيرة فخرج خزيمة متوجها اليها فلما قرب منها خرج عكرمة واهل
البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة وامر
ان يؤخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال
فقال مالي الى شيء منه سبيل فامر بحبسه ثم بعث يطالبه فارسل اليه اني لست ممن
يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر به فكبل بالحديد وضيق عليه واقام على ذلك
شهرا افاضناه ثقل الحديد واضر به وبلغ ذلك ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت ثم دعت
مولاة لها ذات عقل وقالت امضي الساعة الى باب هذا الامير فقولي عندي نصيحة فاذا
طلبت منك قولي لا قولها الا للامير خزيمة فاذا دخلت عليه سليه الخلوة فاذا فعل
قولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك في مكافأتك له بالضيق والحبس
والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه جابر عثرات الكرام
غريمي قالت نعم فامر من وقته بدابته فاسرجت وركب الى وجوه اهل البلد فجمعهم

وسار بهم الى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض فى قاع الحبس متغيرا قد اضناه الضر فلما نظر عكرمة الى خزيمة والى الناس احشمه ذلك فنكس راسه فاقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه اليه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعلك وسوء مكافاتى قال يغفر الله لنا ولك ثم امر بفك قيوده وان توضع فى رجليه فقال عكرمة تريد ماذا قال أريد ان ينالنى من الضر مثل ما نالك فقال اقسم عليك بالله ان لا تفعل فخرجا جميعا الى ان وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال فما تريد قال أغير من حالك وحيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك ثم امر بالحمام فأخليت ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمل اليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه فى الاعتذار من ابنة عمه فاذن له فاعتذر اليها وتذمم من ذلك ثم سأله ان يسير معه الى أمير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك فسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاخبره بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم علينا بغير امرنا مع قرب العهد به ما هذا الا الحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال فما اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض فاذن له فى الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره فى رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم امر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف اليها من التحف والطرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل أرده الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته ❁ ويضارع ذلك من المستجاد أيضا ما روى عن ابى موسى محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن

جعفر ﴾ قال حدثني ابي قال كنت أترددالى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله ابن عباس وأخدمها فتوجهت الى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى احدثك حديثا كان بالامس يكتب على الآماق كنت امس عند الخيزران ومن عادتي ان اجلس بازائها وفي الصدر مجلس للمهدي يجلس فيه وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت اعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراءما هي عليه من سوء الحال غاية تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت ان تخبرني فالتفتت الى الخيزران وقالت ماترين فقلت ادخليها فانه لابد من فائدة او ثواب فدخلت امرأة من اجمل النساء لاتتوارى بشيء فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت. انامزنة بنت مروان بن محمد الاموى فقالت الخيزران لاحياك الله ولاقربك فالحمدلله الذى أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك اتذكرين ياعدوة الله حين اتاك عجائز اهل بيتي يسألنك ان تكلمي صاحبك فى الاذن فى دفن ابراهيم بن محمد. فوثبت عليهن واسمعتيهن مالا سمعن قبل وأمرت فاخرجن على تلك الحالة. فضحكت مزنة فما انسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت يابنت العم اى شيء اعجبك من حسن صنيع الله بي على العقوق حتى اردت ان تتأسى بي فيه والله انى فعلت بنسائك مافعلت فاسلمنى الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك لله تعالى على ماأولاك بي ثم قالت السلام عليكم ثم ولت مسرعة فصاحت بها الخيزران فرجعت قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس فى لذلك موضع مع الحال التى انا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فدخلت وطلبت ماشطة ترمى ماعلى وجهها من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فاخذت من الثياب ماأرادت ثم تطيبت ثم خرجت الينا فعانقتها الخيزران واجلستها فى الموضع الذى يجلس فيه امير المؤمنين.

المهدي ثم قالت لها الخيزران هل لك في الطعام فقالت والله مافيكن أحوج مني اليه فعجلوه فاتى بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى ان اكتفت ثم غسلنا أيدينا فقالت لها الخيزران من وراءك ممن تعتنين به قالت ماخارج هذه الدار من بيني وبينه نسب فقالت اذا كان الامر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولي لها جميع ماتحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ماتحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت زينب ثم تركناها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل مافي قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة الف درهم فحملت اليها وفي اثناء ذلك وافى المهدي فسألنا عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على انعمه وقد امكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها فوالله لولا محلك بقلبي لحلفت ان لا أكلمك ابدا فقالت الخيزران يا امير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وابلغها مني السلام وقل لها والله ماسررت في عمري كسروري اليوم وقد وجب على امير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فاقبلت على الفور فسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنيعه وبالغت في الثناء على الخيزران عنده وقالت ما على امير المؤمنين حشمة انا في عدد حرمه ثم قامت الى منزلها فخلفتها عنده الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري كتصرف الخيزران فارخها عندك فانها من احسن النوادر ﴿و روى عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم﴾ امر المأمون ان يحمل اليه عشرة من اهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم احد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة

فدخل معهم ومضى بهم الموكلون الى البحر وأطلعوهم فى زورق قد اعدلهم فقال الطفيلي لا شك انها نزهة فصعد معهم فى الزورق فلم يكن بأسرع من ان قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم انه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر وساروا بهم الى ان دخلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المأمون فلما مثلوا بين يديه امر بضرب اعناقهم فاستدعوهم باسمائهم حتى لم يبق الا الطفيلي وهو خارج عن العدة « فقال » لهم المأمون من هذا قالوا والله ماندرى ياأمير المؤمنين غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به « فقال » له المأمون ماقصتك قال ياأمير المؤمنين امرأتى طالق ان كنت اعرف من اقوالهم شيأ ولا اعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انهم يدعون الى وليمة فالتحقت بهم « قال » فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفل ان احل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب « قال » ابراهيم بن المهدى هبه لى وأحدثك بحديث عن نفسى فى التطفل عجيب « قال » المأمون قد وهبته لك هات حديثك « قال » ياامير المؤمنين خرجت يوما متنكرا للتنزه فانتهى بى المشى الى موضع شممت منه روائح طعام وأبازير قد فاحت فتاقت نفسى اليها ووقفت ياأمير المؤمنين لاأقدر على المضى فرفعت بصرى واذا بشباك ومن خلفه كف ومعصم مارأيت احسن منهما فوقفت حائرا ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم وأخذت فى اعمال الحيلة فاذا خياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار قال لرجل من التجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت أهو ممن يشرب الخمر قال نعم وأحسب اليوم ان عنده دعوة وليس ينادم الا التجار فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان فاعلمنى انهما اخص الناس بصحبته وأعلمنى باسميهما فحركت دابتى فلقيتهما وقلت جعلت فداء كما قد استبطأ كما ابو فلان وسايرتهما حتى اتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب

الدار معهما لم يشك انى منهما فرحب بى وأجلسنى فى افضل المواضع ثم جىء بالمائدة
فقلت فى نفسى هذه الالوان قدمن الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم
ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فرأيت مجلسا محفوفا باللطائف وجعل صاحب المجلس
يتلطف بى و يقبل على فى الحديث لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك حتى
شربنا اقداحا اذ خرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة
فسلمت غير خجلة وأتى بعود فاخذته وجسته فاذا هى حاذقة واندفعت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنى　　　واياك لانخلو ولا نتكلم
سوى اعين تبدى سرائر انفس　　　وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارة افواه وغمز حواجب　　　وتكسير اجفان وكف يسلم

فهيجت ياأمير المؤمنين بلابلى فطربت لحذقها وحسن شعرها الذى غنت به فحسدتها
وقلت قد بقى عليك ياجارية شىء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فى
مجالس السكر فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد انكروا على ذلك فقلت فى نفسى
فاتنى جميع ما املت فقلت أثم عود قالوا نعم فاحضر واعود افاصلحت ماأردت فيه
ثم اندفعت فغنيت

هذا محبك مطوى على كمده　　　صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته　　　ممابه ويد أخرى على كبده
يامن رأى كلفا مستبعدا دنفا　　　كانت منيته فى عينه ويده

فوثبت الجارية فاكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك ياسيدى والله ماعلمت
بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم اخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعد
ماطربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت لهم نوبات مطربة فغلب القوم
السكر وغابت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل فشرب معى أقداحا
ثم قال ياسيدى ذهب مامضى من عمرى مجانا اذلم اعرف مثلك فبالله يامولاى من انت

لاعرف نديمي الذي من الله على به في هذه الليلة فاخذت اداري وهو يقسم على فاعلمته فوثب قائما وقال قد عجبت ان يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد اسدى الى الزمان يدا لا أقوم بشكرها ومتى طمعت ان تزور الخلافة في منزلي وتنادمني ليلتي وما هذا الا في المنام فاقسمت عليه ان يجلس فجلس وأخذ يسألني عن السبب في حضوري عنده بألطف معنى فاخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيأ ثم قلت اما الطعام فقد نلت منه بغيتي فقال والكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يافلانة قولي لفلانة تنزل ثم جعل يستدعي واحدة بعد واحدة يعرضها علي وأنا لا أرى صاحبتي الى ان قال والله ما بقي الا أمي وأختي و والله لتنزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداءك تبدأ بالاخت قال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فاراني يدها فاذا هي التي رأيتها فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته فاحضروا الشهود وأحضر بدرتين فلما حضر الشهود قال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب أختي فلانة وأشهدكم اني قد زوجتها له وامهرتها منه عشرين الف درهم فقلت قبلت ذلك ورضيت فشهدوا علينا فدفع البدرة الواحدة الى اخته والاخرى فرقها على الشهود ثم قال ياسيدي امهد لك بعض البيوت فتنام مع اهلك فاحشمني ما رأيت من كرمه وتذممت ان اخلو بها في داره ثم قلت بل احضر عمارتي واحملها الى منزلي فقال افعل ما شئت فاحضرت عمارتي وحملتها الى منزلي فوحقك ياامير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها وأولدتها هذا الغلام القائم بين يدي امير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ما سمعت قط بمثلها وامر ابراهيم باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه فاستنطقه فاعجبه وصيره من جملة خواصه ومحاضريه ﴿ ومن غريب المنقول ﴾ ان فتى من ذوي النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسناء محسنة في الغناء فضاق بهما الخناق واشتدت بهما الحال في عدم ما يقتاتان به فقال لها قد ترين ماقد صرنا اليه من هذه الحالة السيئة

ووالله لموتى وانت معى احسن وأهون على مما أذكره لك فان رأيت ان ابيعك لمن يحسن اليك ويغسل عنك ما أنت فيه وأنفرج أنا بما لعله يصير الى من الثمن ولعلك تحصلين عند من تتوصلين الى نفعى معه فقالت والله لموتى على تلك الحالة معك آثر عندى من انتقالى الى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع ما بدا لك قال فخرج وعرضها للبيع فاشار عليه احد اصدقائه ممن له رأى ان يحملها الى ابن معمر امير العراق فحملها اليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة الف درهم وقد انفقت عليها مالا كثيرا حتى صارت فى رتبة الاستاذين قال اما ما أنفقت عليها فغير محتسب لك به لانك انفقته فى لذاتك واما ثمنها فقد امرنا لك بمائة الف درهم وعشرة اسفاط من الثياب وعشرة رؤس من الخيل وعشرة رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم أرضى الله الامير فامر بالمال فاحضر وأمر قهرمانه بادخال الجارية الى الحرم فامسكت بجانب الستر وبكت وقالت

هنيئا لك المال الذى قد أفدته ... ولم تبق فى كفى غير التفكر
اقول لنفسى وهى فى كرباتها ... اقلى فقد بان الحبيب او اكثرى
اذا لم يكن للامر عندك موضع ... ولم تجدى بدا من الصبر فاصبرى

فبكى مولاها وأجاب قائلا

ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن ... يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى
أروح بهم من فراقك موجع ... اناجى به قلبا قليل التصبر
عليك سلامى لازيارة بيننا ... ولا قرب الا ان يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل اليك منا فاخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله ﴿ ومما جنيته من ثمرات الاوراق ﴾ ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رحل الى عبد الملك بن مروان ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة وقال قدمت

عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز في الشرف والابوة وكمال المروءة والادب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا أمير المؤمنين مايستحق ان يفعل بمثله في أبوته وشرفه فقال عبد الملك يا أبا محمد اذكرتنا حقا واجبا ائذنوا لابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس في صدر المجلس وقال له عبد الملك ان ابا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة في خاصة امرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم اما الحوائج التي نبتغي بها الزلفى ونرجو بها الثواب فما كان لله خالصا ولنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن لك يا أمير المؤمنين عندي نصيحة لا أجد بدا من ذكري اياها قال أهي دون ابي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين يضع رجله ثم قال عبد الملك قل يا ابن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين انك عمدت الى الحجاج في ظلمه وتعديه على الحق واصغائه الى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابناء المهاجرين والانصار يسومهم الخسف ويطؤهم العسف بطغام اهل الشأم ومن لا روية له في اقامة الحق ولا ازاحة الباطل قال فاطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال كذبت يا ابن طلحة ظن فيك الحجاج غير ماهو فيك قم فرعا ظن الخير بغير اهله قال فقمت وأنا ما ابصر طريقا قال واتبعني حرسيا وقال اشدد يدك به « قال » ابراهيم فمازلت جالسا حتى دعا الحجاج فمازالا يتناجيان طويلا حتى ساءظني ولا اشك انه في امري ثم دعاني فلقيني الحجاج في الصحن خارجا فقبل بين عيني وقال احسن الله جزاءك قال فقلت في نفسي انه يهزأ بي ودخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الاول ثم قال يا ابن طلحة هل اطلع على نصيحتك احد فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ولا أردت الا الله ورسوله والمسلمين وأمير المؤمنين علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهته لهما وأعلمته انك استقللت ذلك عليه وسألتني له ولاية كبيرة وقد أوليته

العراقين وقررت له ان ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك مالا بدله من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ عن القاضي أبي الحسن بن عبد المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان رأى الملك ان يخلي مجلسه فليفعل فامر الاسكندر من بحضرته بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذي جئت به لا يحتمل ان يسمعه غيرك فامر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجردا وقال له قل ماشئت ثم أخرج جميع من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت اسألك عما تريد فان كان مما يمكن الانقياد اليه الاعلى أصعب الوجوه أجبت اليه وغنيت أنا وانت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذي امنك مني قال علمي بأنك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل ومتى قتلتني أقاموا غيري ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب انت الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكرا في مقاله وعلم انه رجل عاقل فقال له أريد ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه في كل سنة قال اجبتك قال فكيف تكون حالك قال أكون قتيلا او محاربا قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال اصلح مما تقدم ذكره قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون مضرا بي ومذهبا لجميع لذاتي قال فان اقتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقي لجيشي ولاسباب الملك قال قد اقتصرت على هذا فشكره وانصرف فلما اصبح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارتعب وتواثبت أصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبيناهم كذلك اذ ظهر ملك الصين

وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر اغدرت قال لا والله
قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب
عنك من الجيش اكثر لكني رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت
انه من حارب العالم الاكبر غلب فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لامرك
فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شيء فما رأيت بيني و بينك أحدا يستحق
التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف
عنك فقال ملك الصين اما اذا فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر
اتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره عليه ❋ ومن غريب
المنقول عن أبي الفرج الاصبهاني انه قال ❋ اخبرني عمي عن أبيه عن الكلبي عن
أبيه قال أخبرني شيخ من بني نبهان قال اصابت بني نبهان سنة ذهبت بالاموال
فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصبكم من
خيره حتى ارجع اليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة ايام حتى انتهى الى
عطن ابل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من ادم قال فقلت في نفسي ما لهذا
الخباء بد من اهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت في
الخباء فاذا شيخ كبير قد اوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم
النهار أقبل فارس لم أر أعظم من شكله وفي خدمته اسودان يمشيان بين جنبيه واذا
مائة من الابل معها فحلها فبرك الفحل وبركن حوله فقال لاحد عبيده احلب فلانة
فحلبها ثم وضع اللبن بين يدي الشيخ فكرع منه واخذه وقدمه الى فشربت نصفه
ثم أمر بشاة فذبحت وشويت وأكلنا منها جميعا فامهلت حتى اذا ناموا وحكم عليهم
النوم ثرت الى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الابل فمشيت الى الصباح
فلما اصبحت نظرت فلم أجد احدا « ولما » تعالى النهار التفت فاذا أنا بخيال
كانه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبي بالامس

فعقلت الفحل وعمدت الى كنانتى فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلفت خلفى
عيالا جياعا بالحيرة قال فانك ميت حل عقاله لا أم لك وانصب لى خطامه واجعل فيه
خمس عقد وقل لى اين تحب ان أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكانما وضعه
بيده ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم فرددت نبلى وحططت قوسى
و وقفت مستسلما فدنامنى وأخذ القوس والسيف ثم أردفنى خلفه وقد عرف انى
الذى شربت اللبن عنده وأكلت اللحم فقال كيف ظنك بى فقلت أحسن ظن فقال
ابشر ان لن ينالك شر وقد كنت ضيف مهلهل فقلت أزيد الخيل أنت قال نعم أنا
زيد الخيل فلما انتهينا الى منزله قال لو كانت هذه الابل لى لسلمتها اليك ولكنها
لابنة مهلهل فاقم عندى فاقمت عنده اياما فشن الغارة على بنى نمير فاصاب مائة بعير فقال
هذه أحب اليك أم تلك قلت هذه قال دونكها و بعث معى خفراء من ماء الى ماء الى
ان وردت الحيرة فلقينى نبطى فقال يا اعرابى احتفظ بابلك فقد قرب خروج النبى
صلى الله عليه وسلم الذى يملك هذه الارض و يطرد أهلها حتى ان أحدكم ليبتاع
البستان بثمن بعير قال فاحتملت بأهلى الى النبط حتى جاءنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلمنا على يديه وما مضت الا ايام حتى اشتريت بثمن بعير من ابلى بستانا بالحيرة
والله أعلم ﴿ونقل عن الواقدى﴾ قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى والآخر
نبطى فكنا فى الصداقة كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد
فقالت امرأتى اما نحن فنصبر على البؤس والشدة واما صبياننا هؤلاء
فقد تقطع قلبى عليهم رحمة لانهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا فى عيدهم وهم
فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه فى كسوتهم قال فكتبت الى صديقى
الهاشمى أسأله التوسعة على بشىء فوجه الى كيسا فيه ألف درهم فما استقر
قراره حتى كتب الى صديقى الآخر يشكو الى مثل ما شكوته الى الهاشمى
فوجهت اليه بالكيس على حاله وخرجت الى المسجد وانا مستحى من امرأتى فلما

دخلت عليها لم تعنفنى لعلمها بالحال فبينما انا كذلك اذ اقبل صديقى الهاشمى ومعه الكيس بختمه فقال اصدقنى عما فعلته فيما وجهت به اليك فاعلمته بالخبر فقال انك وجهت الى ولا املك الاما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا اسأله المواساة فوجه الى كيسى بختمه فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقى اثلاثا ونما الخبر الى المأمون فاحضرنى وسألنى عن الخبر فشرحته له فامر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان ألفان لكل واحد منا « و يضارع ذلك ماهو منقول عن الاصمعى » قال قصدت فى بعض الايام رجلا كنت اغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعنى من الدخول اليه ثم قال والله يا اصمعى ما اوقفنى على بابه لامنع مثلك الا لرقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قلت له اوصل رقعتى اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها

اذا كان الكريم قليل مال تحجب بالحجاب عن الغريم

« ومع » الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لاتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآنى قال من اين يا اصمعى قلت من عند رجل من اكرم الاحياء حاشى امير المؤمنين قال ومن هو فدفعت اليه الورقة والصرة واعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالى ولا بدلى من الرجل فقلت والله يا امير المؤمنين انى استحى ان اروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعى فاذا اراك الرجل قل له اجب امير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدى المأمون قال له اما أنت الذى وقفت لنا بالامس وشكوت رقة فان الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعى ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال لكن استحييت من الله تعالى ان أعيد قاصدى الا كما أعادنى امير المؤمنين

فقال له المأمون لله انت فما ولدت العرب اكرم منك ثم بالغ في اكرامه وجعله من جملة ندمائه ﴿ ومن لطائف المنقول ماهو منقول عن الربيع ﴾ انه قال مارأيت رجلا أثبت ولا اربط جأشا من رجل رفع الى المنصور ان عنده ودائع واموالا لبني امية فأمرني باحضاره فأحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التي لبني امية عندك فاخرج لنا منها فقال يا امير المؤمنين اوارث انت لبني امية قال لا قال فوصي قال لا قال فما سؤالك عما في يدي من ذلك قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني امية ظلموا المسلمين فيها وانا وكيل المسلمين في حقهم فاريد ان آخذ اموال المسلمين واجعلها في بيت مالهم فقال يا امير المؤمنين تحتاج في ذلك الى اقامة البينة العادلة على ان الذي في يدي لبني امية مما خانوه وظلموه واغتصبوه من اموال المسلمين فان بني امية كان لهم اموال غير اموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه الي وقال صدق الرجل ياربيع ماوجب عليه عندنا شيء ثم بش في وجهه فقال هل لك من حاجة فقال نعم يا امير المؤمنين حاجتي ان تنفذ كتابي مع البريد الى اهلي ليسكنوا الى سلامتي فقد راعهم اشخاصي وقد بقيت لي حاجة اخرى يا امير المؤمنين قال ماهي قال تجمع بيني و بين من سعى بي اليك فوالله مالبني امية عندي ولا في يدي وديعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني رأيت ماقلته اقرب الى الخلاص والنجاة فقال ياربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فقال هذا غلامي ضرب على ثلاثة آلاف من مالي وابق فشدد المنصور على الغلام فاقر انه غلامه وانه اخذ المال الذي ذكره وابق منه وكذب عليه خوفا من الوقوع في يده فقال المنصور للرجل نسألك ان تصفح عنه فقال يا امير المؤمنين صفحت عن جرمه وابرأته من المال واعطيته ثلاثة آلاف دينار اخرى فقال المنصور ماعلى مافعلت مزيد في الكرم قال بلى يا امير المؤمنين هذا حق كلامك وانصرف وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول

ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع ﴿ رحلة الامام الشافعي رضي الله عنه ﴾ قال الشيخ الامام العالم المقرى ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف الارديلي المالكي بالجامع العتيق بمصر في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشي سنة ثلاثين وخمسمائة اخبرنا الشريف القاضي الموسوى ابو اسماعيل موسى بن الحسين بن اسماعيل بن علي الحسيني المقرى في سنة اربع وثمانين واربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال اخبرنا الشيخ ابو العباس احمد بن ابراهيم الفارسي في ربيع الاول سنة احدى وخمسين واربعمائة قال اخبرنا يحيي بن عبد الله الرجل الصالح ويحيي بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا ابو الحسن احمد بن محمد الواعظ المصرى الكراز قال حدثني ابو الفرج عبد الرزاق حميدان البطين قال حدثني ابو بكر محمد بن المنذر قال حدثني الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي رضي الله عنه يقول فارقت مكة وانا ابن اربع عشرة سنة لا نبات بعارضي من الابطح الى ذي طوى وعلي بردتان يمانيتان فرايت ركبا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب الى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله عنه وما كنت اعلم انهم احضروا طعاما فاجبت مسرعا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فاخذت كأخذهم كي لا يستبشع عليهم مأكلي والشيخ ينظر الي ثم اخذت السقاء فشربت وحمدت الله واثنيت عليه فاقبل على الشيخ وقال امكي انت قلت مكي قال قرشي انت قلت قرشي ثم اقبلت عليه وقلت ياعم بما استدللت على قال اما في الحضر فبالزى واما في النسب فبأكل الطعام لانه من احب ان يأكل طعام الناس احب ان يأكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصا « قال الشافعي رضي الله عنه » فقلت للشيخ من اين انت قال من يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد بني اصبح

مالك بن انس رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله عنه فقلت واشوقاه الى مالك فقال لي قد بل الله شوقك انظر الى هذا البعير الاورق فانه احسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل الى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض واركبوني البعير الاورق واخذ القوم في السير واخذت انا في الدرس نختمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة و بالنهار ختمة ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزرا ببردة متشحا بأخرى قال حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الشافعي » رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فاخذت عودا من الارض فجعلت كلما املى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي والامام مالك رضي الله عنه ينظر الي من حيث لا اعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك ان انصرف فلم يرني انصرفت فاشار الي فدنوت منه فنظر الي ساعة ثم قال احرمي انت فقلت حرمي قال امكي انت قلت مكي قال اقرشي انت قلت قرشي قال كملت اوصافك لكن فيك اساءة ادب قلت وما الذي رأيت من سوء أدبي قال رأيتك وأنا املي ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدي اليه فقال ما أرى عليها شيأ فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته الى حين قطعت فتعجب الامام مالك من ذلك فقال أعد علي ولو حديثا واحدا « قال الشافعي رضي الله عنه » فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي الى القبر كاشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس الى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب

وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسألني النهوض معه « قال الشافعى » رحمه الله فقمت غير ممتنع الى مادعا من كرمه فلما اتيت الدار ادخلنى الغلام الى خلوة فى الدار وقال لى القبلة فى البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء « قال الشافعى » رضى الله عنه فما لبث مالك رضى الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم الامام على ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام الى الاناء وأراد ان يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف « قال الشافعى » رضى الله عنه فاستحسنت ذلك من الامام مالك رضى الله عنه وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه « قال الشافعى رضى الله عنه » فكشف الامام رضى الله عنه الطبق فكان فيه صحفتان فى احداهما لبن والاخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فاتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء « قال الشافعى رضى الله عنه » فاقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عنى وقال حكم المسافر ان يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الاخير من الليل قرع على مالك الباب فقال لى الصلاة يرحمك الله فرايته حامل اناء فيه ماء فتبشع على ذلك فقال لى لا يرعك مارأيته فخدمة الضيف فرض « قال الشافعى رضى الله عنه » فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الامام مالك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى الى ان طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالامس وناولنى الموطأ امليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه « قال الشافعى رضى الله عنه » فاتيت على حفظه من اوله الى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية اشهر فما علم

أحد من الانس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ « قال الشافعى » فامليت عليهم حفظا منهم عبد الله ابن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع واحتسب انه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم « قال الشافعى رضى الله عنه » فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرا فسألته عن اسمه فاخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أى العراق فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه « قال الشافعى رضى الله عنه » فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت الى مالك فقلت له خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز أفاعود اليها أو أرحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها الى فائدة ألم تعلم ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه « قال الشافعى رضى الله عنه » فلما ازمعت على السفر زودنى الامام مالك رضى الله عنه فلما كان فى السحر سار معى مشيعا الى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته الى الكوفة فاقبلت عليه وقلت بم تكترى وليس معك ولا معى شئ فقال لى انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة اذ قرع على قارع الباب فخرجت اليه فاصبت ابن القاسم فسألنى قبول هديته فقبلتها فدفع الى صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى فاكترى لى بأربعة دنانير ودفع الى باقى الدنانير وودعنى وانصرف وصرت فى جملة الحاج حتى وصلت الى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر فبينما انا كذلك اذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت اليه ناصحا فقلت له احسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لى

انا اظن انك من أهل الحجاز لان فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وانا أصلي هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا على صلاتي قط وخرج معجبا ينفض رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وابا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما في صلاتي من عيب فقالا اللهم لا قال ففي مسجدنا هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل الصلاة « قال الشافعي رضي الله عنه » فقال لي يامن عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد اليهما وأعلمهما بالجواب فعلما انه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب اليه فقل له ما الفرضان وما السنة فاتى الي فقال ما الفرضان وما السنة فقلت له اما الفرض الاول فالنية والثاني تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد اليهما فاعلمهما بذلك فدخلا الى المسجد فلما نظرا الي أظنهما ازدرياني فجلسا ناحية وقالا اذهب اليه وقل له اجب الشيخين « قال الشافعي رحمه الله تعالى » فلما أتاني علمت اني مسؤل عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم ان يؤتى اليه وما علمت لي اليهما حاجة « قال الشافعي » رضي الله عنه فقاما من مجلسهما الي فلما سلما علي قمت اليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين يديهما فاقبل علي محمد بن الحسن قال احرمي أنت فقلت نعم فقال اعربي أم مولى فقلت عربي فقال من أي العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من قلت من ولد شافع قال رأيت مالك هكذا وقعت هذه اللفظة قلت من عنده أتيت قال لي نظرت في الموطأ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة في الطهارة ومسئلة في الزكاة ومسئلة في البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب في الفقه مسئلة وجعل بين كل مسئلتين بياضا ودفع الي الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ « قال الشافعي رضي الله عنه » فاجبت بنص كتاب الله وبسنة نبيه عليه السلام واجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت اليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك

اليك « قال الشافعي رضي الله عنه » ثم سألني النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت الى الباب قال لي العبد ان سيدي أمرني ان لا تصير الى المنزل الا راكبا « قال الشافعي رضي الله عنه » فقلت له قدم فقدم الى بغلة بسرج محلي فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثة فطاف بي أزقة الكوفة الى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا يرعك يا عبد الله ما رأيت فما هو الا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض واني أخرج زكاتها في كل عام فاسر بها الصديق وأكبت بها العدو « قال الشافعي رضي الله عنه » فما بت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فاخرج الي الكتاب الاوسط تأليف الامام أبي حنيفة فنظرت في أوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه فما أصبحت الا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشيء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب في النوازل فانا قاعد عن يمينه في بعض الايام اذ سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت له قد وهمت في الجواب في هذه المسئلة والجواب من قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية في الكتاب الفلاني فامر محمد بن الحسن بالكتاب فاحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه الى ما قلت ولم يخرج الى كتابا بعد هذا قال الشافعي فاستأذنته في الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عني وبذل لي مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت ولا لذا اردت ولا رغبتي الا في السفر قال فامر غلامه ان يأتي بكل ما في خزائنه من بيضاء وحمراء فدفع الي ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم واقبلت اطوف العراق وارض فارس وبلاد الاعاجم والتقى

الرجال حتى صرت ابن احـدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق فى خـلافة هارون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى وقال لى ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعى فقال مطلبى فقلت اجل فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سبيلى فاويت الى بعض المساجد افكر فى عاقبة ما فعل حتى اذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد واقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى اتوا الى فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم اقبلوا على وقالوا أجب امير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الالفاظ ورد على الجواب ثم قال تزعم انك من بنى هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال أبن لى عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا فى رجل من ولد المطلب هل لك ان أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما انا فيه وتنفذ فيهم حكمك وحكمى على ما جاء به الرسول عليه السلام واجتمعت عليه الامة فقلت يا امير المؤمنين لو سألتنى ان أفتح باب القضاء بالغداة واغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك ابدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيأ هكذا وردت هذه اللفظة قلت يكون معجلا فامر لى بألف دينار فما برحت من مقامى حتى قبضتها ثم سألنى بعض الغلمان والحشم ان اصلهم من صلتى فلم تسع المروءة ان كنت مسؤلا غير المقاسمة فيما أنعم الله به على فخرج لى قسم كاقسامهم ثم عدت الى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جماعة فاجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام افسدت علينا وعلى نفسك اعد فاعاد مسرعا واعدنا ثم قلت احضر بياضا اعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها فسارع الى ذلك ففتح الله عز وجل فالفت له كتابا من كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو

ار بعون جزأ يعرف بكتاب الزعفران وهو الذى وضعته بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرايت فتى فى قبته فلما اشرت اليه بالسلام امر قائد القبة ان يقف وأشار الى بالكلام فسألته عن الامام مالك وعن الحجاز فاجاب بخير ثم عاودته الى السؤال عن مالك فقال لى اشرح لك اواختصر قلت فى الاختصار البلاغة فقال فى صحة جسم وله ثلاثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود اليها الى سنة فقد اختصرت لك خبره ﴿ قال الشافعى رضى الله عنه ﴾ فاشتهيت أن أراه فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له اما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال انك لتوحشنى خاصة واهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه ثم نظر الى وحكمنى فى ماله فاخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فاتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وماجاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسى شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسى واخذ القليل من شعرى دخل قوم من اعيان البلد فدعوه الى خدمتهم فسارع اليهم وتركنى فلما قضوا ما ارادوا منه عاد الى فما اردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه اكثر ما كان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه واذا وقف بك غريب لا تحتقره فنظر الى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس فبينما انا كذلك اذ خرج بعض من كان فى الحمام من الاعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد ان استوى عليها وقال لى انت الشافعى فقلت نعم فمد الركاب مما يلينى وقال بحق الله اركب ومضى بى الغلام مطرقا بين يدى حتى اتيت الى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فاظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى فقال مالك يا عبد الله فقلت له طعامك حرام على حتى اعرف من اين هذه المعرفة فقال

انا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وانت لى أستاذ ﴿ قال الشافعى رضى الله عنه ﴾ فقلت العلم بين اهل العقل رحم متصلة فما كلت بفرحة اذلم يعرف الله تعالى الا بينى و بين أبناء جنسي وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لى حول حران اربع ضياع ما بنجران احسن منها اشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية منى اليك فقلت فيم نعيش قال بما فى صناديقى تلك واشار اليها وهى اربعون ألف درهم وقال أتجر بها فقلت ليس الى هذا قصدت ولا خرجت من بلدى لغير طلب العلم فقال لى فالمال اذا من شأن المسافر فقبضت الار بعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران و بين يدى احمال ثم تلقانى الرجال واصحاب الحديث منهم أحمد ابن حنبل وسفيان بن عيينة والاوزاعى فاجزت كل واحد منهم على قدر ماقسم له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى الا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فمازلت من منهل الى منهل حتى وصلت الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر و رأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعى رضى الله عنه وحوله اربعمائة دفتر او تزيد و بينما انا كذلك اذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه قد دخل من باب النبي صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد وحوله اربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فالقى مسئلة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر فقمت قائما فى سور الحلقة فرأيت انسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك واقبل على اصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤال الثانى اقبل على الجاهل يطلب منى الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت

اليه مالك واقبل على اصحابه واستخبرهم عن الجواب نخالفوه فقال لهم أخطأ ثم واصاب الرجل ﴿ قال الشافعي رضي الله عنه ﴾ فلما القى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فاعرض مالك عنه واقبل على اصحابه نخالفوه فقال أخطأ ثم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك قرأت الموطأ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من اين قال الى جانبي غلام شاب يقول لي قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضي الله عنه فقال للجاهل قم فامر صاحبك بالدخول الينا « قال الشافعي رضي الله عنه » فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذي كان الجاهل فيه جالسا بين يديه فتأملني ساعة وقال أنت الشافعي فقلت نعم فضمني الى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذي نحن فيه حتى ننصرف الى المنزل الذي هو لك المنسوب الى « قال الشافعي » رضي الله عنه فالقيت أربعمائة مسئلة في جراح العمد فما أجابني أحد بجواب واحتجت ان آتي بأربعمائة جواب فقلت الاول كذا وكذا والثاني كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الي فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الاول فبكيت فقال مم بكاؤك كانك خفت يا ابا عبد الله ان قد بعت الآخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجيء من أقاصي الدنيا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة وان لي ثلاثمائة خلعة من رق خراسان وقباطي مصر وعندي عبيد مثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية مني اليك وفي صناديقي تلك خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك مني نصفها قلت انك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت خاتمي ليجري ملكي عليه فان حضرني أجلي كان

أو رثتي دونو رثتك وان حضرك أجلك كان لى دونو رثتك فتبسم فى وجهى وقال أبيت الا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه وما بت الا وجميع ماوعدنى به تحت ختمى فلما كان فى غداة غد صليت الفجر فى جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده فى يد صاحبه اذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان و بغالا من مصر فقلت له مارأيت كراعا أحسن من هذا فقال هو هدية منى اليك ياأباعبد الله فقلت له دع لك منها دابة فقال انى أستحى من الله ان اطأ قرية فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة « قال الشافعى رضي الله عنه » فعلمت ان ورع الامام مالك باق على حاله فاقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت الى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبرى فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتني الى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت آلفها ادعوها خالتي « وقالت »

ليس امك اجتاحت المنايا كل فؤاد عليك أم

« قال الشافعى رضي الله عنه » وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها مترفا تفتخر على بنى عمك بذلك فقلت ما اصنع فقالت نادبالا بطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ماأمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثنى على الفعل ويعدنى انه يحمل الى فى كل عام مثل ماصار الى منه ومادخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولتنى اياها أمة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ماأنت صانع فقلت اجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ماتأخر معك قال فدفعته اليها ودخلت الى مكة فما بت تلك الليلة الا مديونا واقام مالك رضي الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى اولا احدى عشرة سنة فلما مات

ضاق بي الحجاز وخرجت الى مصر فعوضني الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته في سفري فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألني المزني املاء ذلك بحضرته فما وجدنا المجلس فرغة فما وقع كتاب السفر الى أحد غيري

﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ ما نقله القرطبي في كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبي طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد ان يصلي فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته واتى الى أبي طالب عمه وقال يا عم ألا ترى ما فعل بي فقال له أبو طالب من فعل بك هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال ابو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله بن الزبعرى فاخذ ابو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا ان يؤذوني وتأبى ان تؤمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فامضي لامرك قد زعمتك ناصحي	فلقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك يقينا

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة ابي طالب قال نعم

رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون اهل النار عذابا «وفى» صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال ابو طالب لولا ان يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون انما حمله الجزع لاقررت بها عينك فأنزل الله تعالى انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء «واما» عبدالله بن الزبعرى فانه اسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فى ابيات منها فى حكاية حاله

انى لمعتذر اليك من الذى ... اسديت اذ أنا فى الضلال مقيم

فاغفر فداءك والدى كلاهما ... وارحم فانك راحم مرحوم

﴿ ومن غريب ما نقله القرطبي فى الاعلام ﴾ ان الانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه معه لينظر فى ملكه فكان اذا اتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة الف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له اهل مكة كخضوع اهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عمارا يافقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابونى ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لا يعرفون شيأ ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بمعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فاخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده احد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره

اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم فى امرى فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة مايعرض من امور الارض وهذا شيء من السماء لا نستطيع له رداثم اشتد امره ونفرت الناس عنه ولم يزل امره فى شدة حتى اقبل الليل فجاء احد العلماء الى وزيره فقال له ان بينى وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال اريد الخلوة فاخلى له المكان فلما خلا مجلس الملك قال له العالم ايها الملك انت نويت لهذا البيت سوءا قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبي نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هى التى أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر واخرج من قلبك ماهممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد اخرجت ذلك من قلبى ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برأ من علته وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذى يرى الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء اخرجوا من بينهم اربعمائة وهم اعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه ان لايخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير ماشأنهم يمتنعون عن الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم فى هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك البيت وهذه البقعة التى نحن فيها يشرفان برجل يبعث فى آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم

الملك ان يرتحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فاخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم ان يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فاقام وأمر الناس ان يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم ان يقيموا فى ذلك المكان الى ان يجيء زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره ان يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه والا فيوصى به اولاده مثل ما أوصاه به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الكتاب « أما بعد » فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبدالله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميرى ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذى ابرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذى مات فيه تبع الى اليوم الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من اولاد اولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله اهل القبائل ان ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت الى دار ايوب وكان من اولاد العالم الذى ابرأ تبعا برأيه ثم استشار الانصار عبدالرحمن بن عوف فى ايصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فاشار عبدالرحمن

ان يدفعوه الى رجل ثقة فاختار وارجلا يقال له ابوليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فاخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم فى قبيلة بنى سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت ابوليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول قال نعم فبقى ابوليلى متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبوليلى من أنت فانى لست اعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك اثر السحر فقال له بل انا محمد رسول الله هات الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر اباليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم «قال ابوعبد الله محمد القرطبي نور الله ضريحه» ماذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام ﴿ ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي » ما أورده من مسند ابى داود عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان اول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما اراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا ازهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال يارب زد فى عمره قال لا الا ان تزيده من عمرك قال وما عمرى قال الف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى اربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ما وهبت لاحد شيأ فاخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة « وفى رواية » ان الله جل جلاله اتم لداود مائة سنة ولآدم الف سنة اخرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه السلام

نسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله اعلم ﴿ ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبي ﴾ ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة اعجبت النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله

وانت لما ولدت اشرقت الار ... ض وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي النو ... ر وسبل الرشاد نخترق

فقال ياعم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة « ومن غريب التفسير » مانقلته من الاعلام ان في قوله تعالى و وجدك ضالا فهدى اقوالا ذكرت في احكام مخارج القرآن احسنها ماذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الارض لاشجر معها سموها ضالة فتهتدي بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه و وجدك ضالا فهدى اى وجدتك لاأحد على دينك فهديت بك الخلق الى « قلت » قد تقدم الكلام في سعادة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ومانال بالاسلام من العز وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة « وتقدم » ذكر شقوة عمه أبي طالب بالشرك مع حمايته و رعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي تقدم قوله مشيرا الى قريش في خطابه الى النبي صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا

« قال السهيلي » نور الله ضريحه في الروض الانف هذا من باب النظر في حكمة الله « ونقل » في الروض الانف ايضا عن هشام بن السائب ان اباطالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش فاوصاهم فقال يامعشر قريش ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة و والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي

ثم هلك ﴿ومن شهي المجتنى من ثمرات الاوراق ﴾ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة ايام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي　　متناشيا مثل القضيب الناعم

فكان نور البدر سنة وجهه　　يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها احرة انت ام امة فقالت بل امة يا صاحب رسول الله فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وانا الذي عمل الفراق بقلبها　　فبكت بحب محمد بن القاسم

فصار أبو بكر رضي الله عنه الى المسجد و بعث الى مولاها فاشتراها منه و بعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب عفي عنه ﴿ ومن مناقب الامام عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ﴾ في فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشأم فاقاموا على دمشق شهرا فجمع ابو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم في المسير الى قيسارية او الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الاميرا كتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له اصبت للرأي يا معاذ ثم كتب الى امير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب الى عمر رضي الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت انت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة و بياض و كتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشأم ابي عبيدة اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه وقد وصلني كتابك تستشيرني الى اي ناحية تتوجه وقد اشار

ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى ابى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمه الجيش الى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة ايام واهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان فى اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى اهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ماهذه الضجة التى اسمع قالوا ياأبانا قد قدم أمير القوم ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله ولا بد ان اشرف عليه وانظر الى صفته فان كان هو اجبته الى مايريد وان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى ان ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلدتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج ابو عبيدة اليهم الى ان حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فاقاموا عليها أربعة اشهر فى اشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الامر ونريد منك ان تشرف على

القوم وتسأل ماالذي يريدون فان كان امراصعبافتحنا الابواب وخرجنا اليهم فامانقتل عن آخرنا أونهزمهم عنافاجابهم البطرك الى ذلك وصعدالصور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربي وقال يامعاشر الفرسان عمدة دين النصرانية قداقبل يخاطبكم فليدن منااميركم فقام أبوعبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ماالذي تريدون هذا اميرالعرب فقال البطرك انكم لوأقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال ابوعبيدة وماصفة من يفتح بلدكم قال البطرك لانخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لاتأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع ابوعبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم اقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لاأعرفه وصفته عندنا قال ابوعبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الامر على ماذكرتم فاحقنوا الدماء وابعث الى صاحبك يأتي فاذارأيناه وتبينا نعته فتحناله البلد وأعطيناه الجزية فانصرف ابوعبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب ابوعبيدة الى الامام عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه فرح وقرأه على المسلمين «وقال» ماترون رحمكم الله فيما كتب الينا أميرالامة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال ياأميرالمؤمنين ان الله قداذل الروم فان انت اقمت ولم تسر اليهم علموا انك بأمرهم مستخف فلايلبثون الا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عنداحد منكم رأى غيرهذا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نعم عندي غيرهذا الرأى وأنا ابديه اليك رحمك الله فقال له عمر وماهو ياابالحسن قال ان القوم

قدسألوك وفى سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد اصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك فى مسيرك الاجر العظيم ولست آمنا منهم انهم اذا ايسوا منك ان يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضر والصواب ان تسير اليهم ففرح عمر بمشورة على وقال لقد احسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو وعلى احسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة على فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر امر الناس ان يأخذوا الاهبة للمسير معه واستخلف على المدينة على ابن ابى طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له احمر عليه غرارتان فى احداهما سويق وفى الاخرى تمر و بين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار الى ان اقبل على بيت المقدس فالتقاه ابو عبيدة فلما رآه اناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد ابو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا الى ان نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وابو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم الى ان حضرت صلاة الظهر اذن بلال فى ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت ابدانهم فلما قال أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم امرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها اربع عشرة رقعة بعضها من أدم قال المسلمون ياأمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا لكان ذلك اعظم لهيبتك فى قلوب اعدائك وأقبلوا يسألونه ويطوفون به الى ان اجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير احسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفه منديلا من الكتان دفعه اليه ابو عبيدة وقدم له برذونا اشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل

البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل عمر مسرعا وقال اقيلوني عثرتي اقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد اميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته و ركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ماشأن العرب فاشرف رجل من المتنصرة فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قدقدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر واعلم البطرك فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لابي عبيدة تقدم الى القوم واعلمهم انى قد اتيت فخرج ابوعبيدة وصاح بهم وقال ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد اتي فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا الصور واشرف على ابي عبيدة وقال ماهذا ايها الشيخ قال ابوعبيدة هذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو مني فانا نعرفه بصفاته ونعته وافردوه من بينكم حتى نراه فرجع ابوعبيدة الى عمر فاخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشي عليك من الانفراد بلاعدة فقال عمر قل لن يصيبنا الاما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وابوعبيدة سائر بين يديه الى ان اتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال ابوعبيدة هذا امير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذي صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا اهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت انفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم اقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين

دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة وخط محرابا وهو موضع مسجده وتقدم وصلى
بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام في بيت المقدس عشرة ايام وبها اسلم كعب الاحبار على
يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ان كتب
الامام عمر لاهل بيت المقدس وأقرهم في بلدهم على عهدهم وأداء الجزية ﴿ ومن
شهى المجتنى من ثمرات الاوراق ﴾ مانقله ابو الحسن علي بن عبد المحسن التنوخي
في المستجادات امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما بات على فراش النبي
صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه اوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام
اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة
فاختار كل منهما الحياة فاوحى الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت
بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض
واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي
بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد « قال ابو الحسن المدائني »
خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا
ففاتتهم اثقالهم وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال احدهم هل من شراب
قالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا
فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم
ماتأكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا واقاموا
حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين
فالمي بنا فانا صانعون لك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد
مدة الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان

بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها يا أمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك بالامس يوم كذا وكذا قالت بأبي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فامر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألف شاة وألف دينار فقال لها لو بدأت بي لا تعبتهما في العطاء اعطوها اعطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة ﴿ ومما يضارع هذه اللطائف ﴾ أنه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين بن علي بن ابي طالب « أما بعد » فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه ﴿ قال أبو الفرج الاصبهاني ﴾ حدثني أحمد بن محمد الجعد ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد ان يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشأم فقال الفرزدق وكان حاضرا انا

أعرفه ياشامى قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم ... لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم

فحبسه هشام ثم اطلقه فوجه اليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا ياأبافارس فلو كان معنا فى هذا الوقت اكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ماقلت ما كان الا لله فقال له على بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيأ لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها ﴿ ومن غالى جواهر العقد لابن عبدربه ﴾ قال يزيد حدثنى أبى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم من المدينة الى الشأم على حمار فتلقاه معاوية فى موكب نبيل فاعرض عنه عمر فجعل يمشى الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فاقبل عليه وقال يامعاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم ياأمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا فى بلاد لاتمتنع الجواسيس ولا بد لهم مايروعهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت قال ان كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه ﴿ ومن لطائف معاوية ﴾ انه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لارض لمعاوية فيها

عبيدله من الزنوج يعمرونها فدخلوا فى أرض عبدالله فكتب الى معاوية اما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضي والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى ان تنفذ اليه جيشا اوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ماساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسي رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبدالله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءه فلاعدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبدالله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه اسفر وجهه فقال يابنى اذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء ﴿ نادرة لطيفة ﴾ قال الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة امر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه واما الشحام والرقام والثورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم الثورى فقال له السياف اتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما يعجلك قال اوثر اصحابى بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضي ليعرف أحوالهم فالقى القاضي على أبى الحسن الثورى مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضي فارسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم وأطلقهم ﴿ ومن المروى عن احمد بن أبى دواد القاضي ﴾ انه قال مارأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به اسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر

اليه المعتصم فاعجبه شكله وقده ورآه يمشي الى الموت غير مكترث به فاطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر في عقله و بلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال اما اذا أذن امير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الاليق بشيمك الطاهرة ثم انشد:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا	يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكثر ظني انك اليوم قاتلي	وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من ان أموت وانني	لاعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم	واكبادهم من حسرة تتفتت
كاني أراهم حين انعى اليهم	وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة	اذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره	وآخر جذلان يسر ويشمت

« قال » فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين الف درهم ﴿ ومن لطائف المنقول من المستجاد ﴾ انه كان بين غسان بن عباد و بين علي بن عيسى القمر عداوة عظيمة وكان علي بن عيسى ضامنا اعمال الخراج والضياع بيادمه فبقيت عليه بقية مبلغها اربعون الف دينار فالح المأمون عليه بطلبها الى ان قال لعلي بن صالح الحاجب امهله ثلاثة ايام فان احضر المال والافاضربه بالسياط حتى يؤدي المال او يتلف فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت ان يعينك على امرك فقال

له على ما بيني و بينه من العداوة فقال نعم فان الرجل اريحي كريم فدخلا على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني و بينك على حاله ولكن دخولك الى داري له حرمة توجب بلوغ مارجوته مني فاذكر ان كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال ارجو ان يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيأ فنهض علي بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان معه البغال عليها المال فتقدم وسامه و بكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف اصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما اطار عقله واذهب لبه فان رأى امير المؤمنين ان يجيزني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى ان حط عنه النصف واقتصر على عشرين الف دينار فقال غسان على ان يجدد عليه امير المؤمنين الضمان و يشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه و يعرف بها مكان الرضا عنه فاجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين ان احمل اليه الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة الى امير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميع فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه و ينتفع بها فامض بها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر ﴿ ومن غريب ما يقتطف من ثمرات الاوراق ﴾ ان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله خلف احد عشر ابنا فاصاب كل ابن نصف و ربع دينار

وقال لهم عند وفاته يا بنى ليس لى مال فاوصى فيه وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا فاصاب كل واحد من البنين الف الف دينار فاما أولاد عمر بن عبد العزيز فما رؤى احد منهم الا وهو غنى ومنهم واحد جهز من ماله مائة الف فارس على مائة الف فرس فى سبيل الله تعالى وما رؤى احد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم وهو يوقد فى الاتون « قيل لمعاوية بن أبى سفيان » ان بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر و رأى اعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شربة قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال اخبرنى باعجب ما رأيت فى عمرك قال نعم ياأمير المؤمنين كنت فى حى من احياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فمشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن فى قبره وأعول النساء فى اثره ادركتنى عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الابيات

ياقلب انك من اسماء مغرور	فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من احد	حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست تدرى ولا تدرى اعاجلها	ادنى لرشدك امما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به	فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الاحياء مغتبط	اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه	وذو قرابته فى الحى مسرور
وذاك آخر عهد من اخيك اذا	ماالمرء ضمنه اللحد الخناسير

فبينما أنا اردد هذه الابيات وعيناى ينسكبان اذ قال لى رجل الى جنبى من عذرة يا عبد الله أتعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذى دفناه وانت الغريب الذى تبكى عليه ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل هذه الابيات وذو قرابته

الذي ذكرته مسرور هو ذاك واشار الى رجل فى الجماعة فرايته لا يستطيع كتمان ماهو عليه من المسرة فقال معاوية ياأعاجزهم سل ماشئت قال مامضى من عمري ترده والاجل اذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لى سل غيره قال يا امير المؤمنين ليس اليك ردشبابي ولا الاخرة فتكرم بهما مالى والمال فقدا خذت منه فى عنفوانى ما كفانى قال لابدان تسألنى قال اما اذا شئت فامر لى برغيفين اتغدى باحدهما واتعشى بالآخر واتق الله واعلم انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ماقدمت فامر له معاوية باشياء وحنطة وغيرها فردها وقال ان اعطيت المسلمين كلهم مثلها اعطيتني والا فلا حاجة لى فى ذلك ثم ودعه وانصرف « قيل وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على احد خلفاء بنى امية » فقال له الخليفة كم كان امير المؤمنين يعطيك يعنى أباه قال كان رحمه الله يعطينى الف الف درهم قال زدناك لترحمك عليه الف الف درهم قال بأبى أنت وأمى قال و بهذه الف الف قال لا أقولها لاحد بعدك قال ولهذه الف الف قال منعنى من الاطناب فى وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه الف الف فقيل له فرقت ياأمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على اهل المدينة اجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع مامعه حتى احتاج بعد شهر الى القرض ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ ان رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى الف الف وأكثر قال لم ارد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم ارد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لى منها شيء والسنون كلها لله قال ياهذا ماسنك قال عظم قال ابن لى ابن كم أنت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شيء قتلنى قال كيف اقول قال تقول كم مضى من عمرك « قيل » عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين الف درهم فلما حضر واليشتروا قال بكم تشترون منى جوار سعيد بن العاص فقالوا هل الجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار

من ان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان أسأت اليه احسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة الف درهم وقال امسك دارك عليك « قيل » خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام اسود يقوم عليها فاتى بثلاثة اقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لان ارضنا ما هى بأرض كلاب وانا له جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال اطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء والله ان هذا لاسخى منى فاشترى النخل والعبد فاعتقه ووهب ذلك له ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ انه رفع للرشيد موت العباس بن الاحنف وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم وعشيمة الخمارة فى يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال اخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغوا نصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها ... لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... انى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال اليس من قال هذا الشعر اولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين «قلت و يضارع هذا ما حكاه صاحب الاغانى » حكى ان رجلا ادى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضى هل يعرفك احد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضى هل تعرف هذا قال نعم اعرفه عدلا وما ذاك الا انى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا ابلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من أبصارهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن «وقال الشيخ اثير الدين أبو حيان رحمه الله» كانت رقائق الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لانها فى الطريق الغرامى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

انعم بوصلك لى فهذا وقته يكفى من الهجران ماقدذقته

انفقت عمرى فى هواك وليتنى اعطى وصولا بالذى انفقته

يامن شغلت بحبه عن غيره وسلوت كل الناس حين عشقته

كم جال فى ميدان حسنك فارس بالسبق فيك الى رضاك سبقته

أنت الذى جمع المحاسن وجهه لكن عليه تصبرى فرقته

قال الوشاة قد ادعى بك نسبة فسررت لما قلت قد صدقته

بالله ان سألوك عنى قل لهم عبدى وملك يدى وما أعتقته

أوقيل مشتاق اليك فقل لهم ادرى بذا وأنا الذى شوقته

« قلت » لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه « قال الشهاب محمود » وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ اثير الدين. وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من اصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر بالمجلس امرأة « قال الشهاب » محمود وكنا يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بايديهن « قال الشيخ » اثير الدين ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف ابو محبوبه ان لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه « قلت » والشيخ مدرك هو أبو هذه

المذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده و رعه بالجمال وعف وصبر الى ان مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرئ الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرئ الا الاحداث ففتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن اهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

بمجالس العلم التى   بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة   غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة   الله فى تضييعها

« فلما » قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما « وقال » فى كتابه الموسوم بمصارع العشاق اخبرنا القاضى ابو القاسم التنوخى سنة ثلاث واربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى ابو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمرو النصرانى قال القاضى ابو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان   ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان   معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه   لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه   كانما عافاه من ابلاه
ياويحه من عاشق ما يلقى   من ادمع منهلة ما ترقى
ذاب الى ان كاد يفنى عشقا   وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكى   بادمع مثل نظام السلك

تخمد نيران الهوى وتذكى ... منهلة قطر السماء تحكى

الى غزال من بنى النصارى ... فضل بالحسن على العذارى

وغادر الاسد به حيارى ... فى ربقة الحب له اسارى

ريم به أى هزبر لم يصد ... يقتل باللحظ ولا يخشى القود

متى تقل ها قالت الالحاظ قد ... كانه ناسوته حين اتحد

ياليتنى كنت له زنارا ... يديرنى فى الخصر كيف دارا

حتى اذا الليل طوى النهارا ... صرت له حينئذ ازارا

ياعمرو ناشدتك بالمسيح ... الا سمعت القول من فصيح

يذب عن قلب له جريح ... ليس من الحب بمستريح

ياعمرو بالحق مع اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت

ذاك الذى فى مهده المنعوت ... عوض بالنطق عن السكوت

بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منها فى الفم

ثم استحل فى القنوم الاقدم ... يكلم الناس ولما يفطم

بحق من بعد الممات قمصا ... يوما على مقداره ماقمصا

وكان لله تقيا مخلصا ... يشفى ويبرى اكمها وابرصا

بحق محيى صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور

ومن اليه مرجع الامور ... يعلم مافى البر والبحور

بحق من فى شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع

يبكى اذا مانام كل هاجع ... خوفا من الله بدمع هامع

بحق قوم حلقوا الروسا ... وعالجوا طول الحياة بوسا

وقرعوا فى البيعة الناقوسا ... مشمعلين يعبدون عيسى

بحق مارمريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وبطرس

بحق دانيـل بحق يونس ... بحق حزقيل و بيت المقدس
ونينوى اذ قام يدعو ربه ... مطهرا من كل سوء قلبه
ومســـتقيلا فاقيـل ذنبـه ... ونال من مولاه ما أحبـه
بحق مافى قـــلة المـــيرون ... من نافع الادواء للمجنون
بحق مايؤثر عن شـــمعون ... من بركات النخل والزيتون
بحق اعياد الصـليب الزهر ... وعيد أشمونى وعيد الفطر
و بالشعانين الجليل القـــدر ... وعيد مرمار الرفيع الذكر
وعيد شعياء و بالهياكل ... والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل ... ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق ســـبعين من العبـــاد ... قاموا بدين الله فى البـــلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد ... حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحـق ثنتى عشرة من الأمم ... ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الهدى جلا الظلم ... ساروا الى الله ففازوا بالنعم
بحـق مافى محـكم الانجيـل ... من منزل التحريم والتحليل
وخـبر ذى نبـأ جليـل ... يرويه جيل قدمضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح ... بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح ... من كل غاد منهـم و رائح
بحق معـمودية الارواح ... والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح ... من راهب باك ومن نواح
بحق تقريسـك فى الاعياد ... وشربك القهوة كالفرصاد
عسا بعينك مرن السواد ... بطول تقطيعك للاكباد
بحق ماقدس شعيا فيـه ... بالحمد لله و بالتنزيه

بحق نسطور وما يرويه عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى والبطرك الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم وماحوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم بحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الذبح فى الاشراق وليلة الميلاد والتلاق
والذهب الابريز لا الاوراق بالفصح يامهذب الاخلاق
بكل قداس على قداس قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم خميس الناس وقدموا الكاس لكل حاس
الا رغبت فى رضا أديب باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى الذيب أعلى مناه أيسر التقريب
انظر اميرى فى صلاح امرى محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا منى جميل الشكر من نثر الفاظ ونظم شعر

« قلت والشئ بالشئ يذكر » الشيخ مدرك الجأته الضرورة الغرامية ان يتجشم المشاق ويتقرب الى محبوبه باقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما الجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور ان يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهى أقوال الرافضة وموجب ذلك ان مهذب الدين المذكور هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوى

نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذى سارت الركبان بغرامه فيه فاخذ الهدية وأعجبه المملوك فاخذه فلما وصل الخبر الى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تتر

عذبت طرفى بالسهر ... وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتى ... من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنى ... وكحلت جفنى بالسهر
وجفوت صبا ماله ... عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا ... دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغ ... ن من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما ... ك بسهم ناظره النظر
تركتك اعين تركها ... من بأسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قسى لا ينساط بها وتر
جرحتك جرحا لايخيط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو ... ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج ... وكأنهن لها اكر
تخفى الهوى وتسره ... وخفى سرك قد ظهر
افهل لوجدك من مدى ... يقضى اليه فينتظر
نفسى الفداء لشادن ... انا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الخوا ... طر ان تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ ... ه فحين راينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ ... ـح جبينه ليل الشعر

تدمى اللواحظ خده ... فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما ... والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى ... قلبي الشق وما أمر
نومى المحرم بعده ... ورييع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا ... والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا ... ف به ولبي واعتمر
لئن الشريف الموسوى ... ابن الشريف أبي مضر
ابدى الجحود ولم يرد ... الى مملوكى تتر
واليت آل أمية الطهـ ... ـر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر ... وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا ... بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ ... ـم صاحبه عمر
ما سل قط ظبي على ... آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو ... ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما ... شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ ... ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته ... جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصـ ... ـحفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ ... ـر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز ... جر من لحاني أو زجر
وأقول أم المؤمنيـ ... ـن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ ... ـلح بين بنيها فى زمر

وأنت لتصلح بين جيـ ‌ ‌ ‌ ‌ ش المسلمين على غرر
فاتى أبو حسن وسـ ‌ ‌ ‌ ‌ لى حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى ‌ ‌ ‌ ‌ وبعيرا مهم عقر
ماضره لو كان كف ‌ ‌ ‌ ‌ وعف عنهم اذقدر
وأقول ان امامكم ‌ ‌ ‌ ‌ ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا ‌ ‌ ‌ ‌ وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا ‌ ‌ ‌ ‌ وية ولا عمرو ومكر
بطل بسوءته يقا ‌ ‌ ‌ ‌ تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من رطب النوا ‌ ‌ ‌ ‌ صب ماتثمر واختمر
وأقول ذنب الخارجيـ ‌ ‌ ‌ ‌ ن على على مغتفر
لا ثائر لقتالهم ‌ ‌ ‌ ‌ فى النهروان ولا أثر
والاشعرى بما يؤو ‌ ‌ ‌ ‌ ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا الى منبرا ‌ ‌ ‌ ‌ فانا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا ‌ ‌ ‌ ‌ حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما ‌ ‌ ‌ ‌ شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن ‌ ‌ ‌ ‌ ابناء فاطمة أمر
والشمر ماقتل الحسيـ ‌ ‌ ‌ ‌ ن ولا ابن سعد ماغدر
وحلقت فى عشر المحر ‌ ‌ ‌ ‌ م ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره ‌ ‌ ‌ ‌ وصيام أيام اخر
ولبست فيه أجل ثو ‌ ‌ ‌ ‌ ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو ‌ ‌ ‌ ‌ ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا ‌ ‌ ‌ ‌ فح من لقيت من البشر

ووقفت فى وسط الطريـ ـق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو ل بلحم جونى الجفر
وجعلتها خير المآ كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كله ومسحت خفى فى السفر
وأمين اجهر فى الصلا ة لكن بها قبلى جهر
واسن تسنيم القبو ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغدير اقول ماصح الخبر
وسكنت جلق واقتديـ ـت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم بالفاشريا قد فشر
مصطيحتى مكسورة وفطيرتى فيها قصر
بقر ترى برئيسهم طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم خبثت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ ـريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا ر له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف أضلنى بعد الهداية والنظر
مالى مضل فى الورى الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريـ ـف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيـ ـء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ ـلك واحتذر كل الحذر

واليكها بدوية ... رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها ... قس الفصاحة لافتخر
وروى وأيقن انني ... بحر والفاظ درر
حبرتها فغدت كزهـ ... ـر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها ... لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استمـ ... ـر على الجحود ولا أصر
وأتى بنى وجزيته ... شكرا وقال لقد صبر

﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ مانقله الشيخ الامام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر بن الوردى رحمه الله تعالى لما دخل دمشق المحروسة فى أيام قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى الشافعى تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه فى صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زى أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشترى فقال بعضهم اعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترسمون أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم فقالوا نظما فأخذ القرطاس وكتب

بسم الاله الخالق هذا ما اشترى ... محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن احمد بن الازرق ... كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه ... بكورة الغوطة وهى جامعه
لشجر مختلف الاجناس ... والارض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الارض بالذراع ... عشرون فى الطول بلا نزاع
وذرعها فى العرض أيضا عشره ... وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقى ... وحائز الرومى حد المشرق
ومن شمال ملك اولاد على ... والغرب ملك عامر بن جهبل

وهــذه تعرف من قديم ... بانهــا قطعة بيت الروى
بيعــا صحيحا لازما شرعيــا ... ثم شراء قاطعــا مرعيــا
بثمن مبلغــه من فضــه ... وازنة جيــدة مبيضــه
جارية للنــاس فى المعــامله ... الفان منها النصف ألف كامله
قبضها البــائع منــه وافيــه ... فعــادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض الى من اشترى ... فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبــدن التفرق ... طوعا فــا لاحــد تعلق
ثم ضمان الدرك المشــهور ... فيــه على بائعه المــذكور
وأشــهدا عليهــما بذاك فى ... رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره ... من بعد خمس تلوها الهجره
والحمــــد لله وصــلى ربى ... على النبى وآله والصــحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر ... ابن المظفر المسرى اذ حضر

« فلــا فرغ » الشيخ زين الدين وتأمل الجمــاعة سرعة بديهتــه مع استيعــاب الشروط الشرعيــة اعترفوا بفضله واعتذروا اليــه لمــا علموا انه ابن الوردى وأجلسوه فى الصدر ولــكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فــكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد لذاك أحمد ... ابن رسول وبذاك يشهد

﴿ تحفة من فوائد كتاب الانشــاء ﴾ قال عبد الحميــد كاتب مروان آخر ملوك بنى أمية لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هى ما رضيته الخاصة وفهمته العامة « ومن كلامه » خير الـكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا « اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد » كتب الى يحيى بن خالد فى شــكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه جمع من الشــكر والاستزادة

بأبلغ عبارة واوجز « عمرو بن مسعدة كاتب المأمون » كتب اليه كتابي هذا وأجناد امير المؤمنين على أحسن ماتكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه الا ترى الى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار « ابراهيم الصولى » كاتب المعتصم والواثق والمتوكل كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته « ومن بديع نثره » ما كتبه عن أمير المؤمنين الى بعض الخارجين يتهددهم و يتوعدهم اما بعد فان لامير المؤمنين اناءة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه والسلام وهذا الكلام وجازته فى غاية الابداع و ينشأ منه بيت شعر وهو

اناءة ان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه

« وكان » يقول ما اتكلت فى مكاتبتي الاعلى ما يتخيله خاطري و يجاس فى صدري الاقولي وصار مايحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي من اخرى فأنزلوه من معقل الى عقال و بدلوا آجالا من آمال فاني المعت بقولي آجالا من آمال بقول مسلم بن الوليد الانصارى المعروف بصريع الغوانى

موف على مهج فى يوم ذى وهج كانه اجل يسعى الى امل

وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام

فان باشر الاصحى فبالبيض والقنا قراه واحواض المنايا مناهله

وان تبن حيطانا عليه فانما اولئك عقالاته لامعاقله

والا فاعلمه بأنك ساخط عليه فان الخوف لاشك قاتله

« ومن رقيق شعره » حين احضر لمناظرة احمد بن المدبر فقال ارتجالا

صدعني وصدق الاقوالا وأطاع الوشاة والعذالا

أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه « ومن رقيق شعره أيضا قوله »

دنت بأناس عن تناء زيارة   وشط بليلى عن دنو مزارها

وان مقيمات بمنعرج اللوى

لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

« الحسن بن وهب » سئل عن مبيته فقال شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم استيقظ الا بلبسى قيص الصبح « بديع الزمان الهمذانى » الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد « ومن انشائه البديع » قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لامر اذا هم وسبيل ذوى الالباب فى الدخول من هذا الباب ان ينظر وا فى القول الى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن « ومن انشاء أبى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى » وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالاضافة الى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها « ومن بديع انشائه » وغرقت فى هواجس الفكر ووساوس التذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أولقيتكم من حدة التصور والله تعالى اسأل ان يسقط بيننا فى تشاكى ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم « أبو الحسن بن بسام » من انشائه عارض اذا همع استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم « ضياء الدين بن الاثير الجزرى » ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم وله فى القلم فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق فى احضارها

بلغ الغاية وما أحضر وله لون تحقق فيه القول النبوي لو جمعت الخيل في صعيد لسبقها الاشقر « ومن انشاء القاضي تاج الدين بن الاثير » والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهي للحصون من أكد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بانه ليس بامام معصوم ومتى امترى خالق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغا فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم ولقد سهوت عن الصابئ وكان في هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة بن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدولة ان يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله في رسائله والصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه « قيل » للصابئ ان الصاحب بن عباد قال ما بقي من أوطاري واغراضي الا ان أملك العراق وأتصدر ببغداد واستكتب الصابئ ويكتب عني وأغير عليه فقال الصابئ ويغير علي وان أصبت «ومن انشائه» ما كتب به الى أبي الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد في بلاغته وسحبان في خطابته وتصرف بين جد امضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا ان الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدي ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القدم يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتي الحركة فيه لانه عظم مجلد قد طال للكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما ولا عرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ورغبتي في التثمير فلم اجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا لعناء لانه ليس بانثى فتلد ولا بفتي فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه

ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذي لحم فاصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبري الا ان تطالبني بدخل أو بيني و بينك دم فوجدته صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم أعلم من أي أمريه أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره و ياليت شعري ما كنت مهديا لو اني رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا جرب أو قردا احدب والسلام « وله من رسالة » هو أخفض قدرا ومكانه وأظهر عجزا ومهانه من ان يستقل به قدم في مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع في منابذتنا وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشوده والظلامة المردوده وكان له عبد اسمه يمن وكان يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال يمن وهو اسود للذي ببياضه استعلى علو الخائن

ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى ان قد أفدت به مزيد محاسن

ولو ان مني فيه خالا زانه ولو ان منه في خالا شانني

«الصاحب بن عباد» من بلاغاته المخترعة انه قيل له ما هو أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد في البلاد كالاسياد في العباد « وله جواب كتاب » وصل كتاب مولاي فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح و واسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك « ومن » شعره يرثي كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير بن أحمد　　وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلى نبكه معا　　فمثل كثير فى الرجال قليل

« القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم » علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين وبرز فى صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان فى تاريخه « أخبرنى » أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره ان مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها « وذكر » ابن خلكان فى تاريخه أيضا ان العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا انسبوه اليها « وقال » الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى اخبار الوزراء المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا توارى بل هى اليد البيضاء التى لا تجارى خروج أمره الى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس الدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها فى السماء « وتوفى الفاضل » فى ليلة الاربعاء سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى تربة بسفح المقطم فى القرافة الصغرى « قال » ابن خلكان كان القاضى الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات ان يخلف الزمان مثله « فمن انشائه المرقص المطرب قوله » وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا تدخل عليه آفه وان يد الدهر البخيلة به كافه وأنتم يابنى أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه اداهم وقلدتم ايامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم وايام دولتكم اعراس وما تم فيها الاعلى الاموال ماتم والجود فى ايديكم خاتم ونقش حاتم فى نقش ذلك الخاتم « ومن انشائه

فى كاحل » كانه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه فى كفن من الخرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها سواد اللما وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا العماقد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من أكابر اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجحد معجز القميص اليوسفى فلو مر وابه على ناظر انقرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا اميالهم فانما هى لشمس العيون مزوله واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحله « ومن انشائه » سقى الله ثراه والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه فى هذا النحو جار ومجرور والمهامه قد نشرت فيها ملاءالسراب وزخرفها بحرما ولد لغير رشده على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جموع صفين الا اننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كالمحابر يغترف منه الجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطىء نقرة مقتله وهو مع هذا قليل كانه مما جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى ساعات الفراق فيالك من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ما وصف به أهل الجحيم فى قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونمشه المرادو يحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قد وارت الارض فاطمع على انه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان « ومن انشائه » الى ان يرد كتب العسكر واعلامها من مدات الفاته ورؤس المدا قطمات همزاته « ومنه » فبنت سنابك

الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنه وطارت اليهم عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنه وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كانما تطلب سوادها وقصدت انهار السيوف صدورهم لتروى اكبادها « ومنه » وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الالان طرسه محراب ولا انها سميت خرسا الا قبل ان ينفث سيدنا فى روعها وانمع هذا الصواب ولا انها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا انها اعلام عباسية تناولتها الحضرة بيدها الاجرم انها تحمى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتتشح بها يده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الالسنة ان فى الايدى كما فى الافواه لسانا « قلت ومن مخترعاته قوله » وان ادعى سحر البيان انه يقضى ايسر حقوقه ويثمر ما يجتب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصلب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد السنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام « ومن انشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه » نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأضفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات حجره ويحيي مطلقه الحيوان وتجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتعرف على ما يصرفك فى الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى بابانته وتمده بايصال

رسمه مهنأ على عادته « و رسم لى فى الايام المؤيدية وأنا منشىء الديوان الشريف المؤيدى» سنة تسع عشرة وثمانمائة ان أنشىء رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمنى من المنشئين بالديار المصرية حتى ان المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة و رسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان غرضه فى ذلك اختبار الالفاظ والمعانى من الرسالتين فانشأت بعد المستعان بالله * ونبدى لعلمه الكريم ظهور رآية النيل الذى عاملنا فيه بالحسنى و زياده وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عاده وخلق أصابعه ايزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهاده كسر جسره فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز ومابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت اعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بفوة لماجاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد فى الآثار وعمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم * وأرشفه على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم * وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت واحيا له أمهات العصف والاب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقيه ولبس الورد تشريفه وقال أرجوان تكون شوكتى فى ايامه قويه ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون

ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه البكاء وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يردو لبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت باجنحتها بخلق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعدما تفقه وأتقن باب المياه ومدشفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل في بركة الحبش فدخل التكرور في طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته واظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطمن فى حلاوة شمائله فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفه وثقلت ارداف أمواجه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفه ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى حمرة وجناته وكلما ازداد زاده الله فى حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولاميت خليج الا عاش به وبدت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له القياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر اعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الحرير زمجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد تر ذا القر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناله حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولا برح

من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا «قلت تقدم» قولى ان الشىء بالشىء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا رسالتى البحرية التى كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدمامينى فسح الله فى أجله من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشأم وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شائبا من أهوال برها و بحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة «وهى» يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث فاثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى كانك فى فم الدهر ابتسام

فاكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجه وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجه وافق معال بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم و ميدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما الفرسان الشقراء والابلق فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال و ينهى بعد ادعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما السجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وأبرح ما يكون الدهر يوما اذا دنت الديار من الديار

وصول المملوك الى مصر محتميا بكنانتهما وهو بسهام البين مصاب منعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشأم بألسنة الرماح محمولا على جناب غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح

من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى فكيف بالبين والغراب

« يامولانا » لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعدما شعر به البين نظام وكشرت الحرب فى ثناياه عن انياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم تقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشأم بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الامكرها الا بطل وكم قات لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته الا جبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره يامولانا

بوادى حماة الشأم من أين الشط وحقك تطوى شقة الهم بالبسط

بلاد اذا ماذقت كوثر مائها أهيم كأنى قد ثملت باسفنط

ومن يجتهد فى ان بالارض بقعة تشاكلها قل أنت مجتهد مخطى

وصوب حديثى مائها وهوائها فان أحاديث الصحيحين ماتخطى

بمعصمها ان دار ملوى سوارها فما الشأم بالخلخال أومصر بالقرط

تنظم بالشطين در ثمارها عقود الها العاصى رايناه كالسمط

وترخى علينا للغصون ذوائبا يسرحها كف النسيم بلا مشط

وتمد ذاك النهر ساقا مدملجا وراح بنقش النبت يمشى على بسط

لو يناخلاخيل النواعيرفالتوت | وأبدت لنا دوراعلى ساقة السبط
سقى سفحها ان قل دمعى سحابة | مطنبة بالدمع منهلة النقط
و ياأسطر النبت التى قد تسلسلت | بصفحتها لا زلت واضحة الخط
ولا زال ذاك الخط بالطل معجما | ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط
لو يت عنانى فى حماها عن اللوى | وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولذ عناق الفقر لى بفنائها | وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابى ومنبت شعبتى | وأوطان أوطارى بها ورضا سخطى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته | برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
وقدجاء شرط البين انى أغيب عن | حماها القدا وفى فؤادى بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشالنى | الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها | منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
امثل شوقا شكلها فى ضمائرى | فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقدسار يمشى الهم نحوى بسرعة | فياليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعابى الى ورا | كانى فى الديوان أكتب بالقبطى

« يامولانا » وابثك مالقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعار يضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقدرمت أز رقلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك جالساغير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب و زاد الظمأ بالمملوك وقداتخذ بالبحر سبيله وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويله

وهل أبا كر بحر النيل منشرحا | وأشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا امواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جاريه وغشيهم منها ماغشيهم فهل أتاك حديث الغاشيه واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها الفقد رجالها وجرى ماجرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عدمن المتصبرين في تابوت تأتي بالطباق ولكن بالقلوب لان صغيرها كبير و بياضها سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت انامل قلوعها بالعود و رقصا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشامم وهي كما قيل انف في السماء واست في الماء وكم نطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل ارداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاديفها في مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى أن ترى ضلوعها من السقم تعدو لقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذي الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك

وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الامر وقيل بعداً للقوم الظالمين « و بعد » فان المملوك يسأل الا قاله من عثرات هذه الرساله فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين مشتتا واعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية فى فصل الشتا وليسترعو راتها بستائر الحلم و ينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد و يعود على الضعيف الذى قطعت صلاته من صفا هذا المشرب عائد و يصير العبد مسمودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام و يحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربى برد وسلام والله تعالى عن بقرب المثول بين يديه ليحصل للمملوك بعد التخلص من البين حسن الختام « القاضي السعيد » هبة الله بن سناء الملك وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بأمواجه وجمر وصدره المظلم بسراجه « ومن انشائه » فالاسلام من طلقائه والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض و رماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض « ومن انشائه » وكيف لا يحمد المملوك تلك الاشواق وهى تقربه من المولى بالتخييل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود و يشافهه بالسلام و يرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقه وستو راهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقه ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دموعها بمياه محرقه فهو منها فى نار وجنه مغلول بغلة مطوق بمنه « ومن انشائه » ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلادة فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ماخطر مثله على قلب بشر ودمع مامر على بصر الا ومر كلمح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر «القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر » خليفة القاضي الفاضل «ومن انشائه قوله»

نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من اطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من السنة الخرصان وذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بمياه السيوف المجرده وشجى فى صدرها لم تقاومه أدوية العزائم المفرده «ومن انشائه» بابطال الحشيش بعد الخمر نعلمه ان المنكرات أمرنا إن تملأ الصحائف بآجرها وتفرغ الصحاف وان لا يخلو بيت من بيوتها من كسر او زحاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ماقصرت وان أم الخبائث ماعقمت وان الجماعة التى كانت ترضع ثدى الكاس عن ثديها مافطمت وانها فى النشوة ماخيب ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشترى يه بدرهم مما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم مايعرف من الاحمرار فى الكاس وصاروا كانهم خشب مسندة سكرا واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بأن تجتنب أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ولا خضراء الدمن «ومن انشائه» عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب و بين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسوره فكم أخذنا لكم قرية معموره وقد قال الملك فقلنا وعلم الله ان قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح «ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا» فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة «فلا» روضة الادرع ولا جدول الاحسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الاسهام ولا مدامة الادم ولا نغم الاصليل

ولا معر بدالا قاتل ولا سكر ان الا قتيل حتى انبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا «شعر»

وضاقت الارض حتى كادهاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

«قلت ذكرت» بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر فى شفاعة ما نسج على منوالها «وهى» أدام الله نعمة مولانا ولا زال علم علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت اقلامه لافعال الشك جازمه ولا عدائه متعدية ولا آرائه لازمه «أما بعد» فان فلانا حضر وادعى انه رخم فى غير النداء وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب نخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر ان العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأمور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما يوجب العطف ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لا زال مولانا بابا للعطف والصله وما آثر مكارمه متصلة لا منفصله «قلت» قد انتهت الغاية هنا الى التحلى بالقطر النباتى وقد عن لى ان أوردهنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين «وهى» الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامى حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية مجد تلقاها عن آية براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى فى السيادة فعلا امضى العزم السنى قبل دخول سينه واذا حمل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كتاب بيانه فى الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذى أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما

باقيا الى يوم الدين « أما بعد » فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده
وانتظام هذا العالم الارضي في سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم
بمدبره تماما يخط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها
مفرعا غصن القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا أحكام عدلها واحسانها
يبني مالكها على الاسل من اقلامه ويحوط اطرافها احاطة الزهر بكمامه ويتحفها
باوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه
« وكان » صاحب هذه الدولة التي خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل
وراسخ دوحها الذي ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذي تلا تسديده ماضل
صاحبكم وماغوى وضابط أمورها الذي طال مااستشرفت اليه اسماع وابصار
وانتصرت به تقديم هجرته فلاغروان صار من المهاجرين بها والانصار المقر
الاشرف الصاحبي الوزيري الاميني أعلى الله تعالى ابدا شأنه ورفع على فرق
الفرقدين مكانه وزان باقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانة ممن استدعته
رواة المحافل وتردد في المناصب العلية تردد الاقمار في المنازل وجمع الاوصاف
الوزيرية جمع أبي جاد للحروف وتنبه قلمه ونامت ملء اجفانها السيوف وعرف
بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السري وقدره معروف وكنت أود لو نقلت
الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينه وجمعت بملازمة مقره الشريف لظاهر الوصف
باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه هذا
واشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بيني وبين القصد حائله « فلما »
عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه
الشريف على ما في خاطري وأمرني بالمسير في ظل ركابه فسر على الحقيقة سائري
وكاشف ولا ينكر الكشف ان كثرت زواياه في البلاد وتغطر لحالي ولا ينكر
النظر في الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له في استصحابي مقصد تقبل الله عمله

الصالح ومتجره الرابح وذلك انى كنت لابساثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفت حبة قلبي على قطعة كبدى سلقيار وض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار وجه عاجلته الايام بصرف المنون اطلب قلبي فى التراب وانشده واطارح صوت الصدا فينشدنى وانشده شعر

يالهف قلبي على عبد الرحيم ويا شوقى اليه ويا شجوى ويادائى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد احرقت بالنار يا كانون احشائى

وقال أيضا

آها لعقد قد وهى سلكه وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عنه الردى وعاد ذاك الدر در ايتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبى فى اسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عنى بصحبة ركابه الكريم لباس الباس ويشغلنى بمشافهة الانس القائل الاهكذا فليصنع الناس وينهضنى بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلى قربا لا يفطن لمثله الامن ومن فيا لها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور وتلافضلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن اثر بنا العفو وبشكور ومد فيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ يدتى وعينى دقيقا وجليلا وأمرنى ان أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدى السعد قد ذللت الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والارض قد شرعت فى لباس حليها وحللها ومراعى الربيع قد وعدت حتى الشمس بتسمين حملها والشتاء قد آن ان يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول ابى الطيب المتنبي

لقد حسنت بك الايام حتى كانك فى فم الدهر ابتسام

فأتينا الكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد تباشرى بالحظوه ولعيون الاقبال تأملى فما أحسن الكعبة فى الكسوه ومررنا والخيل تجمز جمزا وجزنا بالصنمين فهمت ان تفخر بمواطئ خيلنا على اللات والعزى وصمدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها و بين منزلة المغير أرضا قد اخضر جنابها وطرزت بآثار الطرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت

سقى الله أرضا طرقها مثل طرزها ... وسائرها برد من الوشى اخضر
تذكرت أحبابى بمثوى بريدها ... فعينى رأس الماء وجسمى المغير

ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا ان نريح عندهم الركاب من الاين وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين ووجدنا هنالك فقيرا مغربيا حسن التلاوة قد عجز عن السير وارتد طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فأمرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامه ولحقه فى ذلك فقير عجمى ينشد لسان حاله بى مثل ما بك يا حمامه فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا يجلس لحظة واحدة فيركض نداه فى الغرب والشرق وعجنا بعجلون فحشر الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الاصوات بالادعية الوافيه وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتمنا وهى ذات عين صافيه ثم نزلنا بالخيام فى مرجتها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهى فى معارج السحب صاعدة شائده فى الجو كأنها فى السحر على عمود الصبح قاعده مضيئة بين عقود الانجم كأنها درتها اليتيمه جالسة على سرير الخيل تنادم الفرقدين كأنها جذيمه فنظر فى المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينتظر الغادى الذى هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا الى الغور

عقبه سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبه واستفتحنا المزارات التي نوينا قصدها
وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة
ابن الجراح رضي الله عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الامة الاول
أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر في مرتبه بين العدل
واعانه بيد السماح وجعل والى الناحية عبيدة وما جعل لشاهدة المعروف بالجراح
وسلكنا جانب الغور المغطور فاعجبنا ريا ورواء وكنا نظن الماء فيه غور
فوجدنا الغور ماء وخضنا في حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقباته كالمعلقة وملنا
الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد بيشر الصباح ولم نقل اهلك واليل ومازلنا
كذلك لانمر بواد الا اتت مع الابتهال بطول العمر رماله وأراملة ولا بناد الا قامت
للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الا ازها على التي بين
السماكين بدرها ولاماش الا حمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء
صنوف ولا جائز الا شملته جائزه ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزه ولا ظبية من
ظبيات دمشق الا والمكارم تؤاليها وتواليها وتوجدها في القفار كما توجدها أولياء الله
فيها الى ان قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسبقنا اليه طرة الصبح تحت اذيال
الظلام وخف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب
حرمه عصا السفر والقت هناك رحالها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الارض
وزارنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء
وجددنا الاوطان والاقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى
تتفجر منها الانهار وأقمنا في بيوت اذن الله ان يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو
والآصال سكانها وكان ممنا شخص يلقب بالخلدسكن يتاحسنا وغمض عينه على
الرفاق تغميضا بينا « فقال مولانا الصاحب » ماتقول في بيته فقلت ما اقول في جنة
الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يفعلون

وذوقوا عـذاب الخلد بمـا كنتم تعملون « ثم » دخـل الناس على الابواب الصاحبية أفواجا وما ترك احد منهم منهاجا ذا ناحية الا منهاجا ومكثنا فى البيوت الى ان صحا الافق من مدامة غمـامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقمنا لبقية المشاهد قاصدين ولتلك المبانى المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطىء القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قديمـة تذهل عيون النظاره وآثارا متجددة فى هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العباره ومحاسن يقف فى طريق الزيارة متأملها وقفة فى الطريق نصف الزياره فنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف نستلم كالحجاج أركانه ونقلب وجوهنا فى سماء سقف يكاد يمطر علينا لجينه وعقيانه ونشاهد رخاما بلغ فى الحسن والمحـل الاقصى فى الاقصى وتمت به فى بهجة المكان زيادة تخالف قول النحاة ان فى الترخيم نقصـا فاما المياه التى تجرى فى الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافىء الله عنها فى دار المقامه وحسنة فى المعنى والصورة جارية الى يوم القيامه ومن المبانى المذكورة ما هو خصيص بمولانا ملك الامراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذى قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حـديث يروى فيروى الاسماع الظامئـة مورده وخانقاه تضىء عليها أنوار البركات الـكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل

* ثمـال اليتامى عصمة للارامل *

وقلت فيهما

بنيت رباطا للنسـاء ومكتبا	يدير على الايتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذاك كما ترى	ثمـال اليتامى عصمة للارامل

فجنينا من تلك المحـاسن بساتين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنـة نشأت وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صـدقات السر والجهر وقوبل

السؤال ببحر لا يسمع عنده نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصي يأتين من كل فج عميق فوضع في مواضعه النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض أشراقها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بمد التفاصيل بالجمل وقال جودها الحاتم هذى التى لا ناقة لك فيها ولا جمل « ومما قلت فى ذلك »

لله كم حال امرئ مقتر قضيت فى القدس بتنفيسه

ودرهم ولى ولكنه قد أخذ الاجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الاوقاف الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف فيا لها ألواحا كتب فيها من الحسن كل شئ وأطرد ماء رونقها فكان العين منها فى ماء وفىء ويا له رواقا شاق وصفه وراق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاهى الرواق ورتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجليه وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليليه وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا وزفمنا الانوار ه الجفون وتملى عند الزيارة ذو العين بذى النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام ابراهيم امانا واستلمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهناء ألوانا وقلنا لانفاس الشوق كونى بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد اللقا نشفى ظمأ ابراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجرت المواعيد على عوائدها

المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله فى ظل صاحب　　　جلى العلى والمكرمات جليل
فهذا لدنيانا وهذا لدينا　　　فياحبذا من صاحب وخليل

وسرنا فى ظل الصاحب من الخليل وكادت دمشق تمد ايدى اعطائها الجاذبة ركابه ومصر تتضرع باصابع نيلها طمعا فى اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية الى الله بعوده اليها وايابه وهم شباك الوزارة ان يتلقى صاحب فتحه وصدر الخزائن ان يعانق مااعتاده من رأى عطفه ومنحه فانه ماجلس فيه أبهر وأبهى من الطلعة الامينيه باجماع الآملين المتأملين والخزائن التى كم قال لها تدبيرها انى حفيظ عليم فقال الملك وانك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت اكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحمل وأقمنا ثلاثة ايام نكاد ننشد

خرجنا على ان المقام ثلاثة　　　فطاب لنا حتى اقمنا بها عشرا

ورأينا مسجدا يعرف بالركنى قدغير الزمان محاسنه الانيقه وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقه فأمر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت الآراء حجارته المنقضة فتبين ان السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع فى هذه المنزلة من المعروف مالاصنع ذوالدهر الطويل مثله وبنى من المكرمات ماثبت ولولا ابداع سعادته ماثبت البناء فوق الرمله ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما السلام فررنا فى طريقنا بجمله غير معترضه وبنية فى وجهة القبول مبيضه تحتوى على قبر بنيامين أخى يوسف عليهما السلام فالحقناه بالزيارة باخيه وتوكلنا على الله فى القبول توكل أبيه وتيممنا ببنيامين وقرعنا أبواب السماء بادعية فاتحة فقال النجح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا

وتلامزارها للقادم انا نبشرك بيحيي و بتنا ليلة طيبة نحييها ونميت النوم ونعصي بالسهر أمره فماله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضي الله عنه فانقذت أنواره القلوب من الهم أي انقاذ وكدنا نفتتن بالانس حتى تقول افتان أنت يا معاذ وامسكنا عنده من الدعاء بعروة لا تنفصم وأوينا من طوفان الذنوب الى جبل ينجح من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عماره وانشاء طهاره والحق بكل مزار وردنا عليه في هذه السيارة فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا عن الغور نهوض ليثه الملبد وجزنا مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه اربد وانتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التي قدمنا ذكرها ورجعنا كما تسترجع منازل الافق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا ننشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعي الجليل وفاصلنا السفر على كل وجه للفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طائلا نداؤه * كل ليل للعاشقين طويل * وفي تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف سائرين سرى النجوم في الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر الملتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت امام ركابنا الانهار ولبست من وشي البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار ازرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزياده وتمت هذه السفرة على أحسن ما يكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت في الليل المذاكره والتقطت من الفوائد

الوزيرية ما كنت ارتقب جواهره وازاهره وأردت ان اذكرها فى هذه الخطبة لانها جواهر وأضمنها بعض العلم فى هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع واقتضى الحال ان أجمعها فى سفر يقال فيه تلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله ان هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بقرح وأى قرح وقال تفكرها الذى كان حائك الكلام لست اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذرى ويعلم السبب فى كونها ليست عادة نظمى ونثرى واذا كانت القريحة فى بقايا قرحها فليت شعرى أينهض سجعى وشعرى والله تعالى المسؤل ان يجعل فى البقاء الصاحبى سلوة عن كل فقيد ويصل اسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا فى شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد «قلت» ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبى الامينى رحلتى صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروز أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة الى الديار المصرية وان لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدى والازهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لى ان اقرنها بالرحلة النباتية فانهما رحلتان «وهى» ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف اخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سممه ليأخذها بالشفعه وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فسائلنا الشريف يبشره بالرجعه «صدرت» هذه المكاتبة تهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحيه وتعرب عما بدته عن بياننا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الروميه فانها رحلة مؤيدة تشد اليها

الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على اعطاف الدهر فهى لها من اطهر الاذيال ونبدى لكريم علمه تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيديه واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبيه وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت اقفاله بعد ما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الادعية من أفواه مراميها فرحابنا وسرورا و بدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الارض طائفتها الارمنيه وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريعية الصوفيه ورغب ابن رمضان فى طاعتنا الشريفة فعجلنا له فى ربيع حلاوة الرغائب و رفعنا قواعد بيته الابراهيمى وأدنيناه من أرمنة فدنا منها الى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح و رشفت بالسنتها فى كل قطر قطرها ففتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها لما نظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فامسى ثغره بافواه الشكر يقبل و بسط جبين جسره لمواطئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس و بانياس ولم ينتظم لبنى كنتديت بملطية يقام له وزن و يظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جمر لا يفحم

وماهو الا كافر طال عمره ... فجاءته لما استبطأته جهنم

وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى اعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئيرا ساداتنا من بعيد فادبر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أبوابها بعد كسرة عن الفتح وقال اهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا

بعد القتال هذا الفتح المبين وصفق مقباهم وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم
عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا
شدة القرم نخشى كل منهم ان يصير لحماً على وضم ورأوا السن السهام فى أفواه
تلك المرامى برأينا الصائب ناطقه وما اظهر واعلى سماء برج غيوم ستائر الالمعت فيها
من بوارق نفوطنا بارقه فمزقوا الاطواق من الخنق فطوقناهم بالحديد وأحيينا
الفتح المأمونى برأينا الرشيد وماخفى عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف فى
الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمى لما ادعى انه
نمرود تلك الفئة الغادره كله بسيوفنا فاخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى
فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل
ليعصمه فقال له لاعاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه فى بحر عسا كرنا بعد
ماعض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر وقد شاهد من اصيب
بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم اترا كنا ومارؤى احد فى ذلك
اليوم من الترك مان وسقوا وعار تلك الجبال من دمائهم فكادت احجارها ان تورق
وتخصب بعد المحل وجنوا بالمسال عسل النصر وغنموا من الانعام مازاد فى عدد
اجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد لهفى لظبية أنس
منكم نفرت وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحلى من افلاك تلك الصدور
قد انتثرت وسن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم اوصالا
وحميت نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا
ورخصت انواع الديباج فكم من معدنى صارمع دنى لان قبورهم بعثرت وتلا
لسان حال الكشب على السمور وغيره من اصناف الوبر واذا الوحوش حشرت.
وانقادت ركائبهم الينا وبدور مواطئها فى بروج تلك الجبال قد اشرقت والناظر
يتلو متعجبا أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على القر

الابراهيمي برداوسلاما فانه رفع قواعد بيته فى ذلك اليوم وعلمنا ان الله قدجعل لابراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدار الى بروج الكمال فابدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقدظهرت فلاتخفى على أحد الاعلى اكمه لايعرف القمرا

وان كان شبلا فهو فى المخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قدجعلها الله من صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الاعداء ان دمهم يجري عند لقائه دما وكذا جري وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فانه اخرج اهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا قبل ذلك فى ولده وقد كره العود اليه وألف أبوتنا الشريفة وتوطن فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه نخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيء الا بأهله وحل ركابنا الشريف بالابلستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة لاستبقاء مالنا فى ذمة جيرانها من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الاخضر وقالت على الرأس والعين والقتنا الى درندة وما العيان من صنع الله فى اخذها كالخبر وقرنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ماقرناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر وطلعت فى ظهر الجبل كنمل فطار كل جارح من سهامنا بريشة الى فتحها وظنت صون من بها العلو ذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفحها وقرعنا جباها بسبابات المدافع وكسرنا منه السنيه وأمست حلق مراميها كالخواتم فى اصابع سهامنا المستويه وخر بجرها طائما فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسره واقلعنا الى خشب سفينها المسندة فنزقنا قلوع سائرها وخربنا قريتها العامره هذا مع انه

الملك خطبها لنفسه واراد ان يعرج اليها فترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج ان يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبي النصر وأبي الفتوح وتعلق سكانها بأذيال الامان فامناهم ولكن كانوا في صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعه فاحسنا الختام بدرندة والقينا كسير المدافع على حجرها الذى كان غير مكرم واحسنا التدبير في الصناعه وسمعت كرت برت بذلك فالقت من بها من بئر معطلة وزهت فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس بهنتان من ذلك فخطبتنا لجمالها البارع وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهي ايضا ممن خطبها الملك لنفسه فتمنعت واراد السمو الى افقها العالى فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من احجارها الثقال خلافا لمن اصبح الصخر عنده مثقالا بمثقال وعلم طغرق ان سهامنا في كل عضو من اعضاء العصاة جارحه وأفواه مدافعنا في اعراض الصخور من سائر القلاع قادحه فتبت يداه عن المنع وجنح الى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته في الفاتحه وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بكختا وكركر ولكن ابكتهم سهامنا دماجرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن كختا ان كانت قلعة نجم عقابا في عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتي بأجنحته اوكان الهلال قلامة لا نملتها التي علاها من الاصيل خضاب فكيف الخضيب يتيمم ترابي ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس ان يكون من تماويذه والشجرة التي لولا سمو فرعها تفكهت بحبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع انف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم واميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وأيقنوا ان بمده لم يضرب

بيننا بسوره باب وكان منهل مائهم عذبا فا كثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدى دلو فلم ترض ام المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو ابى زيد السروجى لا يرجع بيله ولا يجلب نقع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والاحكام وانقلبوا اصاغرين الى الطاعة وقد قابلنا انف جباهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ما يراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت اكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى والفات السهام وعطست انوف مراميهم بأصوات مدافعنا كان بهاز كام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهدوا الخطب جليلا وقال كل منهم ياليتنى لم اتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهدده وفروا من سطواتنا الشريفة الى البروج فأدركهم الموت فى بروجهم المشيده وسألنا كرديهم فى جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسمناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها * كريشة فى ممر الريح ساقطة * وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد ازهرت باسمنا الشريف اغصان منابرها وسألت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكير معرفه وصارت ابراجها بالنسبة المؤيدية مشرفه وجهز قراعثمان مفاتيح الرها وآمد وسأل تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لهما فى الشرف محلا فحليناه بذلك وكان من العواطل فحاز المطابقة بالعاطل المحلى والتهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير فتره وهز جذع مراحمنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمره وأقر بذنوبه وقال التوبة تجبه

ماقبلها ودوحة المراحم الشريفة قدمدالله على الخافقين ظلها وعلم انه ماأحسن البيان عن درندة فى تخليص ذلك المفتاح وسأل ان يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا بعدماذاق مرارة بينه والبسناه تشريفه بنيابة الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق انه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهزناولده داود بدروع من الامن ليأمن بهامن يدداود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعدحر المعصية فى ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية ان يقام بها سوق الامان فاجبناها وسمرت بها نار الخوف بعدماغلت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فازلنا عنهم باينا س عدلنا الوحشة وأمست قيسار يتهم فى ايامنا الزاهرة هشه وسجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم ولم يخل من اسمائنا عود منبر * ولم يخل دينار ولم يخل درهم وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعه ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزيكان الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعه فلاقلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الاتوجنا راسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى الروم لمسا كرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد اذلم يبق بتلك البلاد ما تمده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها الشرفها قبله وود كل منهم ان يحظى من جبهات اعتابنا بقبله وتنوعوا من الهدايا بأجناس صدفت من كل نوع مقبول و بالنوافى الرقة وأهدوا من الرقيق ماقام لهم عندنا سوق القبول واسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب الطهارة بتطهير الارض ممن ندبنا اليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من الديار فكانت سيوفنا فى القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر فى اخلاص الطاعة ممايقالى

له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هدا ياه التى هبت نسمات القبول على اقبا لهـا وجنينا منها ثمـار المحبه وحمل التفاصيل التى وشمها سناء الملك ببهجه ولم يترك لابنه فى دار الطراز رتبـة والنمورة التى يحجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحـالك ونهارها السـاطع بين الآيتين والجواد الذى تميز بأوصاف ما صاحب مجرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل الذى قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى سمت عندنا على السروجى بمقاماتها العاليه ورأينا اهلة تغنى عن الفجر فخضبنا كل سرج منها بالغاشيه والجوارح التى خشى النسر الطائر ان يصـير منها واقعـا وصـدق فيما تفرس وخافت الشمس لـا تسمت بالغزالة ولف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى أصـاب به اغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عنـدنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التى وقعت فى محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا عانق سهامه عصر علم انه وصـل الى الـكنانه وبالغ المقر الجمـالى فى نظم بديع الهـدايا ونسخ الجفا بكثرة رقيقـه وادار من أوانى الصينى كئوسا اترعها الود بسـلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسـة وأوصلناها ما استحق لهـا من ديون الفتح علينا ورددنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التى استبشر بها وجه الزمان بصـدقطو به وتبسم فانه ركن هـذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيأخـذ منها حظه ويثلج صدر البرايا فغيها لهم برد وسـلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه فى ليله ونهـاره من اخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعـل له من صـياغة إعمـاله ان شاء الله حسن الخواتم « قلت وذكرت بهذه الرحلة » ايضـا رحلتى من الديار المصريه الى دمشق المحروسـة المحميه سنة احـدى وتسعين وسبعمائة

والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية وحدث بدمشق المحروسة ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومى الفخرى القاضى بن مكانس فى شرح ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم تسمح على غلبة الظن قريحة بمثالها « وهى » يقبل المملوك أرضا من عمها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض فى ذلك المضمار وتهيم بواديها الذى يجب ان ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار و ينهى بعد اشواق أمست الدموع بها فى محاجر العين معثره ولولم يقرا نسانها عرسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما اكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وجثت حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشيه ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التى صغر اسمها لاجل التحبيب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فانشد به لسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب ونظرت بعد القباب الى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت الى بديع بيوته التى حسن بناء تاسيسها وقد فسدتها النظام * فسال وقد وقفت عقيق دمعى * على ارض المصلى والقباب * ونظرت الى ذلك الوادى الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت ان وادى المصلى قد تبدل بوادى الغضا

فسقى الغضا والساكنين وانهم شبوه بين جوانح وقلوب

واصطليت النار وقد ارادت سبى ذلك النادى فشبت عليه من فوارس لهيبها الغاره وركضت فى ميدان الحصى فوجدت اركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجاره

ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرر ورة فى موضع القصر واصبح أهله فى خسر وكيف لا وقد صار واعبرة لاهل العصر وتأملت تلك الالسن الجرية وقد انطلقت فى ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل الملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه فى سورة الدخان فوجب ان أجرى الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبرى بعد ان كان فى خبر كان

* دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا *

ووقفت اندب عرصاتها التى قدحت بالبين فخابت من أهلها الظنون وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القمح يدور ويجىء الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به مولانا على الملوك من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب

آها لمصر أين مصر وكيف لى	بديار مصر مراتعا وملاعبا
والدهر سلم كيفما حاولته	لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يامولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلاء عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشكا الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا

من هـذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم في كانون ولعمري لو عاش ابن نباتة و رأى هذه الحـال وما تم على أهل دمشق في كانون لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال

يالهف قلبي على وادي دمشق ويا　　حزني عليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحريق لقد　　أحرقت بالنار يا كانون احشائي

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفه وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لهـا من دون الله كاشفه واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب ومالهـا غير الارواح مهر وعقـدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق. وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القـلوب من عيون مراميها بالنبال وأهـدت الى العيون من مكاحل نارها اكحالا كانت السـهام لهـا اميال وطلبها كل من الحـاضرين وقد غلا دست الحرب وسمح وهو على فرسـه بنفسـه الغاليـه و راموا كشفها وهم في رقعـة الارض كانهم لم يعلموا بأن الطارقة عاليه وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الاسحار وقد استيقظوا الحمـل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيذ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسس رواسي المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت الى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب الا وجـدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشـكلات وما احقه بقول القائل

* فضائله سور على المجـد حائط * وبالعلم هذا السور اضحى مشرفا * ثم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلاوا بيك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه انفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهدوا

القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها القلت علمت نفس ماقدمت وأخرت والى نار النفط وقد نفطت من غيضها والى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها

ومن العجائب ان بيض سيوفهم تلد المنايا السود وهى ذكور

والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء والى اهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء والى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع والى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع والى قامات اقلام الخط وقد صار لها فى طروس الاجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد ذلك الى العشير وقد استحل فى ذى الحجة المحرم وحمل كل قيسى يمانيا وتقدم نحر ج النساء وقد انكرن منهم هذا الامر العسير فقلت

وغير بدع للنساء اذا تنكرت العشير

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت اهل الباب وهم يتلون لاهل البلد فى سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا ثم طلبوا افتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت الى ماتحت القلعة من اسواق التجار فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجاره فمنهم من هم شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت انشد فى تلك الاسواق وقد سعرت * ألا موت يباع فاشتريه * ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك فى بيوتهم أخدود امن وقود النار وقد لحر بهم فى ذلك

اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطاب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار و ياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ونظرت الى ضواحى البلد وقد استدت فى وجوههم المذاهب ومالهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الارض بما رحبت لما غلق فى وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسر يسرا ولا تنهتك مخدراتهم من كل فاحشة سترا واقطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فأنت حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فأنشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحتراق * فديناك من ربع وان زدتنا كربا * *فانك كنت الشرق للشمس والغربا* وانتهيت الى الطواقيين وقد اسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف و رمت العصائب و بعلها بعينه دائر هذا وكم ناهدات اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا * و وصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاطلع فرآه فى سواء الجحيم واندهشت لتلك الانفس التى ماتت من شدة الخوف وهى تستغيث للذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت الى ظاهر باب السلامة وقد اخفت النار اعلامه ولقد كان اهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامه والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من احبابها السكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على اديم الارض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذة الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم تر فأتى دمعه وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق اطراف السبعه فاعيذ مابقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى

سواديته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب الشرقى فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دارعينه وكرومه الكريمة فى جنتين من نخيل وأعناب وتوصلت الى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رباها وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيالهفى على عروس دمشق التى لم تذكر محاسنها اسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت احشاؤها بالاضطرام وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها	مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه	حوامل المزن فى احشا اراضيها
فما نضا حبها قلبى لنيربها	ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها	ولا نسيت مبيتى جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آوينا بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهارها فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمح الناس من قال

انهض الى الربوة مستمتعا	تجد من اللذات مايكفى
فالطير قد غنى على عوده	فى الروض بين الجنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك روضها الباسم

وضاع من غير تورية عطره الباسم ولم ينتظم لزهره المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم سحريه وكيف لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الاوراق النباتيه هذا وكم عروس روض سورمعصمها النقش فلما انقطع نهرها صح انها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت اندب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى مغنى الربوة دخولا

لم لا أشبب بالعيش الذى انقرضت   أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص يزيد فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر ثور فاهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق فى ثغره الاشنب برد حصبائه مايبل الريق وانقطع وقد اعتل من غيضة بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت مر العيش بعد حلاة تلك القطوف دانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخر نهر حمص خاضعا وتكدر بعدما كان يصفى لناقلبه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصار والا يملكون حبه طالما كان اهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديره فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لا حاجة لنا بحمص والجزيره فيالهفى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين وياشوقى الى رأس تلك المرجة التى كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس فاضحت باكية على فراق الابلق واخضر ذلك الميدان يامولانا لقد بكى المملوك من الاسف بدمعة حمراء على ماجرى من اهل الشهباء فى الميدان على الشقراء

حتى كذب الناس من قال

قل للذى قايس بين حلب　　وجلق عقتضى عيانهـا
ماتلحق الشهباء فى حلبتها　　تعثر الشقراء فى ميدانها

« فقال » لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى تغمز قناته غمزا « وأنشد »

ومن ظن ان سيلاقى الحروب　　وان لا يصاب فقد ظن عجزا

ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت على أهله من درع الصبر سكينه فقلت يارب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينه ولكن مادخلت بها الى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما وعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقرا ومقاما وتلى على بيت ناره قلنا يانار كونى بردا وسلاما « فحسن » ان أنشده قول ابن الجوزى « من كان وكان »

والحار عندك بارد　　والنهر امسى منقطع
والعين لاماء فيها　　ماحيلة القوام

وأتيت بعد ذلك الى الجامع الاموى فاذا هو لاشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زهى بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه ويأته طائعا ولقد صدق من قال

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق　　وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر　　فقل لهم باب الزيادة مفتوح

معبدله قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته ورايته فى القبلة من شدة الظمأ وقد قويت من ضجيج المسلمين اناته وخفض النسر جناح الذل وود بان يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ليس له بعدا كسير الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت طبقا عن طبق واصبح دوحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس باصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبه ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبه وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضه وتكدرت افراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضه وأنشد لسان حاله

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما　　　فى وسعه لسعى اليك المنبر

وودت العروس ان تكون مجاورة لجماتها التبل ريقها برحيق الامن اذا نظرت الى عاصى الحمدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوار أبى نواس وقد انقطع قلبه بعد ما كان يثب ويتجرى وكاد ان ينشد من شعره لعدم الماء الا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهده ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الانعام المائده واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجبائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استمدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر متصلة اطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلامهم

قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت اهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنه
ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقه فانهيت الى مجاز طريق
الفوار فوجدته كان لم يكن له حقيقه كم وردته وهو كانه سنان يطعن فى صدر الظما
أو شجرة كدناء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السماء
أو مفترق بيد الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية
بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى
كان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع او ابيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط
حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثأرا عند بعض الكواكب
نخفض لفقد الماء مناره وخفى بعدما كان به أشهر من علم وجدع انفه وطالما
ظهر وفى عرنينه شمم فقلت

لست أنسى الفوار وهو ينادى	غيض مائى وعطل الدهر حالى
فتمنيت من لهيبى بأنى	اشترى غيضه بروحى ومالى

فلا والله ما كانت الا يسير مدة حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن
شنب الري بعد ما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما قامت
على ساق وقدم وبطلت آلتها التى كان لها على تحريك الاوتار وجس العيدان
نغم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف
فى أجفانها لما علمت ان الزيادة فى الحد نقص فى الحدود وفاضت غدران الرحمة على
رياض الامن فظهر لها من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن
وبعد فالمعذرة من فهاهة هذه الرسالة التى هى فى رياض الادب باقليه والصفح عن
طولها وقصر بلاغتها بين يدى تلك المواقف السحبانيه وليكن محمولا على متن الحلم
كلامها الموضوع فقد علم الله انها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن
ضعيف وليس لكثير ضعفه عاصم ولا نافع وراحة فكر أمست وهى عند سيرها

الى غايات المعانى ضالع

فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم ... وراحلتى بين الرواحل ضالع

« هذا » وكم تولد للمملوك فى طريق الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن انه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانه وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه

من زعقة الغراب بعد الملتقى ... فارقت مصرا و بها أحبابى

وفى طريق الرمل صرت حائرا ... مروعا من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشأم فبئس الحال و بئس الاستقبال فوالرحمن ماوصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لمعيد حر بهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره ... من فوق ذات عماد شادها ارم

لا يجمعون على غير الحرام اذا ... تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك الى انه شلح بقرب الكسوة فى الشتا وانتظرت ملك الموت وقد امسيت

لى مهجة فى النازعات وعبرة ... فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

« هذا » والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فجرح ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعدما كان يدمى من الوهم ولم يلق له مجيرا لما قوى ألمه وضعف منه الحيل الا انه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد وقد وديومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى رقعة الحرب غير الفرس والنفس

ولكنه أنشد

ماتفعل الاعداء فى جاهل　　　مايفعل الجاهل فى نفسه

فأعاذالله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمه و بدأبه فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمه «قلت قداستوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء» ونبذة من فوائدهم و نبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين ان أذكر بعد ذلك مايحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به و بالله المستعان «قال» أبوحيان التوحيدى يجب على المنشئ ان يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير و يحفظ كثيرا من الرسائل والكتب و يكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم بديع الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام ليق الدواة حاد السكين متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضره مليح النادره غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف الالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة «آداب الكتابة» روى الشعبي انه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها «وروى» ان فصل الخطاب الذى أعطى داود عليه السلام أما بعد «وروى» ان أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة «وعن» جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليترّبه فان التراب مبارك وهو أنجح «وروى» عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب أحدهما ولم يتربه

الآخر فاسلمت القرية التي أرب كتابها «وقال الحسن بن وهب» كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة «ورأيت» في تذكرة الوداعي ان القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز كان اذا كتب كتابا بدأ في ترسله بالبسملة لتتم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه «وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما» في قوله تعالى اني ألقي الي كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب ذا كسر ختمه «والعنوان» فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب ممن والى من هو كما قيل * ضحوا باشمط عنوان السجود به «والقلم» لا يقال له قلم الا اذا بري والا فهو أنبوبة «ومن بديع ما سمعته في وصف القلم من النظم» قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي منقول من خط الوداعي

تمشي اليراعة والمداد وراءها	ظل على شمس الطروس ينوع
عوض الغوالي لو تلوح لمسلم	هذي المعاني راح وهو صريع
لولم تكن الفاظه خطية	ماراح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه	فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه	في المهد من عناه وهو رضيع
وغدا كأيميا وقد ضاهى العصا	فغدا يروق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا	حاكته في حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور	والطل يهوى الروض وهو مريع
* نور ونور خطه وكلامه	هذا يضيء به وذاك يضوع

«وقال فيه وأجاد الى الغاية»

ليمناه ذو طرف كحيل اذا بكى	تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا

وقدراح مشقوق اللسان متى جرى　　بثغر الدوى المعسول ابدى اللمى العذب

« وقلت من قصيدة رائية »

له يراع سعيد فى تقلبه　　ان خط خطا اطاعته المقادير
محبر و بتحرير العلوم اذا　　جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة　　وجانس النورمن أوراقه النور
وأشقر يده البيضاء غرته　　له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل اسمر عينه السوداء تلحظنا　　وهدب اجفانها تلك التشاعير
أوسهم علم باطراف السطور غدا　　مريشا وله فى الضد تأثير
كذا محابره سود العيون فان　　دانت أياديه فهى الاعين الحور

« و يعجبنى قول الشيخ شمس الدين بن المزنى فى الدواة »

أنا دواة يضحك الجود من　　بكا يراعى جل من قد براه
دلوا على مثلى من شفه　　داء من الفقر فانى دواه

« وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ »

كنانة الفضل دواتى ولها　　سهم يراع نصله نفاذ
واسمر الخط لديها قاصر　　لانها على الحمى فولاذ

« قلت » و يتعين بعد وصف اقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشؤا فى وصف السيف والقلم وما الموا بها وهى احق بذلك من غيرها القربها من القلم وقد تقدم ان أباطاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباتة انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين « وهى » يقبل الارض التى قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزائمها و ينهى وصول السكين التى قطع بها أوصال الجفا واضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ماغابت الا بلغت الاقلام من تمثرها الى

الحفاز رقاء وكم شاهدت منها البيض الوان خرساء ومن العجائب ان لها السانا لكل عنوان ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعدماخط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد فى لهوات الليل فتنكرت أشعة الانجم حتى ماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذلم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلنا تدخل فى مضايق ليس لسيف قط فيها مدخل

وكلما تفعله توجزه والرمح فى تعقيده يطول

ان هجعت بجفنها كانت امضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعدالته انها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل ان يتكامل لها النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة الا سرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ماوقعت فى قبضة الا اطالت لسانها وكلمت بحده ان أدخلت الى القراب كانت قدسبكت على الدخول أوابرزت من غيمه كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف وهو فى بحر غمده غريق ولوسمع بها من قبل ضربه ماحمل التطريق فلوعاصرها الكمال لعرك من قوسه الاذنين وقال له جحدت وسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت

السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لهما من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولولحها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وفل وقال لقلم رسالته اطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها الازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقرى وتأتى فى كل وقت بما يبرئ من داء الاحتياج ويبرى « قلت وعلى ما وقع من الغريب فى رسالة السكين » يتعين ان نورد ما وقع من غريب النظم فى السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها « قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه » لعمرو بن معدى كرب كيف تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه ما يخطئ وما يصيب قال فما تقول فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى اصرعتنى يا أمير المؤمنين « الشريف البياضى » شعر

وانا اذا الارواح ذابت مخافة ... فتحنا باشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا ان يذاق حديدنا ... خلقنا بحد المشرفية افواها

« وقال أبو العلاء المعرى »

غراراه لسانا مشرفى ... يقول غرائب الموت ارتجالا
ودبت فوقه حمر المنايا ... ولكن بعدما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

« وقال الناشى »

ذو مدمع من غير ماء ستعبر ... وتبسم من ثغره متوالى
ويريك من لألائه متوقدا ... حنق المنون به على الآجال

« وقال الغنوى »

كانت على افرنده موج لجة ... تقاطر فى حافاته وتجول
حسام غداه الروح حتى كانه ... من الله فى قبض النفوس رسول

« وقال وجيه الدين بن الذروى »

فتقت بأجساد الاسود لواحظا ... رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت افواها على قمم العدا ... بالسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه ... وسال على نور الطلا كالمذائب
وقد رشفت وردا لكاوم صغاره ... وما شربت الادماء الترائب
وله سكران من شربه خمر الدماء فان ... حياه نور الطلى غنى لها هزجا

« لسان الدين بن الخطيب »

وخليج هند راق حسن صفائه ... حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فأوشكت ... تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منـ ... ـه مورد والشط منه مهدل

« القاضى الفاضل »

تعد الى الاعداء منها معاصما ... فترجع من ماء الكلى باساور

وله من أخرى

ولرب هاتفة دعتهم للوغى ... جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى ... ونفوس من قتلته من غرقاها

« وقال ابن قلاقس وأجاد »

اسهرتهم وشهرتها لجموعهم ... مذ احرمت فى راحتيك حرام

وكلاهما جفن منعت قراره ... لكن ذا عضب وذاك منام

« وقال ابن سناء الملك »

له منصل لا ينقضي فرض حجه ... فبالغرب لي حين بالنسك احرما
تنسك بالاسلام لكن رأيته ... يحل له في الشرع ان يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده ... لسان دم من ضربة خلقت فما

« مجير الدين بن تميم »

لما قنيت من الصوارم أعوجا ... يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت اوانيا ... للماء من ثقتي بنهر الاعوج

« وقال الغزى »

وقد سلب الطعن الاسنة لونها ... فمصفر في اللبات ما كان ازرقا
وأسيافنا في السابغات كأنها ... جداول تجرى بين زهر تفتقا

« ابن خفاجة »

موسد تحت ظل السيف تحسبه ... مستلقيا فوق شاطئ جدول ثملا

« جمال الدين بن نباتة »

وصارم كعباب الموج ملتطم ... يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقى المنون به ... أضحى يشف على حافاته العلق

« برهان الدين القيراطي »

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت ... رقاب اعدائهم تلك المناديل

« وقلت »

وسيف له في الحرب حسن تغزل ... اذا ما رآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع ... فبان احمرار الورد في ذلك الخد

وكم مال قد فى الوغى ميل معجب ... فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا الفاظهم ساعة اللقا ... فكلمهم ذاك المهند بالهندى

«قلت» وقد وجب ان نذكر هنا ماوقع بعد السيف من غريب النظم فى الرمح «ذكر القاضى الرشيدى» ابن الزبير فى كتابه العجائب والطرف انه كان فى خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون الف سيف وثلاثون الف جوشن ومائتا الف رمح «وقال الفضل بن الربيع» لما ولى الامين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى ان أحصر مافى خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون الف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون الف رمح ومائة الف قوس وألف درع محلاة والف درع عامة وعشرون الف بيضة وعشرون الف جوشن ومائة الف وخمسون الف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون الف سرج عامة انتهى «قلت» و يعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة

أمنصل الرمح الطويل بكوكب ... من ذا يطاعن والسماك سنان

«ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك»

ملوك يحوزون الغنائم عنوة ... بسمر العوالى او ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما ... أرادوا بها تثقيب در الكواكب

«ابن قلاقس وأجاد»

وقد كحلت باميال العوالى ... أساة الحرب احداق الدروع
وشب البأس نيران المواضى ... وأسبل غيث امواه النجيع
فللفرسان من محل ووحل ... حديث عن مصيف أو ربيع

«ويعجبنى أيضا قول القاضى الفاضل» من قصيدة

فياعجبا للملك قرقراره ... بمختلفات من قنال السواحر

طواعن اسرار القلوب نواظر　　كانك قد نصلتها بنواظر

« ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد »

و بكل ازرق ان شكت الحاظه　　مرهَ العيون فبالمجاجة تكحل

متأودا عطافه فى نشوة　　مما يعل من الدماء و ينهل

عجبا له ان النجيع بطرفه　　رمد ولا يخفى عليه مقفل

« السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين بن الآمدى »

غصون بها طير النفوس تناقرت　　وعهدى ان الطير للغصن يألف

فلا ورق الا من التبر حولها　　ولا زهر الا من النصر يقطف

«ابن نباتة السعدى »

و ولوا عليها يقدمون رماحنا　　وتقدمها اعناقهم والمناكب

خلقنا باطراف القنا لظهورهم　　عيونا لها وقع السيوف حواجب

« قلت » رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحوى الملائى تغمده الله برحمته و رضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية ان ينظموا أبياتا تكتب على اسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة « فنظم المقر المرحوى الفتحى ابن الشهيد قوله »

اذا الغبار علا فى الجو عثيره　　فاظلم الجو فالشمس أنوار

هذا سنانى نجم يستضاء به　　كأنه علم فى رأسه نار

والسيف ان نام مل ء الجفن فى غلق　　فاننى بارز للحرب خطار

ان الرماح لاغصان وليس لها　　سوى النجوم على الميدان ازهار

« ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين »

انا أسمر والراية البيضاء لى　　لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل بى عيش العداة لاننى　　نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاهمت الكماة بجحفل ... كانهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى ... قهر المعظم سطوة الجوبان

« ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة »

عروس سنانى حين تجلى على العدا ... وتظهر تبدى مالهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم ... مجال له رحب فسيح المواطن
سياقون يوم الجمع غبنا لموتهم ... بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور فى وعدلوا ... فانى قد بينت فيهم مطاعنى

« ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الآمدى سامحه الله »

النصر مقرون بضرب اسنة ... لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد ... وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ ... يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة ... تحت الغبار فنسخهن محقق

« وقلت »

أنا رمح ورامح الافق يخشى ... من سموى اليه يوم الطعان
واذا أنكر واعداة قدى ... يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صار منه ... قلب سيف البروق فى خفقان
رمحه للودين ينسب لكن ... صاح لماء علاه يالسنان

« مجير الدين بن تميم »

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى ... فى موقف ماالموت فيه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدى ... تجرى دما من تحت ظل القسطل

« ابن شرف القيروانى »

وقد وشعت ارماحهم مفرق الدجى ... فبان باطراف الاسنة شائبا

« ذكر الثعالبي » في لطائف المعارف ان اول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميري واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت اسنة العرب من صياصي البقر «قلت» لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولوان رسالة القوس مشتملة بكمالها على اصابة الغرض لاثبتها هنا ولكن جمع في نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لاتدرك «وهي» ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا « ومن » غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الاما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وممن أصاب الغرض بالغارة في القوس الشهاب الاعزازي بقوله

ماعجوز كبيرة بلغت عمـ راطويلا وتتقيها الرجال
قد علا جسمها صفار ولم تشـ لك سقاما ولا عراها هزال
ولها في البنين سهم وقسم وبنوها كبار قدر نبال

« صفي الدين الحلي ملغزا فيه »

ومااسم تراه في البروج وانما يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر الباري عليه مصيبة عدته وحلت في صدور الكتائب

« الشيخ بدر الدين بن الصاحب »

لله مملوك اذا ماقام في الشغل اعترض
لكنه في ساعة محصل لك الغرض

ومن الغايات التي لاتدرك لغز قاضي القضاة صدر الدين بن الآمدي رحمه الله تعالى «في الكشتوان»

مارفيق وصاحب لك تلقا ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلي وتراه في غاية الابهام

« قلت ومن نظمي في القوس »

قوسي اذا جذبته يطربني ... بجس عوده وتحريك الوتر

ونجم ذاك السهم ان فوقته ... يرى له في طارة البدر أثر

« الشيخ جمال الدين بن نباتة »

فديتك أيها الرامي بقوس ... ولحظ ياضنى قلبي عليه

لقوسك نحو حاجبك انجذاب ... وشبه الشيء منجذب اليه

« قلت » لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التي لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان في ميدان وصفها ومجرى السوابق الذي جمعته في هذا الباب قد تقدم في الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشيء دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على ان أوردهنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن ما يحتاجون الى معرفته « قلت » السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن اسجاع أم لا فنهم من منعه ومنهم من اجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس لنا ان نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازي والمشطر « فالمرصع » عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة العقد في ترصيعه ومن امثلته الشريفة في الكتاب العزيز ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم « ومثله قوله تعالى » ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم « ومنه » قول الحريري في المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه « والمطرف » هو ان يأتي المتكلم في آخر كلامه أو في بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط ان يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا « وكقولهم » جنابه

محط الرحال ومخيم الآمال «ومن» أمثلته الشعرية قول ابي تمام

تجلى به رشدي وأثرت به يدي ... وفاض به ثمدي وأورى به زندي

«الثالث المتوازي» وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى فيها سرر مرفوعه وأكواب موضوعه «ومنه» قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا «ومنه» قول الحريري في المقامات وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت انتهى «القسم الرابع السجع المشطر» وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب

انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات في الانشاء يدل على قوة المنشئ وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك كثيرة في الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر «وكان» بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه انتهى «واما الفقر المختلفة» فالاحسن ان تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر لتساوي القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس لكن لا يكون أكثر من المثل مثاله في القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى «ومثاله» في الثالثة

قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا « ومن فوائد الانشاء » ان تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن كقول الصاحب بن عباد في وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور « ومنه قول الصابئ » يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك «ومن فوائد الانشاء» التي يتسع فيها المجال على المنشئ ان السجع مبني على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت في محل نصب وأختها في محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب في قول من قال ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم ان تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشئ « ومن ذلك » ان السجع مبني على التغيير فيجوز ان يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد «فمن ذلك» الامالة فقد يكون في الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التي هي من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة « كقوله تعالى » والضحى فالضحى اميلت وكتبت بالياء حملا على ما في السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة « وكذلك » سورة والشمس وضحاها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء « ومن » ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن

حذفت الكاف لتوافق الفواصل « ومن ذلك » صرف مالا ينصرف كقوله تعالى قوارير صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا « ومما جاء » من ذلك في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الاصل عين ملمة « ومنه قوله » صلى الله عليه وسلم مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات « ومنه قوله » صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ماوادعوكم ولكن حذفت الالف لتحصل الموافقة « قلت » وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة في اللغة هي المماثلة وهي في الاصطلاح ذكر الشيء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة « ومنه قوله تعالى » تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والاصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس في حقه الا انها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم « ومنه قوله تعالى » ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله « وفي الحديث » قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا « ومنه قول الشاعر »

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه　　　قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أراد خيطوا لي جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه في صحبة طبخه انتهى « قلت » ومن غايات الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال « والفصاحة » خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ يقال معنى

بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ « فمن الانشاء البليغ الفصيح » قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانتوا ر يثما تنجلي هذه الغمره وتصحون من هذه السكره فسينضب السيل وتمحى آية الليل « ومثله » قول أبي نصر العتبي دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهن في تفاريق اعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره «ومثله» قول الصابي نزغ به شيطانه وامتدت في الغي اشطانه «ومثله» قول بديع الزمان كتابي الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره « ومثله » قول القاضي الفاضل و وافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمام عمامه وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه «قلت» و يعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية كشف الازار في مقاصده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف « ومثله في الحسن » قوله في صدر مثال شريف سلطاني أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه « ومثله في الحسن » ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير

ماخاطب فى مكاتبته « فمن » الجواب قولى وهذه الفة خولتنا فى نعم الله و زمام
الاخوة منقادا الينا وقد تعين على القران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا
وقدسر تنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض
وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض
واما قراءة عثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى اجفانها وأنا امل اسنتنا اذ كرت
نوبته الاشرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا مابرحت تنفض ريش
أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل القران نخيم عليه وينزل
سلطان قهرنا بأرضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله
بها من سلطان ولم يهمل الا لاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من
الخوارج وايقاع الضرب الداخل من جس العيدان فى كل خارج ويدهمه من
ابن أبى النصر ابناء حرب شرف فى انساب الوقائع جدهم و ردا لجموع الصحيحة
الى التكسير فردهم واذا كثرت الخدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد
الاخضر مردهم واذا امتدوا الى امد تلالهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال
فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم
المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعه ولم يسمع لسكانها مجادلة اذا
صدموا بالحديد وتلت حصونهم فى الواقعه وما خفى عن كريم علمه ماجمعه الناصر
من الجموع التى فرقها الله أيدى سبا وكم سال سائل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك
العصر بالنبا وقد أشار منشئ دولتنا الشريفة الى ذلك فى قصيد كامل بحره مديد
والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد « قوله »

ياحامي الحرمين والاقصي ومن	لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر	هذا وما فى العالمين مناظر
زحف على المجنون نظم عسكرا	واطاعه فى النظم بحر وافر

فانبرى منه زحافه فى وقعة ❊ يامن باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بامرهم ❊ دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة ❊ فكان هاتيك السروج مقابر

« وما » خفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيء فأجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره حتى أظهرنا بالوان الشأم من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان البصره وأخذوا سريعا بشبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المعامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الا بها تين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أو صرفت العوامل الى غير نحوهما ماعملت وقد فهمنا كريم الالتفات الى ان تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى الموده وعلمنا انها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة ولهذه الاحكام عندنا عمده وقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطورها فى رقاع الاخوة محققه وتصديق مايقصه فى كريم جوابه فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقه والله تعالى يمتع الابصار والاسماع بمشاهدة أمثلته وطيب اخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهى ثماره ان شاء الله تعالى انتهى مادنت قطوفه من ثمرات الاوراق وحلا فى الاذواق السليمة وراق

﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وأوله يحكى ان هرون الرشيد الخ ﴾

فهرست كتاب ثمرات الاوراق

الجزء الثاني وأوله الذيل الاول للثمرات



وصلى الله على سيدنا محمد وآله « يحكى » انهرون الرشيد حج ماشيا وان سبب ذلك انأخاه موسى الهادي كانت لهجارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساءماشأنك ياأمير المؤمنين قال قد وقع في قلبي ان جاريتي غادر يتزوجها أخي هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال مايزيل هذا مافي نفسي وأمر باحضار هرون وعرفه ماخطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى ان يتكلم به في تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لي قال افعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فاستحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الا شهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى الجارية يخطبها فقالت ياسيدى كيف بأيمانك وأيماني فقال احلف بكل شيء حلفت به من الصدقة والعتق وغيرها الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا ليمينه وشغف بها أكثر من اخيه حتى كانت تنام فيضع رأسها في حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هي ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة

فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة وهو يقول

اخلفت وعدك بعدما	جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى	ايمانك الكذب الفواجر
فظللت فى اهل البلى	وغدوت فى الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخى	صدق الذى سماك غادر
لا يهناك الالف الجديـ	ـد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا	ح وصرت حيث غدوت صائر

والله يا أمير المؤمنين فكأنها مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسى ومازالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة ﴿ وحكى ابن أبى حجلة ﴾ فى كتابه سلوك السنن الى وصف السكن اخبرنى شمس الدين محمد بن فراج الحسينى اخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان انبأنا فتح الدين ابن الدمياطية قال رأيت فى المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مزدوجة وكانا نمشى فى طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقنى فقال ليس الماشى برفيق الراكب فقلت اركب انت وأمشى أنا فقال المسئلة بحالها ثم افضينا فى الحديث فسألنى ماصنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شئ من هذا وشئ من هذا فقال مايدعى دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدنى وكنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت استجيده فانشدته الى ان بلغت قولى

تركوا بماء النيل ماء سلسلا	وترشفوا ماء الثمار مكدرا

فقال لى لا شئ فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافى قلت له هذا احسن فمن انت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لا خير ولا مير قال بك ثم بعد ذلك بشهر رأيته فى المنام على الهيئة

التقدمة فسلم على سلام من يعرفني ثم قال هل تعرف من الشعر الميشوم شيأ قلت نعم قال فانشدني وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفي بالنزلة فانشدته اياها

لله ما أشكوه من نزلة ... قد ضر منها ضيق انفاسي
ومن صداع ضقت ذرعا به ... باتت يدي منه على راسي

فقال هذا والله الشعر ثم قال اضف اليهما

فاعجب الى داءين قد عززا ... بثالث من داء افلاس

﴿ وحكى في مرآة الزمان وغيرها في ترجمة شمس الدين توران شاه بن أيوب اخي السلطان صلاح الدين ﴾ قال محمد بن علي الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فمدحته بابيات فلف كفنه ورمى به الي وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به ... ميتا فامسيت منه عاري البدن
ولا تظنن جودا شانه بخل ... من بعد بذلي ملك الشأم واليمن
اني خرجت من الدنيا وليس معي ... من كل ما ملكت كفي سوى الكفن

﴿ حكي ﴾ انه كان ببغداد شخص يعرف بابي القاسم الطنبوري صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى ان صار في غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبي القاسم الطنبوري فاتفق انه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا ابا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وانا ابيعه لك بعد مدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد ورد تاجر من نصيبين بماء ورد في غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا ابيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله في الزجاج المذهب ووضعه على رف في صدر البيت ثم دخل الحمام بفلس فقال له بعض اصدقائه يا ابا القاسم اشتهي ان تغير مداسك فانه في غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام

ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته وكان القاضي دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذى لبس مداسي ماترك عوضه شيأ فوجدوا مداس ابى القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضي عنده فاخذ منه وضرب ابو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فاخذ المداس والقاه فى الدجلة فغاص فى الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس ابى القاسم والظاهر انه سقط منه فحمله الى بيت ابى القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى ابو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وا فقراه افقرني هذا المداس ثم قام يحفر له فى الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا انه نقب فشكوه الى الوالى فارسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى ان غرم جملة مال فاخذ المداس ورماه فى مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس ابى القاسم فحملوه الى الوالى وحكوا له ماوقع فقال غرموه المصروف جملة فقال مابقيت افارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت واسقطت ولدا ذكرا فنظر واما السبب فاذا مداس ابى القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شيء فاخذ المداس وجاء به الى القاضي وحكى له جميع مااتفق له فيه وقال اشتهي ان يكتب مولانا القاضي بيني وبين هذا المداس مباراة بأنه ليس مني ولست منه واني بريء منه ومهما فعله يؤاخذ به ويلزمه فقد افقرني فضحك القاضي ووصله بشيء ومضى اه ﴿ هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهى عزيزة الوجود ﴾

وسرب كعين الديك ميل الى الصبا ... ر واتم بالجادى سود المدامع

سمعن غناء بعدما عن نومة ... من الليل عللهن فوق المضاجع
ايادهر هل شرخ الشبيبة راجع ... مع الخفرات البيض أم غير راجع
قنعت بزور من خيال بعثنه ... وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة ... لتطفى جوى بين الحشا والاضالع
تقول رجال الحى تطمع ان ترى ... لليلى وصالا من بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع
اجلك ياليلى عن العين انما ... أراك بقلب خاضع لك خاشع
وماسر ليلى ماحييت بذائع ... وماعهد ليلى ان تناءت بضائع

﴿ ومن غريب مايحكى ﴾ ان عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبد الملك بن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان ابن زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن ابنها ويزيد بن الوليد ابن زوجها وابراهيم ابن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية بن يزيد ابن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى

﴿ وجد بخط قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر ﴾ قال وجد بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التلمسانى قال أنشدنى القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه فى الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد

امبانى الاهرام كم من واعظ ... صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرتنى قولا تقادم عهده ... أين الذى الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن ... تمتد فوق الافق عن كيوانه
وكان كسرى جالس فى صفحها ... لاجل مجلسه على ايوانه

ثبتت على حر الزمان وبرده ... مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس فى احراقها والريح عنـ ... ـد هبوبها والسيل فى جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة ... فبانى الاهرام من اوثانه
أو قائد يقضى برجعة نفسه ... من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولجسمه ... قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو انها للسائرات مراصد ... يختار راصدها اعز مكانه
أو انها وضعت بيوت كواكب ... احكام فرس الدهر او يونانه
أو انهم نقشوا على حيطانها ... علما يحار الفكر فى بنيانه
فى قلب رائيها ليعلم نقشها ... فكر يعض عليه طرف بنانه

« يحكى » ان القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض اصحابه فى ذلك فقال

يقولون لى فيك انقباض وانما ... رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وانى اذا مافاتنى الامر لم كن ... أقلب كفى اثره متندما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما ... بدا مطمع صيرته لى سلما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ... ولا كل من فى الارض ارضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض مالا يشينها ... مخافة اقوال العدا فيم أولما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا واجنيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي الشافعي سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا اقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو في نفسه عظيم ولكن اهانوه فهانوا ولكن الراوية فهان وعظم بضم العين والاحسن ما أشرت اليه انتهى «قال» الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي في اجوبته عن الاعتراضات التي على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبي نواس

اباح العراقي النبيذ وشربه ... وقال حرامان المدامة والسكر

وقال الحجازي الشرابان واحد ... فحلت لنا من بين قوليهما الخمر

سآخذ من قوليهما طرفيهما ... واشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألني الاديب صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها ان العراقي وهو ابو حنيفة رحمه الله اباح النبيذ وحرم المدامة وهي الخمر اسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شيء وان الحجازي وهو الشافعي رحمه الله قال الشرابان واحد فاخذ أبو نواس بالموجب فكانه قال انهما واحد ولكن في الحل لا في الحرمة واليه الاشارة بقوله فحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره ابو نواس على عادة الشعراء في الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به احد ولعله اشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على ما زعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف يمكن ان يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهي على كل حال من كلمات الشعراء التي لا يحتج بها في دين الله * اعتل ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم ابل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء ان يجهلوها منها

تمحيص الذنوب والثواب بالصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ماقاله غيره اه حكى عن ابن المبارك انه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف اذ عييت فجلست استريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى ارض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فاخبره ان النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك ابشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور الى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانيا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت ايضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل امرى فهو حق فقلت يا رسول الله أريد بذلك علامة لقاه بها فأخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسى شيخ مسن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده فاذا اتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التى اخذتها بيمينى على رأسه ومرها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطرى جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كأولها فلما ان قضيت حجى وحللت عقدى وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسى فقلت يا غلام استأذن لى على مولاك

فقال الغلام اغريب أنت قلت اجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيار يف قعودوهم يقتضون الرهون و يعطون الدنانير والدراهم فقلت ياقوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها و بين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب و بين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم فى الحساب فسلمت كما أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم فرد على السلام وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبى أدن منى فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وماهى قلت ارى ان أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف انك عملت شيأ استوجبت به من الله الجنة قال لا أدرى الا انى رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيتهم رهن من عندى وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيأ صالحا لآخرتك قال قسمت ليلى ثلاثة اجزاء اما الجزء الاول فانى اقعد للمسامرة وتقرأ على سير الاول فأنفرج بذلك والجزء الثانى أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه فى امر معاشى ومعادى وامنع نفسى عن النوم فى ذلك الجزء فان النوم فيه جنون وغول ودماء الا الضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا قلت يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد فبم استحققت يا بهرام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لى بالجنة وأنت عالم المسلمين من اخبرك بذلك قلت أخبرنى الصادق الامين الذى لا ينطق عن الهوى قال فما القصة فحدثته بالمنام الذى رأيته وبما قاله النبى صلى الله

عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن مني فدنا
فمسحت بيدي رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا
طريا سميعا بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك
يا شيخ أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال يا شيخ اخبرك السبب
الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة
للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة
فلما كان في بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما اصابهم
من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أنا امرأة
من جيرانك فأوقد لي هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم
ليلا فتحيرت في امري وقمت ولم انبه احدا فاسرجت لها السراج فانصرفت واطفأت
السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفأ فاسرجه لي فلما اسرجته قالت يا بهرام والله
ما جئتك لاجل سراج لكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك
فهن ملقيات على وجوههن يتضاورن كالمرأة الثكلى او كالحبة في المقلى فان كان قد
بقي في دارك فضل طعام فاعطني فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنة فقلت حبا
وكرامة فأخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو
والحامض واخرجت كيسا فيه الف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة
اثواب من ديباج وستة اثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملي هذا الى عيالك
واقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يا بهرام اعني اعانك الله على
الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد فقلت يا هذه كيف
افعل وأنا شيخ كبير وقد مضى علي مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة
وطاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي فشالته واستقل على رأسي فسال لذلك
عرقي حتى صرت في منزلها فحططت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت القم البنات

الى ان شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما اردت القيام قلن بأجمعهن يابهرام اصلح الله لك امورك وادام سرورك كما اصلحت امورنا وادمت سرورنا وفرحك يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وانزلك اقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الجنان وانا اقول آمين ومازلت ارجو استجابة دعائهن قلت يابهرام ابشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء اخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام فى ذلك بمائة الف درهم وبمائة الف دينار وبمائة الف ثوب مروزيات وبالفى ثوب ديباج وفرق سائر امواله على اولاده وبناته واسلموا اجمعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج اولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين واسلم فى ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن اهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا حتى توفى رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿ روى عن سعد بن سعيد ﴾ انه قال كان فى جوار معروف الكرخى رجل مجوسى من ابناء الاغنياء وجد الخليفة عليه فصادره واخذ منه الف الف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له اعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقى له مال جسيم فلا تظن انه عديم فامر بمصادرته ثانيا فلما علم المجوسى ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال ان لم تخلصنى آمنت برب معروف فلم يجبه احد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل واتى مسجد معروف الكرخى فلم يجده فى المسجد فرفع راسه وقال يا اله ابراهيم وعيسى ومحمد واله معروف ويامن لا اله الا هو تحققت ان ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع وانى جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بأن لا اله الا انت اله الاولين والآخرين وانت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شئ قدير فاغفرلى

ماتقدم من ذنبي وجهلي واسرافي ولا تنظر الى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة واعوانه عني فقد وجهت وجهي اليك ثم قال اشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك الى الله فاقبلني ثم سجد واطال سجوده وهو يناجي ربه ويبكي فاتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكرا في امره لا يتحقق من هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي باسمه ونسبه فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي انه في مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فان الخليفة قد بعثني اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على ان يؤمنه ويرد عليه ما أخذ منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست ارى في المسجد احدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع راسه فوقف صاحب الخليفة على راسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تشك امير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما اخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما احلم صاحبه وما اقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه واقعدهما الى جانبه واقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وامر بالاموال التي اخذت من المجوسي فاحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الاموال أليست هي التي اخذت منك قال نعم قال نخذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني واستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا امير المؤمنين اما الاموال فهي لك حلال بعد ان هداني الله الى دين الاسلام ولكن اعلمني ما الذي دعاك الى

طلبي في هذا الوقت ورد هذا المال علي قال نعم كنت نائما واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل علي ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسي كنا قد دعوناه في الذر فاجابنا وكان في المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن الى تائبا وعما كان منه تائبا وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيرا بجنابنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذته منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فارسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه وا أسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشيء أمرني ربي باخراجه فقال يا امير المؤمنين لا حاجة لي في المال اشهدك اني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لا حظ لي فيه ولا لاحد من اهلي فقال الخليفة يا معروف بقي الامر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وابناء السبيل والايتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما امير المؤمنين وسأل الرجل ان يحالله عما وقع منه ولازم الرجل معروف الكرخي الى ان مات تغمده الله برحمته ﴿ وحكي عن معن بن زائدة الشيباني ﴾ ان شاعرا قصده فاقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما اعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة والقاها في الماء الداخل الى البستان فاتفق ان معنا كان جالسا في ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهي

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فمالي الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هــذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فأنشد البيت فامر له بمائة الف درهم فاخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلمــا كان اليوم الثانى قرأها ودعا بالرجــل فدفع له مائة الف درهــم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة الف درهم فلمــا اخذ الجــائزة الثالثة خشى الشاعر ان يندم فيأخذ منه مادفع اليــه فسافر فلمــا كان فى اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق على لومكث لاعطينه حتى لا يبقى فى بيتى درهم ولا دينار ﴿ وحكى عنه أيضا ﴾ انه أتى بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن اسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فامر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلمــا فرغوا قال الرجــل اصلح الله الامير كنا اسراك ونحن الآن اضــيافك فانظر ما تصنع بأضيافك قال قد عفوت عنــكم فقال الرجل أيها الامير ماندرى أى يوم اشرف يوم ظفرك بنا او يوم عفوك عنا فامر لهم بمــال وكسوة ﴿ وحكى ﴾ ان المنصور اهدر دم رجل كان يسعى فى فساد دولته مع الخوارج من اهل الــكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة الف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشى مختفيا فى بعض نواحيها اذ بصر به رجــل من اهــل الــكوفة فعرفه فاخــذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية امير المؤمنين فبينما الرجــل على تلك الحــالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد اجرنى اجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ماشأنك قال بغية امير المؤمنين الذى اهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة الف درهم فقال دعه ياغلام انزل عن دابتك واحمــل الرجل عليها فصاح الرجــل بالناس وقال ايحال بينى وبين من طلبه امير المؤمنين فقال له معن أذهب اليه واخبره انه عندى فانطلق الى باب المنصور فاخبره فامر المنصور باحضار معن فلمــا اتى الرسول الى معن دعا أهل بيتــه ومواليه وقال اعزم عليكم لا يصــل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وســلم عليه

فلم يرد عليه السلام وقال يامعن أتتجرأ على قال نعم يا امير المؤمنين قال ونعم ايضا واشتد غضبه فقال يا امير المؤمنين مضت ايام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائى فى خدمتكم فما رأيتمونى اهلا ان يهرب الى رجل واحد استجار بى بين الناس وتوهم انى عند امير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فمر بما شئت هاأنا بين يديك فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب وقال قد اجرنا من اجرت يامعن قال فان رأى امير المؤمنين ان يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد احياه واغناه قال قد امرنا له بخمسين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال فعجلها يا امير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق باهلك واياك ومخالفة خلفاء الله فى امورهم

﴿ حكى الجاحظ ﴾ قال اخبرنى فتى من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا فى بعض المنازل لما ذكر لى ان به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فصرت له لاسمع كلامه فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير وهو على احسن هيئة فى زى المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة اكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثنى ان جارية من بنات الروم كانت فى هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فاحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما اعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا فى التصوير وأعطته مائة دينار على ان يصور لها صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيأ منه غير النطق واتى بها الى الجارية فلما ابصرتها اغمى عليها فلما افاقت اعطت المصور مائة دينار اخرى وأخرج الراهب لى الصورة فرأيتها فكاد ان يزل عقلى فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتى

الصورة وتقبلها وتلثم ماتحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكي فاذا امست قبلتها وانصرفت فمازالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره في الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى ان امست فباتت الى جانبها فلما اصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليه هذه الابيات

ياموت حسبك نفسي بعد سيدها	خذها اليك فقد اودت بما فيها
اسلمت وجهي الى الرحمن مسلمة	ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها	بمن تحب غدا في البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا	محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام فلما اصبحنا دخلنا حجرتها فرأينا تحت شعرها مكتوبا

اصبحت في راحة مما جنته يدي	وصرت جارة رب واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا	قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت الى الرحمن مسلمة	وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابني رحمة مناو مغفرة	وأنعما باقيات آخر الابد

﴿ قيل اجتمع الصوفية ﴾ الى ابي القاسم الجنيد وقالوا يا استاذ انخرج ونسعى في طلب الرزق قال لهم ان علمتم اين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله ان يرزقنا قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة « قيل » اجتمع اربعة من الائمة الشافعي واحمد بن حنبل وابو ثور ومحمد بن الحكم رضي الله عنهم عند احمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم مازالوا يصلون في المسجد الى ان صلوا العتمة

ثم دخلوا بيت احمد بن حنبل ودخل احمد على امرأته ثم خرج على اصحابه وهو يضحك فقال الشافعي مم تضحك ياأباعبدالله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعي فماسببه قال احمد قالت لى ام عبدالله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال يا احمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال ها كم خذوا هذا فسلم لنا زنبيلا ابيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعي ياأباعبدالله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور ابيض من الثلج وأذكى من المسك ماراًى الراؤن مثله وخروف مشوى من زعفران وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم اخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما ان فرغوا من الاكل حمل أحمد مابقى منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شىء فاجمع رأيهم على ان الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن احمد بن حنبل ماأصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضى الله عنهم وأعاد علينا من بركاتهم

﴿ قيل ان عبدالله بن المعمر القيسي كان اميرا من امراء العرب ﴾ وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا اغزيزا فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر فى الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول

اشجاك نوح حمائم السدر فأهجن منك بلابل الصدر
ام ذاد نومك ذكر غانية اهدت اليك وساوس الفكر
فى ليلة نام الخلى بها وخلفت بالاحزان والذكر
ياليلة طالت على دنف يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد اننى كلف بجمال شئ مشبه البدر

قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والنحيب وهو يقول

اشجاك من ريا خيال زائر والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى فابادها واهتاج مقلتك المنام الباتر
ناديت ليلى والظلام كانه يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كانه ملك تبدى والنجوم عساكر
واذا تعرضت الثريا خلتها كاسا بها حث السلافة دائر
وترى يد الجوزاء ترقص فى الدجى رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
ياليل طلت على حبيب ماله الا الصباح موازر ومسامر
فاجابنى مت حتف انفك واعلمن ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالابيات أؤم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا كما نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجرى على خده كالامطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي فقال ألك حاجة يافتى قلت انى كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة الا صوتك فبنفسى أقيك و بروحى افديك و بمالى اواسيك ما الذى تجد قال ان كان ولا بد فاجلس فجلست فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت

الى مسجد الاحزاب ولم أزل فيه را كماساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كانهن القطا وفى وسطهن جارية بديعة الجمال فى نشرها بارعة الكمال فى غصرها نورها ساطع يتشعشع ولهيبها عاطر يتضوع فوقفت على وقالت ياعتبة ماتقول فى وصل من طلب وصلك ثم تركتنى وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا اقفوت لها اثرا فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الارض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكانما صبغت ديباجة خده بورس وانشد يقول

أراك بقلبي من بلاد بعيدة ... تراكم تر ونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم ... وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى اراكم ... ولو كنت فى الفردوس اوجنة الخلد

قال فقلت ياأخى تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ماأنا مبال حتى يكون مايكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله أن يكشف عنك مابك قال ارجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى ان وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

ياللرجال ليوم الاربعاء أما ... ينفك يحدث لى بعد النهى طربا
ماان يزال غزال فيه يظلمنى ... يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخمن الناس ان الاجر همته ... وما أنا طالبا للاجر مكتسبا
لو كان يبغى ثوابا ماانى ظهرا ... مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة اقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن ياعتبة وماظنك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال ومالها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هى ريا ابنة الغطريف السلمى فرفع الشاب رأسه اليهن وانشد يقول

خليـلي ريا قد أجد بكورها ... وسار الى ارض السماوة عيرها

خليـلي ما تقضي به ام مالك ... على فمـا يعـدو على اميرها

خليلي اني قد خشيت من البكا ... فهل عند غيري مقلة استعيرها

فقلت ياعتبـة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمـال جزيل وطرف وتحف وقمـاش ومتاع اريد به أهل السـفر و والله لا بذلنه امامك و بين يديك وفيك وعليك حتى اوصلك الى المنى واعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى اشرفنا على ناديهم فسلمت فاحسـنوا الرد ثم قلت أيهـا الملا الـكرام ماتقولون في عتبة وأبيه قالوا خيرا ان من سادات العرب قلت فانه قد رمي بفؤاده الجوى وما اريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى اشرفنا على منازل بني سليم من السماوة فقلنا أين منزل الغطريف فخرج بنفسـه مبادرا فاستقبلنا استقبال الـكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا وأنت حييت ثم حييت اتيناك اضيافا قال نزلتم أفضـل معقل ثم نادى يامعشر العبيد انزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت في الحال الانطاع والنمارق والزرابي فنزلنا وارحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا ياسـيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما أو تقضي حاجتنا وتردنا بمسرتنا قال وما حاجتـكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الـكريمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالي المفخر فاطرق وقال يااخوتاه ان التي تخطبونها امرها الى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه اني أرى الغضب بينا عليك فمـا الخبر قال لهـا ورد الانصار يخطبونك مني قالت سادات كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسـلم فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هـذا أنه يفي بمـا وعد و يدرك اذا قصد و يأكل ماوجد ولا يأسف على مافقد قال الغطريف اقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نمي الى بعض حـديثك معه

فقالت ما كان ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون مرداقبيحا فاحسن لهم الردوادفع بالتي هي أحسن قال يار يا فاى شيء اقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد ابررت قسمك وبلغت مأربك وراعيت اضيافك قال ما أحسن ماقلت ثم خرج مبادرا فقال يا اخوتاه ان فتاة الحى قد اجابت ولكن اريد لها مهر مثلها فمن القائم قال عبدالله فقلت أنا القائم بما تريد فقال اريد الف مثقال من الذهب الاحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت ولك ذلك قال وأريد خمسة اكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قال اجل ثم اجل قال عبدالله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ماضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام فأقمنا هناك نحوار بعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها فى هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عدة من رجالها وردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الارض فلم يلبث عتبة ان قضى نحبه فقلنا ياعتباه فسمعت الجارية فالقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما
أعلل نفسى انها بك لاحقه

ولوا نصفت نفسى لكانت الى الردى
امامك من دون البرية سابقه

فما واحد بعدى وبعدك منصف
خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاحترنا لهما مكانا ووجدناو وارينا هما فيه ورجعت الى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ووردت الى

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فأزوره فاتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها اوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لارباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت ﴿ حكى ﴾ ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي سلطان العلماء فقال رأيتك في المنام تنشد

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال فسكت ثم قال اعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم اجد بيني وبينه نسبة فاني سني وهو شيعي وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمي وهو خزاعي وشامي وهو حجازي فلم يبق الا السن فاعيش مثله فكان كذلك انتهى ﴿ ومن ظرف ما يحكى ﴾ ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته ماهرا ثم اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت قد وجب علي تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل اتفقده وأزوره قال فاتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لاحد الطريق قلت قولي له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت اهذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على احسن منها فقال وكاني بك وقد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه منحسة ثانية

ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت جالسا واذا رجل عابر يغنى وهو يقول

يا أم عمرو وجزاك الله مكرمة ... ردى على فؤادى اينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان هذه أم عمرو ومافى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى و يقول

اذا ذهب الحمار بام عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عز يمتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو ﴿ ومن غريب ما يحكى ﴾ ما حكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول و يحملون السلاح و يغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة فى بعض حججه فى سنة « ١٨٦ » وقد عاد من الموسم و بايع للامين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعانى وهو خال وقال انى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف تعمل ثم قص على خبر الاموى وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك الجائزة والنفقة والآلة و يضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل به انت ومن معك وانفذ هذا الكتاب الى نائب الشأم ليركب فى جيشه و يقبضوا عليه وجئنى به وقد اجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله فى شقه اذا قيدته وتقعد انت فى الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها

وجميع مافيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ
مايقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه من حين وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به
واياك ان يشذ عنك شيء من امره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل
وسرت اطوى المنازل اسير الليل والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول
وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة
فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى ان فتح الباب فدخلت على هيئتى حتى
أتيت دار الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن
فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلمانى فقالوا هذا منارة رسول امير المؤمنين
الى صاحبكم فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا
فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن أولاده
وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا اتفقد الدار والاحوال
والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل
بعد ان طال واسترببت به واشتد قلقى وخوفى من ان يتوارى الى ان رأيت شيخا
بزى الحمام يمشى فى الصحن وحواليه جماعة كهول واحداث وصبيان وهم
أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيا وسألنى
عن امير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته كما وجب وما قضى كلامه حتى
جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يامنارة فكل معنا فقلت مالى الى ذلك من حاجة
فلم يعاودنى وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة
عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال تقدم يامنارة فساعدنا على الاكل لا يزيدنى
على ان يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه فما عاودنى وأكل هو ومن
عنده وكانوا تسعة من اولاده فتأملت اكله فى نفسه فوجدته اكل الملوك ووجدت
جاشه رابضا وذلك الاضطراب الذى فى داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين

يديه شيأ قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه اخذوا لما نزلت الدار جمالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول فما طاقوا ممانعتهم و بقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة اوستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع على من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا اطيق حفظه الى ان يلحقني امير البلد فجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه بي في الاكل ولا يسألني عما جئت به و يأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من الاكله وغسل يديه دعا بيخور فتبخر وقام الى الصلاة فصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب اقبل على وقال ما أقدمك يامنارة فقلت امر لك من امير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك انه يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وامرهم ان ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ولا يظهروا الى ان يظهر لهم امر يعملون عليه وقال هذا كتاب امير المؤمنين يأمرني بالتوجه اليه ولست اقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا ومابي حاجة من ان يصحبني غلام هات اقيادك يامنارة فدعوت بها وكانت في سفط واحضرت حدادا فمد ساقيه فقيدته وأمرت غلماني بحمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم الق امير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهيت الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال لي مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم اني شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت اليس تعلم ان امير المؤمنين قد اهمه امرك حتى ارسل اليك

من انتزعك من بين اهلك ومالك وولدك واخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا الى مايصير اليه امرك ولم تدر كيف يكون وانت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت وانت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندى شيخا فاضلا فقال لى مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت فراستي فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ماحللت من الخلفاء هذا المحل الا بعد ان عرفوك بذلك فانا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان اما قولك فى امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياى الى بابه على صورتى هذه فانى على ثقة من الله عزوجل الذى بيده ناصيتى ولا يملك امير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لى عند امير المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امرى وعلم سلامتى وصلاحى وبعد ناحيتى وان الحسدة والاعداء رمونى عنده بما ليس فى وتقولوا على الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمى وتحلل من اذاى وازعاجى وردنى مكرما وأقامنى ببابه معظما وان كان سبق فى علم الله عزوجل انه يبدر الى منه بادرة سوء وقد حضر اجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة واهل الارض واهل السماء على صرف ذلك عنى مااستطاعوه فلم اتعجل الغم واتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه وانى حسن الظن بالله عزوجل الذى خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن واجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة اولى وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فانى لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة امير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم اعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح اوحاجة اومايجرى مجراها حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتنى على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبرى فحين رأونى رجعوا عنى بالخبر الى امير المؤمنين فانتهينا الى الباب فى آخر النهار فحططت

ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه و وقفت فقال هات ماعندك يامنارة واياك ان تغفل منه لحظة واحدة فسقت الحديث من اوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وماحدثت به نفسى من امتناعه والغضب يظهر فى وجه الرشيد و يتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموى من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومى ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واهله وحلفه عليهم ان لا يتبعه احد منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ماخاطبنى به عند توبيخى اياه لما ركبنا المحمل قال صدق والله ماهذا الا رجل محسود على النعمة كذوب عليه ولعمرى قد ازعجناه وآذيناه و روعنا اهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتنى به قال فخرجت فنزعت قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالى الا حاجة واحدة قال مقضية ماهى قال يا امير المؤمنين تردنى الى بلدى واهلى و ولدى قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو ان يحتاج الى شئ من هذا فقال عمال امير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فامورى منتظمة واحوالى مستقيمة وكذلك امور اهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بامر ان عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يامنارة احمله من وقتك وسر به راجعا الى اهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى محله الذى اخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله اعلم ﴿ وحكى فى الكتاب المذكور ﴾ قال حدثنى ابو الربيع سليمان بن داود قال كان فى جوار القاضى قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت اسمع

ان أباعمر حماه من السلطان فسألته عن الحكاية فاطرق طويلا ثم حدثني قال ورثت مالا جزيلا فاسرعت في اتلافه وأتلفته حتى افضيت الى بيع ابواب داري وسقوفها ولم يبق له حيلة وبقيت مدة لاقوت لي الا من بيع والدتي لما تغزله وتطعمني وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كان قائلا يقول لي غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى دار ابي عمر القاضي وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان ابي قدخدمه اياما وسألته ان يزودني كتابا الى مصر لا تعرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر اوصلت الكتب وسألت التصرف فسد الله على باب الرزق حتى لم اظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متفكرا في ان اسأل الناس فلم استبح المسئلة ولم يحملني الجوع عليها وأنا ممتنع الى ان مضى من الليل صدر صالح فلقيني الطائف فقبض علي ووجدني غريبا فانكر حالي فسألني فقلت رجل ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتي من اولها الى آخرها وحديث المنام فقال مارأيت احمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كان رجلا يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي واصغيت فتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر داري واسمي وفيها بستان وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون الف دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وانت يا احمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة واثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون الف دينار فاخذتها وامسكت يدي ودبرت امري وأنا اعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضيع وعقار الى الآن ﴿ وحكى القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه اخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة ﴾ قال حدثني ابو محمد يحيي بن محمد بن فهمة

قال حدثني بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من اصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا اقبلنا نخترق الطرق لا ندري أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال اظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا والح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا واقبل اولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون احدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره في أسرع وقت وجاؤنا بالطسات والاباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بانواع الفرش التي لم نر مثلها واذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فادخلنا الى الحمام في الدار في غاية السرور ودخل الينا غلامان أمردان وصبيان في نهاية الحسن نخدمونا بدلا من القيم وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم الينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والالوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شيء واذا بغلامين أمردين في نهاية الحسن والزي قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فامرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك انزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس في بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شيء طيب حسن وشربنا اقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها احسن غناء واطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لاضيافنا اعزهم الله اخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط احسن ولا املح ولا اظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر

الثياب والحلى فغنينا واحتظن بنا فى المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا
فلما كدنا انا نسكر ومضى قطعة من الليل اقبل صاحب الدار علينا وقال ياسادة
ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف فى جميع
مايحتاج اليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار الغلمان
فاخبر ونى بعفافكم عنهم فقلت هم اصحاب نساء فاخرجت هؤلاء فرأيت من
انقباضكم عن ممازحتهن مالو خلوتهم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا
ياسيدى أجللناك عن تبذل مافى دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء
مماليكى وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من ان يأخذ كل واحد منكم بيد
واحدة يتمتع بها ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لا كون قد
قضيت حق الضيافة فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طربا بأخذ كل واحد منا بيد
واحدة فاجلسها الى جانبه واقبل يقبلها و يقرصها و يمازحها فتزوجت أنا بواحدة
منهن وغيرى ممن رغب فى ذلك و بعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض
فاذا بالخدم قد جاؤا فادخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت فى نهاية الحسن والطيب
مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخرونا عليها ونمنا والجوارى الى جنوبنا وتركوا
معنا شمعة فى البيت ومانحتاج اليه من آلة المبيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا فى
أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا مارأيكم فى الحمام فقد أصلح
فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فمنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه
بالامس وخرجنا فبخرونا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور
وقدمت الينا المرآة المحلاة واخبرنا غلماننا ان صورتهم فى ليلتهم كصورتنا وانهم
أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطئوهن فاقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا
و بعضنا يقول هذا فى النوم نراه ونحن فى الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه
وعظمناه فاكبر بذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة

الجوارى لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى ان يدرك الطعام او اللعب بالشطرنج والنرد اوالنظر فى الدفاتر فقلنا اما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان اوثلاثة من النهار حتى احضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فاكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فغمز ونا وغمزهم منا من كان يدخل فى ذلك وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا الى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا فى مجالسنا بالامس وجاء اولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة الاسبوع فقلت لاصحابى ويحكم أرى الامر متصلا ومن المحال ان يقول لنا الرجل ارتحلوا عنى وقد استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فى هذا فقالوا اماترى فقلت ارى ان نستأنس الرجل فننظر اى شيء هو فان كان ممن يقبل هدية او براعملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة فى وقت ثان وسألناان يحضر لنا من نكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب قلنا له قد طال مقامنا عندك وما اضاف احد احدا أحسن مما اضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما اردناه من طلب التصرف وأنا فلان بن فلان فعرفته نفسي والجماعة وقد حملتنا من اياديك ومننك مالا يسعنا معه ان نجهلك ونحب ان تعرفنا بنفسك لنأتى بشكرك ونقضى حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان احد اهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا فى الشرح فقال جعلت فداءكم ان لقيادتى خبرا اظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت ان تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان ابى تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا مكثرا ونشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشراب فاتلفت مالا عظيما من مال ابى الا انه

لم يؤثر في ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعاني فقال يابني اني قد خلفت لك
النعمة وقيمتها مائة الف دينار بعد ان اتلفت على خمسين الف دينار وان الانفاق
لا آخر له اذا لم يكن بازائه داخل ولو اردت ان اتلف هذا المال عليك في حياتي
او الآن حتى لا تصل الى شيء منه لفعلت ولكن هو ذا اتركه عليك فاقضي حق
بحاجة تقضيها الى لا اضر رعليك فيها فقلت افعل فقال أنا اعلم انك ستتلف المال في
مدة يسيرة فعرفني اذا افتقرت ولم يبق معك شيء اتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا
فقلت لا قال فعرفني من اين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لي الا ان قلت اصير
قوادا قال فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها
ما جرت على لسانك الا وقد دارت في فكرك ولا دارت في فكرك الا وانت
لا تنصرف عنها ابدا بعدي ولكن اخبرني كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدبرت
بكثرة دعواتي القحبات والمغنيات ومعاشرتي لشراب النبيذ فاجمعهم على الرسم
فيقيمون في بيتي و يعملون ما يريدون وآخذ انا منهم الدراهم واعيش بها فقال اذا
يبلغ السلطان خبرك في جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك و ينادي عليك و يفرق
جمعك و يعطل معاشك و يقول اهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادى عليه
وقد صار بعد موت ابيه قوادا ولكن اذا اردت هذه الصناعة فانا اعلمك وان كنت
لا أحسنها فلا تستغني فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشيء فقلت افعل
قال اذا انا مت فاعمل على انك قد انفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك
ضياع وعقار واثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على
ما كان في نفسك ان تعمله اذا افتقرت فاعمله وانت مستظهر على زمانك بما معك
وهبه عند اخوانك واعمل انك قد انفقته واجعل معيشتك ما تريد ان تجعله اذا
افتقرت فانك تستفيد بذلك امورا منها انك تبتدئ امرك بهذا فلا ينكر عليك
في آخره ومنها انك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع واحوال قوية فلا يطمع فيك

سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من ناوالك فتخلصت فقلت كيف
افعل قال تجلس اذا أنا مت ثلاثة ايام للعزاء الى ان تنقضي المصيبة فاذا انقضت نفذت
وصيتي وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حق ثم تظهر انك قد تركت اللعب وانك
تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدئ فتشتري من الجواري المغنيات
والسراري كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ما تحتاج اليه
وتشتهيه ودارك كما تحب في السرور وتنوف على سرور من تريد ان تعاشره ولا
تداخل الا الامير والعاقل وادعهما مرة في شهر أو شهرين وهادهما ايام الاعياد
بالالطاف الحسنة والقهما في كل أسبوع مرة واجتهد ان تعاشرهما على النبيذ
في دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ في كل يوم مائدة حسنة وادع
القوم ومن يتفق معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة فاذا
ظهر صدق به اعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة على
طريق التخالع أو مسامحة الاخوان والا فاي لذة له في ذلك وليس هو بجنون ولا مخنثا
ولا فقيرا ولا محتاجا الى هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك
ولعل العشرة بينكما قد وقعت فيستدعي مغنياتك ويسمعهن في منزله فيصير لك
بمنادمته رسم وجاهك باق بعلاقاتك لهم فهم يحتاجون اليك وسيحافظ عليك
الامير فتصير في مراتب ندمائه وفي جملته وتصير قيادتك نفعا عليك بغير ضرر
وتخرج عن حد القواد المحض الذين يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت في الحال
ان الصواب ما قاله ومات في علته فجلست ثلاثة ايام ثم انفذت وصيته وفرقتها كما امرني
ثم بيضت الدور وهي هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت في الآلات والفرش
والابنية كلما أردت وابتعت هذه الجواري والغلمان والخدم من بغداد ودبرت
امري على ما قاله لي من غير مخالفة لشيء منه وأنا افعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقني

منه ضرر ولا خسران ولا فيه اكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالغيب وأنا اعيش اطيب عيش واهنأه امر معاشي عليهم ودخلي بهما اكثر من خرجي ونعمتي الموروثة باقية باسرها ما بعت منها شيأ بحبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا اضفته الى ما خلف علي وأمري بمشي كما ترون فقلنا ياهذا فرجت والله عنا وأر يتنا طريقا الى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الامر الا وهو بالقيادة احذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى اديبا خفيف الروح وبتنا لياتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلاثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه ﴿ وحكى احمد بن يحي بن فضل العمري ﴾ في كتابه المسمى مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر المويسيقي قال ذكر المحسن الاربلي في تاريخه قال جلست مع صفي الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فاخبرني ان هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه وطلب منهم ان يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على امراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم امير كبير فوقع الدرب الذي كنت اسكنه في حصة امير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانونوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء ان يقتل وياسر وينهب مدة ثلاثة ايام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان اول درب جاء اليه الامير الدرب الذي أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوي اليسار واجتمع عندي نحو خمسين جارية من ارباب المغاني وذوات الحسن والجمال فوقف نانونوين على باب الدرب وهو متترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا في الطاعة ولكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون

وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفي الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا اخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدي وعلي اثواب وسخة وأنا انتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له انت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان اردتم السلامة من الموت فاحملوا الينا كذا وكذا وطلب شيأ كثيرا فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل ما في هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لاجمع لك كل ما طلبت فشاور أصحابه ونزل في نحو ثلاثين رجلا من خواصه فاتيت به داري وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له في الحال أطعمة فاخرة وشوايا وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاواني الذهبية من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغني بملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كلهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات اعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه في غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر اصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من اواني الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيأ كثيرا سوى العليق ووهبت له الغواني التي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة احسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت اهل الدرب من ذوي النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندي وكذا بعد غد وكل يوم أزيد اضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الي من بينهم ما يساوي خمسين الف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس الا وقد وافاني فرأى ما أذهله وجاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون الف دينار وقدمت له

فى اليوم الثالث لآ لى ٔ نفيسة وجواهر ثمينة و بغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على اهله بارواحهم فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقى عندهم سوى ارواحهم فقال قدعرفت ذلك من اول يوم وهبتهم ارواحهم وما حدثتنى نفسي بقتلهم ولا سلبهم لكن انت تجهز معى الى حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيأ من المستظرفات التى قدمتها الى فاعجبته و رسم بحضورك فخفت على نفسي وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجنى الى خارج بغداد و يقتلنى و ينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت يا خوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مغنى أخشى منه ومن هيبته فقال لا تخف مايصيبك الا الخير فانه رجل يحب اهل الفضائل فقلت فى ضمانك انه مايصيبنى مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ماعندكم من النفائس فائتونى بكل ماتقدرون عليه فاخذت معى من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت ماكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأوانى فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معى ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندى وأنفسهن للضرب ولبست بدلة من القماش الخليق و ركبت بغلة جليلة كنت اركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآنى نانونوين بهذه الحالة قال لى انت وزير قلت لا أنا مغنى الخليفة ونديمه لكن لما خفت منك لبست القماش الوسخ ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتى وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو اعظم من الخليفة فما ينبغى ان ادخل عليه الا بالحشمة والوقار فاعجبه منى هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلنى معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذى ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلاكو على قبلت الارض وجلست على ركبتى كما هو من عادة التتار فقال نانونوين هذا كان مغنى الخليفة وقدفعل معى كذا و كذا وقد اتاك بهدية فقال قدقبلتها فقبلت الارض

مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي فكلما قدمت شيأ منها يفرقه ثم فعل بالأ كول كذلك ثم قال لي انت مغني الخليفة فقلت نعم فقال اي شيء اجود ما تعرف قلت احسن ان اغني غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن لي الساعة حتى انام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلني ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب باوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا باس بأن يشرب الامير قدحين او ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه فقال أنا مالي في الخمر رغبة لانه يشغلني عن مصالح ملكي ولقد اعجبني من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة اقداح كبار فلما احمر وجهه اخذت سوراو غنيته وكان من مغنية اسمها صبيا لم يكن في بغداد احسن منها صورة ولا اطيب صوتا فاصلحت انغام العود وضربت ضربا جالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم اتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت تمن علي فقلت اتمنى على الملك ان يطلق لي على السمكية قال وأي شيء هي السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لاصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة او مدينة أي شيء هذا البستان فقبلت الارض وقلت يا ملك العالم هذا البستان يكفيني وأنا ما يجيء مني صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب في ايام الخليفة وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذني نانو نوين اميرا بخمسين فارسا ومعهم علم اسود هو كان علم هلاكو الخاص به برسم حماية داري فجلس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقي الدرب كذلك الى ان رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلي فقلت له كم نابك من المغارم في الثانية قال اكثر من ستين الف دينار وذهب اكثرها ممن كان انزوى الى دربي من ذوي اليسار

والباقى من نعم موفرة كانت عندى من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان اخذه منى اولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من ابينا . والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان فى السنة مائة الف درهم وقال كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصونون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه الى قصده ثم تجنبته لما اشتهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه و بين الرجل حالا بأن دعاه و بره و وصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاء من يدعونه من جوار يه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه واقشعر لشناعة لقبه الى ان لقينى بالقرب من منزله فحلف على ان لا أفارقه فكان ذلك صادف منى موافقة فمضيت معه فرأيت احسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى اذا كان فى غد بكر واجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بلى يقيم بعضهم عندى و يعود الباقون ليلا للانصراف الى منزلى فأبى وحلف فاتبعت ما أراد فاحضر احسن طعام والطفه وأكلنا وأتى بأنواع الاشربة والفواكه والرياحين وأخذنا فى امرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولى الى الدار قد رأيت على بعض الابواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى فلم اسأل عنه فلما صرنا على حالنا وأخذ النبيذ منا احضر عمودا فجعله بين يديه فاوحشنى جدا وقلت رجل غيور كالقب وجوار احسان ونبيذ شديد ولست آمن ان اعبث بهن فيضربنى بالعمود فقال اخبرك يا اخى انى رجل غيور كما قد بلغك و يحضر منزلى قوم معهم سوء أدب فما هو الا ان تغنى الجارية حتى أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه فاقول اقوم بهذا العمود فانما هى ضربة له وضربة لها فاقتلهما واستريح الا انى على ماترى رجل معى تأن شديد فاقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما

ذكر هذا الحديث طابت نفسي وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامر يزيد حتى اراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فما وضع السر ثم اهم بالعمود والتأني الذي في يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فامسك فلا يطول الامر بينهما حتى اراه قد ادخل يده في ثوبها فقرصها وعبث بثديها فتدخلني الغيرة وأقول ما بعد هذا شيء واهم بضربهما بالعمود لكن على ما ترى عندي تأن فاقول بعد لم يبلغ الامر بهما الى القتل وهي اوائل وسيكون لها اواخر فان اتى بما يوجب القتل قتلتهما فاسترخت فامسك فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل في اثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فاسعى خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقاني فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فاقول متى علمت حركتهما مت او قتلت نفسي فلا يكون والله يا أخي لي اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فأتناوله واضعه في عنقي فلا ازال اضرب ابدا حتى يخرجا قال فما قمت والله وأنا ارى اوفى منه قولا ولا فعلا ﴿قال صلاح الدين الصفدي في الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة﴾ ومن خطه نقلت حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة ابي محمد بن حمدان اخت ابي ثعلب سنة ست وثمانين وثلاثمائة فسقت اهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال واعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف درهم ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية واغنت الفقراء والمجاورين وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين الفا وقال اعتقهم لله لعل الله ان يعتقني من النار وكان حكيم بن حزام رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت

و يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله احبه وأخشاه « عمر بن زر الهمدانى » لما قضى مناسكه اسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت مازلنا نحل لك عروة ونشد اخرى ونصعد اكمة ونهبط واديا وتخفضنا ارض وترفعنا اخرى حتى اتيناك غير محجوبين فليت شعرى بم يكون منصرفنا ابذنب مغفور فاعظم بها من نعمة ام بعمل مردود فاعظم بها من مصيبة فيامن اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه انخنا ارحم املاق الوفد لفناك فقد اتيناك بعيسنا ممراة جلودها ذابلة اسنمتها نقبة اخفافها وان اعظم الرزية ان نرجع وقد اكتفينا الغيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يخمسبك سائل ﴿ ونقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى ﴾ من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ماصورته نقلت من خط شيخنا شيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلى رحمه الله تعالى ماصورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة انه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنتين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى ارض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها اربعة انياب اثنان من فوق واثنان من اسفل طولهن دون الشبر وعرض اصبعين وفى فمها ثمانية واربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة باربعة اظافير مثل اظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها احمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها

أربعة اصابع ماتعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه ﴿ ونقلت منه ايضا ﴾ كتب الى زين الدين الرحبي انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جرو ان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها و يلعبان حولها واللبن يخرج من ابزازها من الجانب الاعلى واما الجانب الاسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها و يتعجبون فسبحان من لايعجزه شيء وهو على كل شيء قدير ﴿ وذكر الشيخ فى حوادث سنة ٧٣٦ ﴾ قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازى قال فى السابع من ذى الحجة سنة « ٧٢١ » اخبرني شخص ان كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وانها احضرت بين يدى السلطان فلما رآها اعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا انهم ليس لهم علم بذلك « يحكى » ان المهدى خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدى فانشده

أضحت يمينك من جود مصورة　　لا بل يمينك منها صورة الجود

من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة

ومن بنانك يجرى الماء فى العود

فقال المهدى كذبت يافاسق وهل تركت فى شعرك موضعا لاحد مع قولك فى معن بن زائدة

ألما بمعن ثم قولا لقبره　　سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فياقبر معن كنت اول حفرة　　من الارض حطت للمكارم مضجعا

و ياقبر معن كيف واريت جوده　　وقد كان منه البر والبحر مترعا

ولكن حويت الجود والجود ميت　　ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

وما كان الا الجود صورة وجهه　　فعاش ربيعا ثم ولى فودعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى　　وأصبح عرنين المكارم اجدعا

فاطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضي عنه وأمر له بالفي دينار قال سعيد بن مسلم لما ولى المنصور معن بن زائدة اذربيجان قصده قوم من اهل الكوفة فلما صار وا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من اهل العراق قال من اى اهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن في هيئة زرية ووثب على اريكته وأنشد يقول

اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم　　ترقبها فالدهر بالناس قلب
فاحسن ثوبيك الذى هو لابس　　وافره مهر يك الذى هو راكب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا　　زوال اقتدار فهو عنك يعقب

قال فوثب اليه رجل من القوم فقال اصلح الله الامير الا أنشدك احسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات فانشد يقول

وللنفس تارات تحل بها العرى
وتسخو عن المال النفوس الشحائح

اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه　　اقل اذا ضمت عليك الصفائح
لاية حال يمنع المرء ماله　　غدا فغدا والموت غاد ورائح

فقال معن احسنت والله وان كان الشعر لغيرك يا غلام أعطهم اربعة آلاف يستعينون بها على امورهم الى ان يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام اجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك ارفع من همتي مدح مطيع بن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان شئت مدحتك وان شئت اثبتك فاستحى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب　　لصاحب مغنم وأخى ثراء

ولكن الزمان برى عظامى ... ومامثل الدراهم من دواء

فامر له بالف دينار ولما قدم معن بن زائدة اتاه الناس فأتاه ابن أبى حجفة فاذا المجلس غاص باهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما احجم الاعداء عنك تقية ... عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

له راحتان الجود والحتف فيهما ... أبى الله الا أن يضر و ينفعا

فقال معن احتكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيدك الفا « اتى اعرابى الى معن بن زائدة » ومعه نطع فيه صبى حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبى بين يديه وقال

سميت معنا بمعن ثم قلت له ... هذا سمى فتى فى الناس محمود

أنت الجواد ومنك الجود نعرفه ... ومثل جودك فينا غير معهود

أمست يمينك من جود مصورة ... لا بل يمينك منها صورة الجود

قال كم الابيات قال ثلاثة قال اعطوه ثلاثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك قال حسبك ماسمعت وحسبى ما أخذت ﴿ اخبرنا الشيخ الجليل العدل الاصيل ﴾ شهاب الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم بن غانم بن وافد المهدى قال اخبرنا المشايخ الثلاثة الامام فخر الدين أبو الحسن على بن احمد بن عبد الواحد البخارى وابو العباس احمد بن شيبان بن ثعلب الشيبانى وأم حميد زينب بنت مكى بن على بن كامل الحرانى قالوا أخبرنا ابو حفص عمر بن عمر بن محمد بن ابى نصر الحميدى قال انشدنى ابو غالب محمد بن سهل النحوى الواسطى المعروف بابن شبران بواسط قال انشدنى الامير ابو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قال انشدنى على بن زريق الكاتب البغدادى لنفسه هذه القصيدة الى آخرها وقد انشدنيها جماعة بالمغرب وقال لى ابو محمد على ابن احمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف وهى

لا تعذليه فان العذل يوجعه — قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا اضر به — من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا — من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله — فضلعت بخطوب البين اضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد ان له — من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه — رأى الى سفر بالرغم يتبعه
كانما هو فى حل ومرتحل — موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه بالرحيل غنى — ولو الى السدا ضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا ان تجشمه — للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة — رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم — لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملؤا حرصا فلست ترى — مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والارزاق قد قسمت — بغى الا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه — حقا ويطمعه من حيث يمنعه
استودع الله فى بغداد لى قمرا — بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى — طيب الحياة وانى لا أودعه
كم قد تشفع بى ان لا أفارقه — وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى — وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق — عنى برقته لكن ارقعه
انى اوسع عذرى فى جنايته — بالبين عنه وقلبى لا يوسعه
اعطيت ملكا فلم أحسن سياسته — كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا — شكر عليه فان الله ينزعه

اعتضت من وجه خلي بعد فرقته　　كاسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له　　الذنب والله ذنبي لست ادفعه
الا اقمت مكان الرشد اجمعه　　لو انني يوم بان الرشد اتبعه
ان لا أقطع ايامي وأنفذها　　بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت به　　بلوعة منه ليلي لست اهجعه
لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا　　لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعني　　به ولا اظن بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد　　عسراء تمنعني حظي وتمنعه
وكنت من ريب دهري جازعا فرقا　　فلم أوق الذي قد كنت اجزعه
بالله يا منزل الانس الذي درست　　آثاره وعفت مذ بنت اربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا　　ام الليالي التي امضيت ترجعه
في ذمة الله من اصبحت منزله　　وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لي عهد لا يضيع كما　　عندي له عهد ودلا اضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره واذا　　جرى على قلبه ذكري يصدعه
لاصبرن لدهر لا يمتعني　　به ولا بي في حال يمتعه
علما بان اصطباري معقب فرجا　　فاضيق الامر ان فكرت أوسعه
عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا　　جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وان تنل احدا منا منيته　　فما الذي بقضاء الله يصنعه

يحكى انه وقع في ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة « ٨٣١ » ان حضرت صلاة العشاء بالجامع النوري بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم اتمها الى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة

ثم قرا سورة النحل و بنى اسرائيل والكهف ومريم وجانبامن طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين حكى الدينورى فى المجالسة فى ترجمة ابى عبدالله سعيد بن يزيد البناجى قال سمعت ابى يقول قال خالى احمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد بن يوسف يقول كان أبو عبدالله البناجى مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو فى بعض اسفاره اماحاجا واماغازيا على ناقة وكان فى الطريق رجل عائن قلما ينظر الى شىء الا أتلفه وأسقطه وكانت ناقة ابى عبدالله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال ابو عبدالله ليس له الى ناقتى سبيل فاخبر العائن بقوله فتحير غيبة ابى عبدالله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فاتى ابو عبدالله فقيل قدعان ناقتك وهى كماتراها تضطرب قال دلونى على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى احب الناس اليه فى كليته رشيق وفى ماله يليق فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها وله فى أسماء الولائم

وليمة اعراس وخرس ولادة	عقيقة مولود نقيمة قادم
وضيمة حزن والبناء وكيرة	عذيرة ختن مأدبات المكارم

﴿ وله ايضا فى اسماء ايام العجوز على الترتيب ﴾

بصن وصنبر و وبر معلل	بمطفىء جمر آمر ثم مؤتمر
تولت عجوز ثم اعقب بعدها	شباب ربيع زهره يانع نضر

﴿ ولغيره فى اسماء خيل الحلبة ﴾

سبق المجلى والمصلى والمسـ	لى بعد تاليه ترى المرتاحا
و بعاطف و بفسكل وحطيه	حلب اللطيم على الكميت صباحا

﴿ لابى العلاء المعرى ﴾

سألن فقلت مقصدنا سعيد　　فكان اسم الامير لهن فالا
اذا ما الغيم لم يمطر بلادا　　فان له على يدك اتكالا
ولو ان الرياح تهب غربا　　وقلت لها هلا هبت شمالا
واقسم لو غضبت على ثبير　　لازمع عن محلته ارتحالا

﴿ نبذة لغوية يفتقر كل متأدب اليها ﴾ «البلج» هو ان ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج و يقال رجل ابلج وامرأة بلجاء «ثم العين» فجملة العين المقلة وهى الشحمة التى تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس يخلق له حجم والحجم ما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشئ رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما عرقان على حرفى الانف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهى غطاء المقلة من اعلى وأسفل وفيها الاشفار وهى حروف الاجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشفر الذى ينبت فيه الهدب الواحد هدبة فاذا طالت الاهداب قيل رجل اهدب وامرأة هدباء ورجل اوطف وامرأة وطفاء وكذلك اذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر و وطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الاسفل وفى العين الحماليق والواحد حملاق والحماليق النواحى وفيها اللحاظ وهى مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الانف وهو مخرج الدمع وفى العين الحوص وهو ضيق فى مؤخرها يقال رجل احوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل ان يشوب سوادها زرقة يقال رجل اشهل وامرأة شهلاء و يقال نظر الى شزرا وذلك اذا

تعلو عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفي النظر الاغضاء وهو ان يطبق
جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا « ثم الفم » وفي الفم الثنايا والرباعيات
والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك اربعة اضراس تلي الانياب الى جنب
كل ناب من اسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهي ثمانية اضراس من
اسفل الفم وأعلاه وفي الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفي الاسنان
الشنب وهو برد وعذوبة في المذاقة والفلج تباعد ما بين الاسنان « ثم اللثة »
وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفي اللثة اللحمي وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك
الحوة واللحاة اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك ﴿ نقلت من الجزء الثالث والعشرين
من التذكرة للصفدي ﴾ ان شهاب الدين احمد الحموي النقاش وردالى القاهرة
سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من اولها الى آخرها مفصلة
الاجزاء والسور اخبرني بذلك الموالي السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها
لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال في سنة ٦٩٩ وله نظم رائق
﴿ عن علي بن ابي طالب ﴾ رضي الله عنه عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة
في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة
واكل سؤر الفأرة وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين القطارين
والقاء القملة حية والله أعلم وهذا آخر التذييل

تم التذييل الاول لثمرات الاوراق لابن حجة الحموي ويليه التذييل الثاني
أوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد حمد الله على نعمائه الخ

﴿ وهذا تذييل آخر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير انبيائه فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم بن الحاج على الاحدب قد رأيت ان اذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق ﴿ فمن ذلك ما يحكى ﴾ ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له اخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فاتى له شيخ ذو دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فاسكنه فى منزل قريب منه فاقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ما حيلتي وانا لا استطيع مفارقة أخي لا ليلا ولا نهارا أما الليل فان سريرى بجانب سريره واما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ ان منزلى ملاصق لداركم فيمكن اذا غمضت عين اخيك ان تقوم لتستعمل ماء فتاتى الى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندى لحظة لطيفة من غير ان يشعر اخوك بشئ فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والطرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق فى النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد اخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذى استطرق منه اخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد باحسن صوت

سقانى خمرة من ريق فيه ... وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقى خدا بخد ... غزال فى الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا ... سلوه لا ينم على اخيه

فكان من لطافة الصاحب ان قال والله لا انم عليكما وتركهما وانصرف اه

﴿ ومن بديع ذلك ماحكاه ابن خلكان فى تاريخه ﴾ فى ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفى قال قدوصل الى اربل بعض الشعراء وهو الشريف عبدالرحمن بن ابى الحسين بن عيسى بن على بن يعرب فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسيرله مثلوما على يد شخص كان فى خدمته يقال له الكمال ابن الشعار الموصلى صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم فى العراق وتلك البلاد ان يفعلوا مثل هذا لانهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بايديهم فجاء الكمال الى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك اتفق الساعة هذا حتى يجهزلك شيأ فتوهم الشاعر ان الكمال يكون قدقرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ماسيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه

ياأيها المولى الوزير ومن به ... فى الجود حقا تضرب الامثال
أرسلت بدر التم عند كماله ... حسنا فوافى العبد وهو هلال
ماغاله النقصان الا انه ... بلغ الكمال كذلك الآجال

فاعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه اه

﴿ ومنه ماحكى ﴾ ان ابراهيم بن سهل الاشبيلى كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه حتى انه مدح النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد

وترك هوى اليهودى فقيل له فى ذلك فانشد

ترکت هوى موسى بحب محمد هديت ولولا الله ما كنت اهتدى
وما عن قلى ترکى هواه وانما شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له فى صباه ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله ابن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت اعلامه سودا لانه كان بايع الخليفة ببغداد فارسل اليه بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الاندلس قبله ولا بعده بايع بنى العباس قط فوقف ابراهيم بن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض اصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلانى والبيت الفلانى

اعلامه السودا اعلام بسودده كانهن بخد الملك خيلان

فقال الهيثم أهذا البيت شئ ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون اشعر اهل الاندلس ﴿ ومنه ما اتفق ﴾ سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى اخيه الملك الاشرف فاستعطفه على اخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه فازالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم امرهم هناك من سنة اربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى بعضها ان يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه فى الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى لمن ضاعت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فاخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضى دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج ان ينصرفوا بانفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى اضيق الاماكن فعندذلك أنابوا الى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده اخواه المذكوران وكانا قائمين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج

والعسا كركاها واقفة بحضرته ومدسماطاعظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام المحلى الشاعر وأنشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا ... وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا به المنى ... مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم اسودا
ولما طغا البحر الخضم باهله الـ ... طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
اقام بهذا الدين من سل عزمه ... صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل ... ثوى منهم اومن تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الارض رافعا ... عقيرته فى الخافقين مشيدا
اعباد عيسى ان عيسى وقومه ... وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغنى انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى ﴿ ومنه ماحكى عن جمال الدين ﴾ كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه و بين السلطان مداعبة ومنادمة فاتفق انه حضر فى بعض الليالى عنده فلما رجع الى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم على الليلة بشئ فقالت أنا اعوض عنه وقامت اليه هى وجواريها فى الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى ان الانت اعطافه وأدارت فى حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة فى ذلك منها

وتخالفت بيض الاكف كانها الـ ... تصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كانها ... وقع المطارق من يدى نحاس

وقال اجب عنها فاجابه بما فى آخره

فاصبر على اخفافهن ولا تكن ... متخلقا الا بخلق الناس

واعلم ان اختلفت عليك بانه　　　مافى وقوفك ساعة من باس

وضمنه ابو جعفر الاندلسى فقال

ومو ردالوجنات دب عذاره　　　فكانه خط على قرطاس

لما رأيت عذاره مستعجلا　　　قدرام يخفى الورد منه بآس

ناديته قف كى اودع ورده　　　مافى وقوفك ساعة من باس

﴿ ومن البديع ما يحكى ﴾ ان الشيخ ابن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس و يطالع فيها استئناسا بالمارة لسآمة الوحدة والى جواره جارله رث الثياب وكان اذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجىء ويركب اكتافه فتفوح له رائحة فيتأذى منها ويستحى ان يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له ياشيخ اما تستحى كلما ترانى جالسا تجىء تركب اكتافى وانت لست تعرف ماأطالعه ولا لك شعور به فلما اخجله بهذا التعنيف قال له ياسيدى الشيخ ماهذا الذى تطالع فيه من العلوم فقال شئ فى الاقتباس فقال له انشدنى منه شيأ فافكر ابن كثير ساعة واقتبس فى مطالعة الحال وقال

كيد حسودى وهنا　　　ولى سرور وهنا

الحمد لله الذى　　　اذهب عنا الحزنا

فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذى افكرت فيه وتتكثر به اسمع ماأقول فانشده ارتجالا من غير وقفة

قلبى الى الرشيد يسير　　　وعنده النظم يسير

الحمد لله الذى　　　فضلنا على كثير

فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له فقال له اياك ان تزدرى بأحد فان مواهب الله تعالى فى الصدور لا فى الثياب اه ﴿ ومن اللطائف ما حكى ﴾ ان بعض الملوك حاصر ملكا وأطال فى حصاره فلما اشتدت به المحاصرة استدعى بوزرائه

فقال ماترون وقد تأخرت بناهذه الحال هل نسلمه ام نخرج عليه ليلا و يفعل الله بنا مايشاء فقال بعض وزرائه قد بدالى رأى أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ماهو قال يجمع مولاى مافى خزانته من الذهب و يحضره فلما احضره استدعى بالصياغ وأمرهم ان يصيغوه جميعه سهاما مازنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الامر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر ان تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بان يأخذ كل واحد سهما وأمرهم ان يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى ادهش العيون فامر الملك ان تجمع فلما جمعت بين يديه امر ان يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جوده يرمى العفاة بأسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها مجروحها فى دوائه ويشترى الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لايحاصر ولا يقاتل ﴿ ومن ذلك مايحكى ﴾ ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال مارأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع فى اضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء فى اوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى اه ﴿ لطيفة ﴾ يحكى ان نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فاخذه ابن المنير الطرابلسى يوما وأضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على خفية وقال

يامن هم فى الطبقه هل عندكم من شفقه
لسائل متيم يطلب منكم صدقه

فاجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله

يامن أتانا سرقه بمهجة محترقه

جدك ياذالم يجز　　　اخذك مناصدقه

فخجل الشريف وذهب اه ﴿ ومن المستعذب مايحكى ﴾ عن الفضل قال دخلت على الرشيد و بين يديه طبق ورد وعنده جارية ماريةوكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يافضل قل فى هذا الورد فانشدته بديها

كانه فم محبوب يقبله　　　فم المحب وقد ابدى به خجلا

فقال الرشيد ماتقولين ياماريةفانشدته

كانه لون خدى حين تدفعنى　　　كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يافضل فقد هيجتنى هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه

﴿ ومن الغايات التى لاتدرك ﴾ ماحكاه الشريف المقرى فى شرح بديعيته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض اولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلا غيظا وذهب الى ابيه وقال له اقرأ ماعلى هذا الخاتم فلما قرأه حصل فى نفسه تأثير فارسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضى وأراد قتله فلما حضر اعلم بذلك فقال ماذنبى وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أوتتكلم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت الاما تتبركون به فى كتابكم فكتبت بحم عسق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه * ومثل ذلك قول أبى نواس يهجو خالصة جارية الرشيد

لقدضاع شعرى على بابكم　　　كما ضاع درعلى خالصه

فلما بلغ الرشيد انكرعليه وهدده فقال لم أقل الاضاء فاستحسن موار بته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينه فأبصر اه ﴿حكى عن ابى العيناء انه قال ﴾ رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف ان لاترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت

ياسيدى انه يواقعنى من قيام و يصلى من قعود و يشتمنى باعراب و يلحن فى القرآن و يصوم الخميس والاثنين و يفطر رمضان و يصلى الضحى و يترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله فى المسلمين اه « وقيل » زنى رجل بجارية فاحبلها فقيل له ياعدو الله هلا اذا بتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى ان العزل مكروه فقالوا فما بلغك ان الزنا حرام ﴿ وقيل لاعرابى ﴾ كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ماتنفق عليها قال فمن لى اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد ﴿ وحكى ﴾ ان علية بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين « قيل » دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت اموالهم وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره واما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من اصحابه فقال أتدرون ماقالت المرأة فقالوا مانراها قالت الاخيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك اما قولها اقر الله عينك اى اسكنها عن الحركة واذا اسكنت العين عن الحركة عميت واما قولها وفرحك بما آتاك فاخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة واما قولها وأتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر

اذا تم امر بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

واما قولها لقد حكمت فقسطت فاخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك ﴿ وحكى ان المأمون ﴾ ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من ارباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه

اظهر له انه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه ان امير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله
وأحسن اليه وسأله ان يكتب كتابا الى امير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده
ليزداد فيه امير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على امير المؤمنين اما بعد
فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى
فى اقضيته اغنى القاصد وارضى الواردوانزلهم منه منازل الاولاد واذهب ما بينهم
من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثره وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم
بعمل الآخره يعنى ان الكل صار وافقراء لا يملكون شيأ من الدنيا يريدون
النظر الى وجه امير المؤمنين اى ليشكوا حالهم ومانزل بهم فلما جاء الكتاب
الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره ﴿ وحكى ﴾ ان بعض الملوك طلع
يوما الى اعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب
قصره لم ير الراؤن احسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت
يامولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها
فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى
بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما
اصبح ودع اهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه
فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة
فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى
مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت اعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيرا
فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وما اظنك عرفتنى فقالت يامولاى لقد
علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماء كم من غير ورد ... وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا كان الكلاب ولغن فيه

ويرتجع الكريم خميص بطن ... ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا ... وصاحب الغدر غير مصحوب

والله لا قال قائل ابدا ... قد اكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت ايها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله فى الدار هذا ما كان من الملك واما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله فى هذه السفرة الالامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت ابيك قالت وماذاك قال ان الملك انعم علينا وأريد ان تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت ابيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند اهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فاتى اليه اخوها وقال له يا فيروز اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما ان تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضي اذذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال اخو الصبية ايد الله مولانا قاضي القضاة انى اجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فاكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضي الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز ايها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه احسن ما كان فقال القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن اريد منه السبب لرده قال القاضي ماقولك قال والله يا مولاى

ماردت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه اثر الاسد
نخفت ان يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا
فاستوى جالسا وقال يافير و ز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل
البستان ولم يؤثر فيه اثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة
يسيرة وخرج من غير بأس و والله ما رأيت مثل بستانك ولا اشد احترازا من
حيطانه على شجره قال فرجع فيرو ز الى داره و ردز وجته ولم يعلم القاضى ولا غيره
بشئ من ذلك اه ﴿وحكى﴾ ان الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل
يمتحنه فيها من جملتها ان قال له من اكرم الناس قال افقههم فى الدين وأصدقهم
لليمين وابذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم
الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس
قال اطولهم جفوة وادومهم صبوة واكثرهم خلوة واشدهم قسوة قال فمن اشجع
الناس قال اضربهم بالسيف واقراهم للضيف واتركهم للحيف قال فمن اجبن
الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف
المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن اثقل الناس قال المتفنن فى
الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال
اكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وادومهم غفرانا واوسعهم ميدانا قال لله ابوك
فكيف يعرف الرجل الغريب احسيب هو ام غير حسيب قال اصلح الله الامير ان
الرجل الحسيب يدلك ادبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله و بشاشته
وحسن مداراته على اصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل
يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء
عرفوها واكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله ابوك
فما العاقل والجاهل قال اصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا

ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرنا عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن اعفهن وأفخر احسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن انتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير اقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى اظنك لا تقول له ما قلت وكانى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا اصلح الله الامير ساحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى فمند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل ان يتعشى بك فاخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فاخذها وانصرف راجعا فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر ابن وائل قد اقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابى قال اصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظما فتيممت قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال ايتهن تعنى قال قبة الامير ابن الاشعث

قال تلك لا يوصل اليها قال ان هـذه امنع منها فقال الاعرابى ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال اكره ان يكون لى اسمان قال بالله من أين انت قال من الارض قال فاين تريد قال امشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر اتقرض الشعر قال انما يقرض الشعر الفأر فقال افتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال ياهذا ائذن لى ان ادخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد احرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طلعت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل ان تطلع اضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا اقسى منك اتيتك مستغيثا فحجبتنى وطردتنى هلا ادخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن انت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشغاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لاظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لاظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لابارك الله فى قوم تسودهم	انى اظنك والرحمن شيطانا
اتيت قبته ارجو ضيافته	فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت ارض كرمان قال اصلح الله الامير ارضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له

الحجاج الست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلتها لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له الم اقل لك كاني بصوت خلاخلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال اصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما انت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال انزلوه فلما انزلوه قال رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله ﴿ وقيل بينما ﴾ كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت الست القائل

وماروضة بالحسن طيبة الثرى	يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا	اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل امك لطاب ريحها لم لاقلت مثل

سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا   وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يردجوابا ﴿ حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ﴾ قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فاذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها رحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادى له فعلمت انها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها انت منذ كم فى هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقين فقلت فبأى شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد ابيح لنا الافطار فى السفر قالت وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس انت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد اخطأت فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك ان احملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض

من صوتك فجعلت امشي رويدا رويدا واترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ماتيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت ومايذكر الا اولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت الك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم اكلمها حتى ادركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وماشأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم ادلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم ياموسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كانهم الاقمار قد اقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى احدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بامرها فقالوا هذه امنا لها منذ اربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على مايشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿ قيل ان معن بن زائدة ﴾ دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما اعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

فقال احسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع ﴿ ووفد ابن ابي محجن على معاوية ﴾ فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية فقال له انت الذي اوصاك ابوك

بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فاننى ... أخاف اذا مامت ان لا أذوقها

قال بل انا الذى يقول أبى

لا تسأل الناس مامالى وكثرته ... وسائل الناس ماجودى وماخلقى
أعطى الحسام غداة الروع حصته ... وعامل الرمح ارويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... وا كتم السر فيه ضربة العنق
و يعلم الناس انى من سراتهم ... اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية احسنت والله يا ابن أبى محجن وأمر له بصلة وجائزة وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه ابو حنيفة رضي الله عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال منذ هتك سترك ﴿ ومن ذلك مايحكى ﴾ ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه اصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من اين ايها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس و يستحلون اموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ماولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداءك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل اصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة ﴿ وحكى ابو محمد الحسين بن محمد الصالحى ﴾ قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد ان اكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فاسرعنا الجواب فقال و يلكم أعينونى والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وأتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها

فاسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقنى ياملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم اجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى ان خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فاخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم امر ان ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى اهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من علمك أو أوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا ابيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد اول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المراة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها واقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم ﴿ وحكى ان بهرام الملك ﴾ خرج يوما للصيد فانفرد عن اصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام واخرج سكينا فقطع اطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى اخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا اقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار

الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مرا كبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها احدا قيل مرض احمد بن ابى دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان اتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له احمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى اهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت ان اتصدق بها على من ههنا واطلق لاهل الحرمين مثلها فقال احمد متع الله الاسلام واهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية ... احلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمير الله معتصما ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع

﴿ ومن محاسن الاخلاق ﴾ ما حكى عن القاضى يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على اطراف اصابعه حتى اتى موضع الماء و بينه و بين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلاثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع على اطراف اصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائفا لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى اول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان اتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء واحب لك سيرتهم فهنأك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فامر لى بالف دينار فاخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل واكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان اصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى

البستان من اوله الى خره وكنت انا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى ان اتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولا كونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت ان اقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا وضعت يدك على عاتقى مثل ما فعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف اه ﴿ وحكى ﴾ ان أحمقين اصطحبا فى طريق فقال احدهما تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال احدهما انا اتمنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا اتمنى قطائع ذئاب ارسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان اول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين وقال الاصمعى بينما أنا اطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم	يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا	وأنت ياحى ياقيوم لم تنم
ادعوك ربى حزينا هائما قلقا	فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه	فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وانشد يقول

الا ايها المقصود فى كل حاجة	شكوت اليك الضر فارحم شكايتى

الا يا رجائى انت تكشف كربتى　　فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
اتيت باعمال قباح رديئة　　وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
اتحرقنى بالنار ياغاية المنى　　فأين رجائى ثم اين مخافتى

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين فرفعت رأسه فى حجرى و بكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعى سيدى ما هذا البكاء والجزع وانت من اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة اليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا اصمعى ان الله خلق الجنة لمن اطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا اليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون انتهى وكان ابو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا امير المؤمنين ان اهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن اول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شىء له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا اعطوا وان نزل بهم ضيف اقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال ابو العباس ما اظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول انت يا خالد قال ان اذن لى امير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب احدا قال اخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم السن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب

ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام
واكرم الكرام محمد عليه افضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي
المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة
والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين
والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا
زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم اقبل خالد على ابراهيم فقال الك علم بلغة قومك قال
نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم
الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع
قال افعالم انت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا انزلناه قرآنا
عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه
فنحن العرب والقرآن بلساننا انزل ألم تر ان الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل
والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى
والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم
ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فاكله الذئب ولم يقل فاكله الكنع
ثم قال لابراهيم اني اسألك عن اربع ان اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت
قال وماهن قال الرسول منا او منكم قال منكم قال والقرآن انزل علينا او عليكم قال
عليكم قال المنبر فينا او فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا او لكم قال لكم قال فاذهب فما كان
بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد او دابغ جلد او ناسج برد قال فضحك
ابو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا ﴿ وحكى ان الحجاج ﴾ اخذ يزيد بن
المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه
وارغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشأم الى سليمان بن عبد الملك
فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك اكرمه وأحسن اليه وأقامه

عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان
ابن عبد الملك اخى امير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان امير المؤمنين اعلى رأيا فكتب
الوليد الى اخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى اخيه يقول يا أمير المؤمنين انى
ما اجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا
ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف
الف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف الف درهم وقد صار الى واستجار بى
فأجرته وأنا اغرم عنه هذه الثلاثة آلاف الف درهم فان رأى امير المؤمنين ان
لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه اهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد
ان ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان احضر ولده ايوب فقيده
ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين
وارسلهما الى اخيه الوليد وكتب اليه اما بعد يا امير المؤمنين فقد وجهت اليك
يزيد وابن اخيك ايوب بن سليمان ولقد هممت ان اكون ثالثهما فان هممت
يا امير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بايوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى
اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة
اطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى ابى ايوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فاخذ يزيد
ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا
ظلم الحجاج ثم انه احضر حدادا وأزال عنهما الحديد واحسن اليهما ووصل ايوب
ابن اخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردهما الى
سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان
تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك واقام عنده فى اعلى المراتب
وارفع المنازل اه ﴿ وحكى ابو على المصرى ﴾ قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى
فقلت له يوما حدثنى باعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الايام

مليح الوجه حسن الثياب فقال لى اتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى اوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى اشبه الناس بالشاب قدخرجت وهى تمسح عينيها فقالت انت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم اجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من اولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فاخذت فى غسله وأنا ارتعد فلما ادرجته اتت الجارية وهى اخته فقبلته وقالت اما انى سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لى وقالت ارسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه انت فارتعدت من كلامها وعلمت انها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت اهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وانزلتها على اخيها رحمة الله عليهما

ا احبابنا بنتم عن الدار فاشتكت	لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت	رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم	بنومى فعينى لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعى بقطرة	فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يرانى بساما خليلى يظن بى	سرورا واحشائى السقام ملاها
وكم ضحكة فى القلب منها حرارة	يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله اياما بطيب حديثكم	تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر	من الناس الا قال قلبى آها

قيل لقيس بن سعيد هل رأيت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة

فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء باخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال انى لا أطعم ضيفانى الفائت فبقينا عنده اياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا فقفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فانى لا آخذ على اكرامى ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحى هذا فاخذناها وانصرفنا وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله اخبار فى الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما اراد يزيد ابن المهلب الخروج الى واسط اتيته فقلت ايها الامير ان رأيت ان تأذن لى فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى ذهب اليه فقلت كان جرابه فيه ضعف قال اتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

افاض القوم فى ذكر الجوارى فاما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت ايها الامير قد والله اغنيت واقنيت فان رأيت ان تأذن لى فى الرجوع فاكبت عدوى وأسر صديقى فقال انما اخيرك بين خلتين اما ان تقيم فنوليك او ترحل فنغنيك فقلت اولم تغننى ايها الامير قال انما هذا اثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالنى من فضله ما لا اقدر على وصفه وحدث ابو اليقظان عن ابيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش

وقال آخذه هذه خمسة آلاف وامضي الى ام فلان اخبرها انى قد استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف اخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس احد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة الف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال انه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما ابصره قال

ابا خالد ضاقت خراسان بعدكم　　وقال ذو والحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعدك قطرة　　ولا اخضر بالمروين بعدك عود

ومالسرور بعد عزك بهجة　　وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة الف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحمى يفعل فيه مايشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذى خفت منه لما منعتك من دخولك عليه فاخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعجوز اعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا اعرف نفسي وقال ابو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان احمد بن دواد اسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلى عن سخاء اولاد يحيي بن خالد فقال اما الفضل فيرضيك فعله واما جعفر فيرضيك قوله واما محمد فيفعل بحسب مايجد وفى يحيي يقول القائل

سألت الندى هل انت حر فقال لا　　ولكننى عبد ليحيي بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة　　توارثنى عن والد بعد والد

وفى الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيي ببلدة ... رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة ... ولا بمكب فى ثرى الارض ينكب

وفى محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالى اراكما ... تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما ... فقالا اصبنا بابن يحيي محمد
فقلت فهلا متما بعد موته ... وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا اقمنا كى نعزى بفقده ... مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضى الله عنه اعرابى فقال يا امير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى ان اذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها ... فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
إيه ابا حسن قد نلت مكرمة ... وليس تبغى بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به ... كل امرئ سوى يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا امير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ❊ وسئل اسحق الموصلى ❊ عن المخلوع فقال كان امره كله عجبا كان لا يبالى اين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن ابى جعفر يوما فاراد الرجوع

الى اهـله فقال له سفر البر احب اليك ام سفر البحر قال البحر الين على فقال اوقروا له زورقه ذهبا وامر له بالف الف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى بن شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا امير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك اتهجو سعيدا قال يا امير المؤمنين اخبرك الخبر عشقت جارية مدنيـة واتيت سعيدا فقلت انى احب هذه الجـارية وان مولاتها اعطيت فيها مائتي دينار وقد اتيتك فقال لى بورك فيك قال فاتيت يا امير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال ياجارية هاتي مطرفا فاتتـه بمطرف خز فصر لى فى زاويتـه مائتي دينار فخرجت وأنا اقول

اباخالد اعنى سعيد بن خالد اخا العرف لا اعنى ابن بنت سعيد
ولكنني اعنى ابن عائشة الذى ابو ابويه خالد بن اسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى
فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتموا وماهو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ماشئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت ان تعطى القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلتـه فكل ماسد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله ودخـل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيـه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

ياطلح انت اخو الندى وعقيده ان النـدى مامات طلحة ماتا
ان النـدى القى اليك رحاله فبحيث بت من المنازل باتا

﴿ ووفد ابو الشمقمق ﴾ الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلمـا دخلها

توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما قدم الرجال عليهم فتمولوا
اخنى الزمان عليهم فكانما كانوا بارض اقفرت فتحولوا

فقال ابو الشمقمق

الجود افلسهم واذهب مالهم فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة الف درهم معونة على مروءته ❁ وحكى عن ابى العيناء انه قال ❁ حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن اصدقائى فدخلت يوما على يحيى ابن اكتم القاضى فقال ان امير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار امير المؤمنين فلما دخلنا عليه اجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لى اسباب اعيش بها ففى العلى لك اخلاق هى السبب

فقال يا سلامة انظر اى شئ فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة الف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد احد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه ابو العيناء حتى تقرحت اجفانه فدخل عليه بعض اولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ ابو العيناء يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب

« وقال الاعمش » كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة ابن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي و يسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة اكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ ﴿ وحكى ابو القدامة العشيرى ﴾ قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى   فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فامر له بفرس ابلق كان معجبا به و بمائة دينار وخلعة سنية فاخذها وانصرف ﴿ ومن الغرائب ما حكى ﴾ ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعنى بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم و باعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام واتم نحره وقطع لحمه وطبخوه واكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها انا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وانا ولده وقد رايته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف اكرم اضيافه بعد موته « قيل ان شاعرا » قصد خالد بن يزيد فانشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران انتما   فقالا يقينا اننا لعبيد

فقلت ومن مولا كما فتطاولا   الى وقالا خالد و يزيد

فقال ياغلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب   تدفق كفاه الندى وشمائله

هو البحر من أى الجهات أتيته   فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لوانه   دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال ياغلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى   واعطيتنى حتى حسبتك تلعب

وانبت ريشا فى الجناحين بعدما   تساقط منى الريش اوكاد يذهب

فانت الندى وابن الندى وأخو الندى

حليف الندى ماللندى عنك مذهب

فقال ياغلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ماسمع وحسبي ماأخذت وانصرف « وجاء الى خالد بن عبد الله » بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشد يقول

ياواحد العرب الذى   مافى الانام له نظير

لو كان مثلك آخر   ما كان فى الدنيا فقير

فقال ياغلام اعطه عشرين الف دينار فاخذها وانصرف ﴿ وحيث ذكرنا نبذة من اخبار الكرماء فلنذكر نبذة من اخبار البخلاء ﴾ فمن ذلك ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ماأكثر السؤال فى هذا المكان فقالت ياأبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا ام قلوا « والائم اللئام وابخلهم » حميدا لاقط الذى يقال له

هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصفه ا كله من قصيدة

مابين لقمته الاولى اذا انحدرت … و بين اخرى تليها قيد اظفور

وقال فيه ايضا

تجهز كفاه و يحسك حلقه … الى الزور ماضمت عليه الانامل

« وأكل اعرابى مع ابى الاسود » رطبا فاكثر ومد ابو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فاخذها ابو الاسود وقال لاأدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها « وقال اعرابى » انزيل نزل به نزلت بوادغير ممطور ورجل بك غير مسر و رفاقم بعدم اوارحل بندم « وللحمدونى »

رأيت ابا زرارة قال يوما … لحاجبه وفى يده الحسام

لئن وضع الخوان ولاح شخص … لاختطفن رأسك والسلام

فقال سوى ابيك فذاك شيخ … بغيض ليس يردعه الكلام

فقام وقال من حنق عليه … بيبت لم يردفيه القيام

ابى وابنا ابى والكلب عندى … بمنزلة اذا حضر الطعام

وقال له ابن لى ياابن كلب … على خبزى اصادرا واضام

اذا حضر الطعام فلاحقوق … على لوالدى ولا ذمام

فما فى الارض اقبح من خوان … عليه الخبز يحضره الزحام

« ويعجبنى قول بعضهم »

زففت الى نيهان من صفو فكرتى

عروساغدا بطن الكتاب لها صدرا

فقبلها عشرا وهام بحبها … فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

﴿ ومن اخبار البخلاء ﴾ ما حكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت الطريق

فرأيت بيتا فى الفلاة فاتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت اهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فاكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ اقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا اهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ اقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم اتى بطعام حسن فاكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى اختى وان بعلها اخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع اهله « وقال عمر بن ميمون » مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال احدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا واخذت عظامه فوضعتها على باب دارى اتجمل بها فجاء هذا فاخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى اشترى الرأس « وقال رجل من البخلاء » لاولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى اكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون اولاده ترمقه فقال ما أعطى احدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف اكلها فقال ولده الاكبر امششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط الوكها يا ابت والحسها حتى لا يدرى احد العام هى ام لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا ابت امصها ثم ادقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما « وقيل خرج اعرابى » قدولاه

الحجاج بعض النواحي فاقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذذاك جائعا فسأله عن اهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت ام عمير قال صالحة ايضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الارض نباحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم اقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية اعد على ما ذكرت قال سل عما بدالك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي اماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال اومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي اماته قال كثرة نقل الماء الى قبر ام عمير قال اوماتت ام عمير قال نعم قال وما الذي اماتها قال كثرة بكائها على عمير قال اومات عمير قال نعم قال وما الذي اماته قال سقطت عليه الدار قال اوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا

« وقال دعبل » كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداء نا فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه واين الرأس فقال رميته فقال والله اني لا كره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك اما علمت ان الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما اهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت اني لا آكله ماقلت عنده من يأكله انظر في اي مكان رميته فائتني به فقال لا اعرف اين رميته فقال لكني أنا اعرف اين رميته قد رميته في بطنك الله حسبك « واشتكى رجل مروزى » صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع اخف عليه من الدواء فبينا هو يماطل الايام ويدفع الآلام أتاه بعض اصدقائه فوصف له

ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فامر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره و وجده يعصم فلما حضر غداؤه امر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة « وعن خاقان بن صبيح » قال دخلت على رجل من اهل خراسان ليلا فاتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى ان يشرب الدهن قال بينما انا اتعجب واسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من اهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء و وقعت فيما هو شر منه اما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء و ينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد املس وهو مع ذلك غير نشاف والعود ايضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني ارشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين « وقال الهيثم بن عدي » نزل على ابي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته	وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له	فارجع وكن ضيفا على الضيف

« وكان ابو العتاهية ومروان بن ابي حفصة » بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال لمروان ما فرحت بشيء اشد مما فرحت بمائة الف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما واشترى لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم و يقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب لي امير المؤمنين مائة الف درهم

وهبت لك درهما فوهبه سبعين الف درهم فوهبها اربعة دوانق « ومن الموصوفين بالبخل آل مرو » يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم و يشبكها في خيط و يجمعون اللحم كله في قدر و يمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وا كل لحمه وتقاسموا المرقة « وكان عمرو بن يزيد الاسدي بخيلا جدا » اصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به « وكان المنصور شديد البخل جدا » مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحداله يوما بقول الشاعر

اغر بين الحاجبين نوره	يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره	اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال يار بيع اعطه نصف درهم فقال نصف درهم ياأمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لي بثلاثين الف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين الف درهم يار بيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فسا زلت امشي بينهما وار وضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله في ذهابه وايابه بغير مؤنة واخبار البخلاء كثيرة وفيما اوردناه كفاية « نادرة » قيل لابي الحارث ما تقول في الفالوذجة قال وددت لوانها وملك الموت اختلجا في صدري والله لوان موسى اتى فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا « ودخل ابن قزعة يوما » على عز الدولة و بين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى اطعمك منه فقال ما الذي اصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كانها حشيت زبدا وعسلا اطيب التمر كانه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سامس في الحلقوم ثم مديده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي

ذممت منه سوادلونه ام بشاعة طعمه ام صعوبة مدخله ام خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال اذناب المحاجم و بطون العقارب و بزر الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح « وصنع الحجاج وليمة » واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال اولم عبد عند كسرى فاقام على رؤس الناس الف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا « وقال معاوية لرجل على مائدته » خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا « وحضر اعرابى على مائدة بعض الخلفاء » فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كان امه نطحتك فقال اراك تشفق عليه كان امه ارضعتك « ودعت أبا الحارث صبية له » فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له امافى وجهى ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداءك لو ان جميلا و بثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما فى وجه صاحبه وافترقا « وقال الشمردل » وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمنى قلت عندى جدى كاعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيته به كانه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذا قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم فاكله ثم قال يا شمردل ويلك اما عندك شيء قلت ست دجاجات كانهن أفخاذ نعام فاتيته بهن فاتي عليهن ثم قال يا شمردل اما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فاتيته به فعبه حتى اتى عليه ثم قال يا غلام افرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فاتاه بها ومعه الرقاق فاكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وأكل مع الناس « ونزل رجل بصومعة

راهب » فقدم اليه الراهب اربعة ارغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد اكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد اكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغني ان بها طبيبا حاذقا اسأله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا ﴿ يحكى ان زيادا أمر بضرب عنق رجل ﴾ فقال ايها الامير ان لي بك حرمة قال وما هي قال ان ابي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يامولاي اني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم ابي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه ﴿ وحكى ﴾ عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يامولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله الكريم «وقيل» لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد امر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات اقولهن قال قل فانشأ يقول

زعموا بان الصقر صادف مرة ... عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصقر منقض عليه يطير
اني لمثلك لا أتمم لقمة ... ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده ... كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن اسلم البكري فقال له عباد ايها الامير انشدك الله لا تقتلني فوالله اني لاعول اربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما انت منه قالت انا ابنته فاسمع يا حجاج مني

ما أقول ثم قالت

احجاج اما ان تمن بتركه ... علينا واما ان تقتلنا معا

احجاج لا تفجع به ان قتله ... ثمان وعشرا واثنتين وأربعا

احجاج لا تترك عليه بناته ... وخالاته يندبنه الدهر اجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من امير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة ﴿وحكى ان رجلا﴾ زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه اطلق له الف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى ان يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى امرهم فلما جلس اخبره الوكيل بامر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل اتدرى لم اتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى امره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم اخذ المال ومضى ﴿ ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم ما حكاه بعض خدم امير المؤمنين المأمون قال ﴾ طلبنى امير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما احدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن انت وعلى ودينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتروا فى بعض الجدران فاذا رايتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى جديد واذا بشيخ وسيم له جمال

وعليه مهابة ووقار قد اقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ونادى منادللخليفة فى يحي
بكيت على الدنيا وزادتأسفى عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها ورددها فلما قبضنا عليه وقلنا له اجب امير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصي وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين زجره وقال له ومن انت وبماذا استوجبت البرامكة منك ماتفعله فى خرائب دورهم وماتقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى ايادى خطيرة أفتأذن لى ان احدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس اهلى اشار واعلى بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا مايباع ولا مايوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثوبيات لى كنت قد اعددتها لاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لاشيء عندهم ودخلت شوارع بغداد اسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين ايديهم وأنا اقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد اقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيي بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيي جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام امرد قد عذر خداه اقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب

فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام الى جنب يحيي ثم قال يحيي للقاضى تكلم و زوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى و زوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله ياأمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بينى والمشايخ و ولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم و يقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيي لاأجسر على اخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت التفت الى ورائى مخافة ان امنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار و يحيي يلحظنى اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فامر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم امرنى بالجلوس فجلست فقال لى ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فاتى به فقال يابنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك و بنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فاكرمنى غاية الاكرام واقمت عنده يومى وليلتى فى الذعيش وأتم سرور فلما اصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد امرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار امير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى اخوه ثم لم ازل فى ايدى القوم يتداولوننى عشرة أيام لاأعرف خبر عيالى وصبيانى افى الاموات هم ام فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا الى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واو يلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون

فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير
قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مأمور بقضاء جميع ماتأمرنى به
فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند
والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل الى
الف الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التى
كنت اخذتها عافيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة
فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن البرامكة أنا ام رجل غريب اصطفونى
فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من امير المؤمنين الرشيد ما نزل اجحفنى عمرو بن
مسعدة والزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفى دخلهما به فلما تحامل
على الدهر كنت فى اواخر الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم
الى واشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له
ياعمرو اتعرف هذا الرجل قال نعم يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم
الزمته فى ضيعتيه قال كذا وكذا قال رد له كل مااستأديته منه فى مدته ووقع له بهما
ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة
بكائه قال له ياهذا اقد احسنا اليك فلم تبكى قال يا امير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع
البرامكة اذ لولم آت خراباتهم واندبهم حتى اتصل خبرى بامير المؤمنين ففعل بى مافعل
فمن اين كنت اصل الى امير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد
دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم
فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر « ومن ذلك انه » خرج سليمان بن
عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى
قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين
ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب ياأمة الله هل لك فى امير المؤمنين فنظرت الينا

ثم انشأت تقول

فان تسألانی عن هوای فانه — يجول بهذا القبر يافتيان

وانی لاستحييه والترب بيننا — كما كنت استحييه وهو يرانی

« ومن ذلك ماذكره عبد الله بن عبد الكريم » قال ان احمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه احمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاء وفطنة واحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت احمد بن طولون الوفاة اوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فاخذه اليه فلما مات احمد بن طولون احضره الامير ابو الجيش اليه وقال له انت عندي بمكانة ارعاك بها ولكن عادتی انی آخذ العهد على كل احد اعرفه ان لا يخوننی فی شیء فعاهده ثم حكمه فی امواله وقدمه فی اشغاله فصار احمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير ابو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأی احواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فی امور بيوته عليه فقال له يوما احمد امض الى الحجرة الفلانية ففی المجلس حيث اجلس سبحة جوهر فائتنی بها فمضی احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى احمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله ان اخون الامير وقد احسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد بعد ما اخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فاقامت اياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها واعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان اولا مشغولا بتلك الجارية

الخائنة العاهرة فلما اعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة اترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب اضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى احمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نسكرها واعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان احمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حلم عقله فتأني في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا ارسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان الامير ابا الجيش جلس لشربه واحضر عنده ندماءه الخواص وادناهم لمجلس قربه واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء فلما مثل بين يدي الامير واخذ منه الشراب شرع في التذكير فقال يا احمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك امير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فاخذه احمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين و بقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة الامير امرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها انت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضي ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال له ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين و بقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان

من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال ايها الامير ان الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ احمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من اوله الى آخره لما انفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير ابو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ماذكره احمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة احمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه « قلت ويقرب من ذلك ما حكى » ان ملكا من ملوك الفرس يقال له ازدشير وكان ذا مملكة متبسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحرا الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير ازدشير من يخطبها من ابيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على ازدشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه ازدشير فى جيشه فقاتله فقتله ازدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من اجمل النساء واكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت ازدشير من رؤيته اياها فقالت له ايها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر اصحابه قبل ان تقتله أنت وانه اسرنى فى جملة الاسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها احبتنى وسألت اباها ان يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كاننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فارسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال ازدشير وددت لو انى ظفرت بها فكنت اقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فاخذها للتسرى وقال هذه اجنبية من الملك

ولا أحنث فى يمينى بأخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غلبت ابى وأنا غلبتك فقال لها ومن ابوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت انك اقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك قتلى فعظم ذلك على ازدشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشي ان يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال ايها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت اولى وهو عين الصواب لانه احق من ان يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال ايها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهى اولى فى الستر ولا ارى فى قتلها اهون ولا استر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال واعوان فتحيل الى ان طرح شيأ فى البحر اوهم من كان معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما اصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال ايها الملك انى نظرت مولدى فرأيت اجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى اولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر اسأل الملك ان يقسمه بين اولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من ابى وليس عندى شىء اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لك ولاولادك سواء كنت حيا او ميتا فالح عليه الوزير ان يجعل الحق عنده وديعة فاخذه الملك وودعه عنده فى صندوق ثم مضت اشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة

مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد اساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى ان بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له اسمه شاه بور الى ان راهق البلوغ هذا كله وازدشير ليس له ولد وقد طعن فى السن واقعده الهرم فمرض واشرف على الموت فقال للوزير ايها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى ارى انى ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله ان يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تفريقها ولو كنت ابقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال ايها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من احسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك احق ما تقول فاقسم الوزير ان نعم ثم قال ايها الملك ان فى الوالد روحانية تشهد بابوة الاب وفى الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم ابدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذووا آباء معروفين خلا اباه وانى اعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم ان يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة ابيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ ازدشير ذلك منه مرارا فقال ايها الغلام ما اسمك

قال شاه بور فقال له صدقت انت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير
هذا ابنك ايها الملك ثم احضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبي منهم
والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها
وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير ايها الملك قد دعت الضرورة
في الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم اخذه الوزير وفك ختمه
وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل ان يتسلم الجارية
من الملك واحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند
الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل ان يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش
الملك ازدشير وبهت لما ابداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة نصحه
فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به
ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو
مسرور بابنه الى ان حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت ابيه
وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك ازدشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته
حتى توفاه الله تعالى « قلت ومن بديع ماجاء في المكافأة على الصنيع » ماحكى عن
الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام امر
من امور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من اصحاب الحوائج
فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما احمد بن ابي خالد الاحول فنظر
يحيي اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابني ان لابيك مع ابي هذا الفتى حديثا
فاذا فرغت من شغلي هذا فاذكرني احدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه
الفضل اعزك الله ياأبي امرتني ان اذكرك حديث ابي خالد الاحول قال نعم يابني
لما قدم ابوك من العراق ايام المهدي كان فقيرا لايملك شيأ فاشتد بي الامر
الى ان قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة ايام ماعندنا شيء

نفقاته قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا و بقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا
ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت
ادفعوه الى فاخذته ودفعته الى بعض اصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة
عشر درهما فدفعتها الى اهلي وقلت انفقوها الى ان يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد
الى باب ابي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون
خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد
ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا
وما اجابني جوابا فرجعت الى اهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع ابي خالد
فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له
سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك
بعد ان كنت عنده جليلا فما يرك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر
الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما
بلغت الباب استقبلني صاحب ابي خالد فقال لي أين تكون قد امرني ابو خالد
باجلاسك الى ان يخرج من عند امير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني
وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان
الحناطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتر يا مني غلات السواد بثمانية عشر الف الف درهم
قالا نعم قال ألم اشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي
اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض
المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهنيء فدخلنا مسجدا فقالا لي
انك تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على
شيء فهل لك ان تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به و يسقط عنك التعب

والكاتب فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة الف درهم فقلت لا افعل فما زالا
يزيدانني وأنا لا أرضى الى ان قالا لى ثلاثمائة الف درهم ولا زيادة عندنا على هذا
فقلت حتى اشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل
وافقتماه على ماذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لى اصلح امرك
وتهيأ قد قلدتك العمل فاصلحت شأنى وقلدنى ماوعدنى به فما زلت فى زيادة حتى
صار امرى الى ماصار ثم قال لولده الفضل يا بنى فما تقول فى ابن من فعل بأبيك هذا
الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله ياولدى ما أجد له مكافأة
غير ان اعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة ﴿ ومن ذلك ماحكى
عن العباس صاحب شرطة المأمون ﴾ قال دخلت يوما الى مجلس امير المؤمنين ببغداد
وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك يا امير المؤمنين
قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل
الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت فى نفسى
مع هذه الوصية التى اوصانى بها امير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون
معى فى بيتى فامرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم اخذت اسأله عن قضيته وعن
حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن انت
من اهلها قال وعمن تسأل قلت اتعرف فلانا قال ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت
وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى اعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال
ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى اهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالى
تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما
أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فما زلت اعدوا امامهم حتى فتهم
فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت اغثنى اغاثك الله
قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها

و وقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو هاهنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم ارجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى احسن معاشرة واجملها وافرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالى فاقمت عنده اربعة اشهر فى ارغد عيش وأهنئه الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال اثرها فقلت له اتأذن لى فى الخروج حتى اتفقد حال غلمانى فلعلى اقف منهم على خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلمانى فلم ارلهم اثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وها أنا قد اعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له اسود وقال له اسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى اظن انه يريد ان يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره ان تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف اصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من افخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش و رفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان

جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك و يسوس مركوبك واقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى و ركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا اتوقع خبره لافى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع امير المؤمنين فلم اتفرغ ان ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد امكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكرلى تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى ايامك فنسبت الى و بعث امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت انا وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيدت و بعث بى الى امير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد اخرجت من عند اهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى اهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت ان تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره لى حتى اوصيه بما اريد فاذا انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم احضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم ارسل من احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى و يوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرط خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند امير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان انت احتججت بانى هربت بعث امير المؤمنين

فى طلبى كل من على بابه فارادوا قتلى فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غدا اعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقانى بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان اثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحفظ وجهزله كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك امير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد ان تفعله فى امرى فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى اريد ان أوفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى امير المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عنى فاكون قد وفيت وكافات واما ان يقتلنى فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غيرها لا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف ان لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة اعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافاته قال العباس فاتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين

ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى امير المؤمنين اقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى اعلم ﴿ ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه ﴾ ماأورده محمد ابن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فامرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسى فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فاسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال الفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت امسكها معك واتبعنى وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال اياك اريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من اهل النعيم فاردت ان احدثك بشئ فقلت قل قال الا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت

هـذه المدينة فاتيت صاحب هذه الدار لا سأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من اصدق الناس الي فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد اتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ما احدث امير المؤمنين بشئ اظرف من هذا فاتيته فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه ذلك وأمر لي بألفي دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال اعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون الفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا أنا بخادم معه خمسون الفا وقال يقول لك امير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد ابطأ على الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في امرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض ايضا وقد امرت لك بخمسين الفا اخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعمى فدفعت اليه الالفي دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافاك على احسان ابيك وكافأني على اسداء المعروف اليك ثم اعطيته شيأ آخر من مالي فاخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ومن ذلك ما حكاه القاضي يحيى بن اكثم ﴾ رحمة الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي اتعرف قائل هذا البيت

الخير ابقى وان طال الزمان به ۞ والشر اخبث ما اوعيت من زاد

فقلت يا امير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له اخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا امير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة

فى القافلة الحقت اولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى اول القافلة فاذا أنا بشجاع اسود فاغرفاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور و يرغو كرغاء البعير فهالنى أمره و بقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى امره فعدلنا عن طريقه الى ناحية اخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر احد من القوم ان يقربه فقلت افدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فاخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن و بقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فاخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست اذكر الله تعالى فاخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا و بقيت منفردا لم أر احدا ولم اهتد الى ما أفعله وأخذتنى حيرة وجعلت اضطرب فاذا بصوت هاتف اسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه	ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه	و بكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل غاب غيهبه	عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى و بكرى الى جانبى فانخته و ركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة اميال لاحت الى القافلة وانفجر الفجر و وقف البكر فعلمت انه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد انجيت من كرب	ومن هموم تضل المدلج الهادى

الا تخبرني بالله خالقنا من ذا الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد ابلغتنا مننا بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي الفيتني رمضا والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير ابقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف اين وضع ﴿ موعظة ﴾ حكي انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الاندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من اصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن احسن ولا اجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له ابوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم اقام ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم احدا غير انه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون

مايصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له ياسيدى ان اصحابك ومريديك تعجبون من سكوتك ثلاثة ايام وأنت ساكت لم تكلم احدا قال فاقبل علينا وقال ياقوم اعلموا ان الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر افارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له ياسيدى انت شيخ اهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر الفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرا الولاية وطويت اعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال ياقوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من امره وسألنا الله تعالى ان يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم واغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فاقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض اصحابي نكشف خبره فاتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من ابيها فابى ان يزوجها الا من هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام في الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يااخواني ليس لي من الامر شيء سيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد ابعدني عن بابه بعد ان كنت من جملة

احبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا اهل المودة والصفا من القطيعة والجفا ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث و يبكى ونادى يا شبلى انعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وانت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا امر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم اقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين ايديهم و زعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلى فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلنا له هل لك ان ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت ارعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وماهما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من امره فسرنا ثلاثة ايام واذا به امامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق و يجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك انفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم اعطونى ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان امرك فقال يا قوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده و بستره غطانى فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسي ماقدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى

ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم احسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه اربعون الفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح اذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء اسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدي لما وليت من قريتنا جاءني من اخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان احببت ان تكوني من المؤمنات فاتركي ماأنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال اغمضي عينيك واعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ دجلة فقال امضي الى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان اخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد اهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا اياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه

قال الشبلي فرايته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اهـ فليتأمل العاقل في ذلك ولا يرله فضلا على احد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطي من يشاء ويمنع فالكل منه واليه ﴿ موعظة ﴾ قيل عشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت افراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له اخذ افراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان اخذ افراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله اردت ان يكون لي ولد يذكرون الله تعالى من بعدي فاخذها الرجل بأمر امرأته ثم اعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما اراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سائل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد واخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين الم تفعلا ما امرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين اهـ « وكان الحسن بن صالح » اذا جاء سائل فان كان عنده ذهب او فضة او طعام اعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء اعطاه دهنا وغيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء اعطاه كحلا واخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل ﴿ وحكي ﴾ ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين ايديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين ايديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الاول

فقال لها أنا والله ذلك السائل « ومما وقفت عليه » ما حكى ان بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت اتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا وادخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ما ترى وانشدت

بقرت شويهتى وفجعت قومى ... وانت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها ... فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء ... فلا ادب يفيد ولا اديب

« قيل » مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر ﴿ ومن ذلك ما حكى ﴾ ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وادناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى فى قتله اخذ بقلب امير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى اتى به الى منزله فطبخ له طعاما واكثر فيه من الثوم فلما اكل البدوى منه قال له احذر ان تقرب من امير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى امير المؤمنين فخلا به وقال يا امير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان امير المؤمنين ابخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على امير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه امير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به امير المؤمنين واخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال اين تريد قال اتوجه بكتاب امير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوى يحصل له

من هذا التقليد مال جزيل فقال له يابدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك و يعطيك الفى دينار فقال له انت الكبير وانت الحاكم ومهما اردت افعل فقال اعطنى الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير الفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب امر بضرب رقبة الوزير فبعد ايام تذكر الخليفة فى امر البدوى وسأل عن الوزير فاخبر بانه له اياما ماظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وامر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من اولها الى آخرها فقال له انت قلت للناس عنى انى ابخر فقال يا امير المؤمنين أنا أتحدث بما ليس لى به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا واعلمه كيف دخل به الى بيته واطعمه الثوم وماجرى له معه فقال امير المؤمنين قاتل الله الحسد ما اعدله بدا بصاحبه البدوى ثم اتخذ وزيرا وراح الوزير بحسده اهـ ﴿ وحكى ﴾ ان معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس واظهر القوة والتجلد واذن للهاشمى فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول ابى ذؤيب الهذلى من قصيدة رثى بها اولاداله ماتوا بالطاعون -

وتجلدى للشامتين اريهم ... انى لريب الدهر لا اتضعضع

فاجابه الهاشمى على الفور من القصيدة المذكورة بعينها

واذا المنية انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمة لا تنفع

﴿ ومما يشاكل ذلك ﴾ ماحكاه لى سيدى ومولاى عمدة العلماء الاعلام ونتيجة قضايا الادباء الفخام الشيخ عبد الغنى افندى الرافعى حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله افندى ابن قاضى الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة العلية فى ايام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل فى دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما فى القائق بين اسكى دار واسلامبول

فرقائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما اهل العلم احب ان يداعبه فقال عندما داناه

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وانت يكفيك منه مصة الوشل

فاجابه على الفور من القصيدة

اريد بسطة كف استعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي

فعند ذلك سأله عن مكانه فاخبر انه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد ايام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم امره ان يسأله عن مراده فسأله من غير ان يعلمه ان ذلك عن امر الملك فقال بغيتي القرية الفلانية فى محل كذا ان اقطعنيها كفتنى ولا اريد سواها فاخبر الملك بذلك فاقطعه القرية وعاد وقدر بحت تجارته ببضاعة ادبه ﴿ ومن هذا القبيل ﴾ ماوقع فى عصرنا لعوض بيك الاسعد رحمه الله تعالى انه حين بدأ تغيير ابراهيم باشا سر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان فى سوق العقادين من طرابلس الشام وكان احد امراء الالايات جالسا على دكان يقابله فكتب له امير الالاى يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وارسل يقول له انظر خطى وهو

لى النفوس وللطير اللحوم وللـ وحش العظام وللخيالة السلب

فاجابه بقوله من القصيدة بعينها وارسل يقول له انظر خط من حسن

ان كنت تعلم يا نعمان ان يدى قصيرة عنك فالاحوال تنقلب

﴿ وكتب العلامة زين الدين بن الوردى ﴾ الى قاضى القضاة الكمال البارزى وقد كان عزله من منصب القضاء وولى اخاه

حملتنى واخى تباريح البلا وتركتنا ضدين مختلفين

ياحى عالم عصرنا وزماننا الك التصرف فى دم الاخوين

فاجابه بقوله

أباعمر انزجر عن مثل هذا ... فاحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل ... فاحمد فيه معرفة و وزن

﴿قال صاحب التالد والطريف﴾ واذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخصيب ابي محمد اغرب فيه وأبدع كنت اقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له انني اوزن الشعر فاخبرني بكلام هذا نصه ادام الله عزك ان بيني و بينك ماشددت عليه من بعد ذلك راحتي و يحق ذا كم علينا فاعلموا من ودامرع والحمد لله وقال لي اخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعده وآخره امرع فقال احسنت اه ﴿وذكر ابن خلكان في تاريخه﴾ انه كان بين الملك العادل نور الدين و بين ابي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه و يتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

ياذا الذي بقراع السيف هددني ... لاقام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده ... واستيقظت لاسود البر اضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله

فيالله العجب من ذبابة تطن في اذن فيل ... و بعوضة تعض في التماثيل

ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهي عجيبة طويلة غريبة ﴿قال صاحب التالد والطريف﴾ انشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتي ذي القرنين بن حمدان الحمداني وهما

اني لاحسد لا في اسطر الصحف | اذا رأيت اعتناق اللام للالف
وما اظنهما طال اعتناقهما | الا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لي في هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهي اني كنت احب غلاما لطيفا اديبا ظريفا فكتبت له صورة لام الف لا وقصدت بها ماقاله الشاعر في البيتين فكتب لي ا ل مفترقين هكذا وقصد اذيتي بها وأرسلها الي كانه يقول لا أمكنك من عناق ابدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لا متصلة هكذا وأرسلها الي ففعلت بذلك رضاه وتعجبت من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب علي وقال عميت الامر علي واتعبتني قلت مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اهـ «قلت» وهذه الحكاية تشبه ان تكون عن ابي زيد السروجي او من باب التجريد «قلت ومثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل»

يامن اذاقرأ الانجيل ظل به | قلب الحنيف عن الاسلام منحرفا
اني رأيتك في نومي تعانقني | كما تعانق لام الكاتب الالفا

وقولي من قصيدة

ان تنأ عمن يعاني فيك كل عنا | فحسبه صوب دمع للنوى وكفا
بالحب صيرت لا ماقامتي اترى | يوما تعانق من اعطافك الالفا

ومارق قول بعضهم في المعنى

حكت قامتي لاما وقامت منيتي | حكت الفا للوصل قلت مسائلا
اذا اجتمعت لامي مع الالف التي | حكتك قواما مايصير فقال لا

﴿ذكر ابن خلكان في تاريخه﴾ انه اجتمع الامام ابو بكر محمد بن الامام داود الظاهري وابو العباس بن شريح في مجلس الوزير الجراح فتناظرا فقال له ابن شريح انت الذي تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا ابصر منك بالكلام فقال له

ابو بكر لئن قلت ذلك فانى اقول

انزه فى روض المحاسن م قلتى   وامنع نفسى ان تنـال المحرما
واحمل من ثقل الهوى مالوانه   يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفى عن مترجم خاطرى   فلولا اختلاسى رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم   فما ان ارى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح ولم تفتخر على ولوشئت أنا ايضا القلت

ومسامر بالغنج من لحظاته   قد بت امنعه لذيذ سناته
ضنا بحسن حديثه وغنائه   وا كرر اللحظات فى وجناته
حتى اذاما الصبح لاح عموده   ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدى عدل انه ولى بخاتم ربه فقال ابو العباس بن شريح يلزمنى من ذلك مايلزمك فى قولك

انزه فى روض المحاسن مقلتى   وامنع نفسى ان تنال المحرما

فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اه «ذكر ابو بكر الخطيب» انه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون انه من عسر عليه امر أطلق طيرا فيتيسر امره فمر عبد الله بن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فامر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وانشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق   فجرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما   كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فاصبحت   بعد الاراك تنوح فى الاسواق
فجعت بافراخ فاسبل دمعها   ان الدموع تبوح بالاشواق

تمس الفراق وبت حبل متينه ... وسقاه من سم الاساود ساق
ماذا اراد بقصده قرية ... لم تدر ما بغداد فى الآفاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألى ... من فك اسرك ان يحل وثاق

قيل انه فى ثانى يوم اطلق ورجع الى بلاده ﴿ وحكى عن خالد الكاتب ﴾ انه قال جاءنى يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلسني وقال انشدنى من اجود شعرك فانشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت ... من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حيانى بورد كأنه ... خدود اضيفت بعضهن الى بعض
وناولنى كأسا كان حبابها ... دموع على اساصدعن مقلتى غمض
وراح فنكل الراح فى حركاته ... كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثانى الفراش وقال يافتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فانشدته

عاتبت نفسى فى هوا ... ك فلم اجدها تقبل
واطعت داعيها اليـ ... ك ولم اطع من يعذل
لا والذى جعل الوجو ... ه بحسن وجهك تمثل
لاقلت ان الصبر عنـ ... ك من الصبابة اجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال ثلاثمائة وخمسون درهما فقال له اقسمها بينى وبين خالد فدفع لى نصفها وانصرفت ﴿ لطيفة ﴾ جاز بعض الطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله لعنده وأجلسه فى المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقى الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار

ولم ير للطعام رائحة كتب في مكان الشيخ هذين البيتين

يادعوة كانت علينا دعوة　　عز الطعام بها وغيض الماء
سودا وصفرا كلما غنين لي　　لعبت بي السوداء والصفراء

﴿ يحكى ﴾ ان شهاب الدين الخفاجي المصري شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخي زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنا　　وجد بالعفو يا روض الاماني
تريد مهذبا لا عيب فيه　　وهل عود يفوح بلا دخان

فاجابه شيخي افندي بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمني　　على لومي لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب　　كريح المسك فاح بلا دخان

﴿ وحكى ﴾ عن شرف الدين بن الشريحي انه اجتمع هو وشهاب الدين في ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة ان يصفع شهاب الدين فلما صفعه امسك التلعفري بذقن شرف الدين وانشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف　　وهو ان كان يرتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف طباع　　يا ربيع الندى والاخريفي

فانقلب المجلس ضحكا « وروى » ان ابن القطان الشاعر البغدادي دخل ذات يوم على الوزير الرضي وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير ماهما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله　　فما شفاني منه الضم والقبل
مازارني قط الا كي يوافقني　　على الرقاد فيفنيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص

ومادري ان نومي حيلة نصبت | لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

« ومما يشاكل ذلك » مااتفق للوزير القوصي وقد انشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما في جارية حسناء كاملة المعاني والاوصاف وزعم انه لا ثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها | وحقك مثلي في دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا ثيابه | الست ترى اوراقه تتناثر

فاطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فالقى العود في النار نفسه | كذا نقلت عنه الحديث المجامر
وقالت فغار الدر واصفر لونه | كذلك مازالت تغار الضرائر

وكان في المجلس النواجي الشاعر فانشد ارتجالا

وغنت فظل الجنك يطرق نفسه | وجادت لها بالروح منها المزامر
ومن لحظها الهندي في غمده اختفى | وظبي الفلا في لفتة وهو نافر
ومن وجنتيها الورد راح بخجلة | الست تراه احمرا وهو فاتر
ومن ريقها الصهباء شكت نار شوقها | فاطفأها بالماء ساق مسامر

« ذكر ابن شاكر الكتبي » في تاريخه في ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمساني ان جماعة من اهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا الى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده

أرسلتما لي رسولا في رسالته | حلو المراشف والاعطاف والهيف
وقد تمادى يسير اذاك أنكما | اوقدتما النار في احشاء ذي دنف

فلما حضر ولده شمس الدين وأخبر بالقضية كتب الى والده

ولاى كيف انثنى عنك الرسول ولم تكن لو ردة خديه بمقتطف

جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة فكيف ردت بلا ثقب الى الصدف

﴿ ومما نقلت من التاريخ المذكور ﴾ ان علية بنت المهدى العباسية اخت امير المؤمنين هرون الرشيد كانت من احسن خلق الله وجها واظرف النساء واعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها ان المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها و وجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها فى خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها فى طل وصحفت اسمه

أيا سروة البستان طال تشوقى فهل لى الى ظل لديك سبيل

متى يلتقى من ليس يقضى خروجه وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلفت أنها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من اعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد الى الرى اخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها

ومغترب بالمرج يبكى لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب

اذا ما أتاه الركب فى نحو أرضه تنشق يستسقى برائحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم انها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فامر بردها ومن شعرها

انى كثرت عليه فى زيارته ... فمل والشئ مملول اذا كثرا
ورابنى منه أنى لا أزال أرى ... فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

اهـ ﴿ لطيفة ﴾ يحكى ان عبد الملك بن مروان جمع عمر بن ابى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فأيكم كان أبدع فهى له بما عليها فقال جميل

ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى ... بمنطقها فى العالمين حييت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة ... جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن ابى ربيعة

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى ... لدى الجنة الخضراء اوفى جهنم

فقال له عبد الملك خذها يا صاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبد الله الاموية تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت ... وسهيل اذا استقل يمانى

وكان يتشبب بذكرها كثيرا حكى أنها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى وعدته به فصادفت اخاه الحارث قد نام مكانه فلم يشعر الحارث الا والثريا قد القت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول اعزبى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر اخبره الحارث بذلك فاغتم لفواتها وقال له أيم الله لا تمسك النار ابدا وقد القت نفسها عليك فقال له الحارث عليك وعليها المنة لله ومات عمر بعد ان تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل اربعين سنة وتنسك اربعين سنة رحمه الله تعالى « روى » انه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان اجابت عنه اعطيتك ماتقول وزدتك

والتفت اليها وقال

ماذا تقولين فيمن شفه ارق　　　من اجل حبك حتى صار حيرانا

فقالت بديها

اذا رأينا محبا قد أضر به　　　أمر الصبابة اوليناه احسانا

فاعجبه جوابها واشتراها ﴿ ومن اللطائف ﴾ ماحكى عن الشيخ يحيى المسالخى انه لما قدم دمشق الشأم وقرأ فى الجامع الاموى نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه فى قلبه فافتتن به فسأل عنه فاخبر عن ابيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندى العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا اقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندى يكون محصلا للفضيلتين فاجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فاجلسه بجانبه وأطال القراءة فى ذلك اليوم اكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فاخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

يا جاعلا علم الحساب وسيلة　　　تصطاد فيه فاتن الالباب

ان كنت فى علم الحساب رزقته　　　فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره ان لا يحضر عنده بعدها فاخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها

لموت به ظبيا غريرا مهفهفا　　　ومذ صار تيسا بعته للمسالخى

﴿ ومما نقلته ﴾ ان احد امراء العرب كان عنده جماعة من اجل العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شئ من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذى

بيــدي الى زوجته فاطرق القوم خجـلا فقام رجـل منهم وقال زوجتي اولى به يا أمير المؤمنين فاطرق الامير يده وقال هولك خذه واذا بعقد جوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الامير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتي انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له الف دينار ﴿ ذكر ابن خلكان ﴾ في تاريخه في ترجمة يحيي بن اكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع انه اي يحيي بن اكثم مازح الحسن ابن وهب وهو يومئذ صبي ثم جمشه فغضب الحسن فانشد يحيي

أيا قمرا جمشــته فتغضــبا ... وأصبح لي من تيهه متجنبا

اذا كنت للتجميش والعض كارها ... فكن أبدا ياسيدي متنقبا

ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة ... وتجعل منها فوق خديك عقربا

فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا ... وتترك قاضي المسلمين معذبا

﴿ قال صاحب التالد والطريف ﴾ انشــد الشيخ ابواسحق الشــيرازي امام الشافعية لنفسه

جاء الربيع وحسن ورده ... ومضى الشتاء وقبح برده

فاشرب على وجه الحبيـ ... ـب ووجنتيه وحسن خـده

قال ابن السمعاني قال لي المظفر شعيب بن الحسين القاضي انشدني الشيخ ابواسحق الشيرازي هـذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه ان هـذين البيتين انشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه احضر ذاك الشأن يريد الشراب فقـد افتانا به الامام ابواسحق و بكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم اقل هذين البيتين ثم قال لي كيف تردهمـا من افواه الناس فقلت ياسيدي هيهات قد سارت بهما الركبان اورد ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمـد و يلقب بمحب الدين اه ﴿ لطيفة ﴾ حكى الصفدي بالوافي بالوفيات ان ابا الحسين الجزار رحمه الله سأله طلبته يوما التنزه فقالوا له

ياسيدي انت اجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار واطلعه من مكانه و وقف هو واخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له ياسيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا اولادي لما وقفت خلف القرمة ادركني لؤم الجزارين ﴿ قصد ابن عيينة ﴾ قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه واحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وانت مذمم | عجبا لذاك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد | نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش انت له وذاك بمسجد | كم بين موضع مسلح وسجود

وله هجاء في خالد

ابوك لنا غيث نعيش بوبله | وانت جراد لست تبقي ولا تذر
له اثر في المكرمات يسرنا | وانت تعفي دائما ذلك الاثر

﴿ ولما قتل ﴾ جعفر بن يحيى بكى عليه ابونواس فقيل له اتبكي على جعفر وانت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله اني قلت

ولست وان اطنبت في وصف جعفر | بأول انسان خرى في ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه ﴿ ودخل ابودلامة على المهدي ﴾ وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله ان لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في امره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال ابودلامة فازددت حيرة فما رأيت اسلم لي من أن اهجو نفسي فقلت

الا ابلغ لديك ابادلامه | فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما | كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قرد | وخنزير اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم احد الا اجازه ﴿ وكان لاعرابى ﴾ امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته امه يوما وقالت مغيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى ... انقذنى اليوم من الجوالى
من كل شهواء كشن بالى ... لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على ان تكون جاريه ... تغسل رأسي وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه ... حتى اذا ما بلغت ثمانيه
أزرتها بنقبة يمانيه ... انكحتها مروان او معاويه
اصهار صدق ومهور غاليه

قال فسمعها مروان فتز وجها على مائة الف مثقال وقال ان امها حقيقة ان لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة الف درهم « قيل » ان رجلا قال لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد و والدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد « وأرسل رجل ولده » يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا ابت عشرون ذراعا فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى « وكان لرجل من الاعراب » ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشى مع ابيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبدالله فلم يجبه ذلك الشاب فقال الا تسمع فقال يا عم كلنا عبدالله فاى عبدالله تعنى فالتفت ابو حمزة اليه وقال يا حمزة فقال حمزة بن الاعرابى كلنا حمامير الله فأى حمزة تعنى فقال ابوه اعنيك يا من اخذ الله به ذكرابيه ﴿ و يعجبنى قول الصفدى ﴾

لولا شفاعة شعره فى صبه ... ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده ... وغدا على اقدامه يترامى

وقول ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا كحظى حين أطلب منه وصلا
و بلبله على الارداف منه فلم أر مثل ذاك الفرع اصلا

وقول الآخر

بدت ثريا قرصها وشعرها متصل بكعبها كما ترى
ياعجبا لشعرها لما ابتدى من الثريا فانتهى الى الثرى

وقول ابن نباتة

و بمهجتى رشأ يميس قوامه فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده و رآه قد نعست لواحظه فدب عليه

وقوله أيضا مضمنا

وضعت سلاح الصبر عنه فماله يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل على خده فليتق الله سائله

ولبعضهم فى ذم العذار

غدا لما التحى ليلا بهيما وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه لمن يقرا وجاءكم النذير

ولآخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه طول الزمان فموسى لا يفارقه

برهان الدين القيراطى

شبه السيف والسنان بعينى من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا حدنا دون ذاك حاشا وكلا

ابن الصائغ

لثلى من لواحظها سهام ... لهـا فى القلب فتك اى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا ... يموت المستهام بغير شك

الصلاح الصفدى

ياعاذلا لى على عـين محجبة ... خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها ... لا ترم نفسك بين السهم والهدف

اخر أنفقت كنز مدامعى فى ثغره ... وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة ... فقضى وراح تغزلى فى البارد

عز الدين الموصلى

كالزرد المنظوم أصداغه ... وخده كالورد لـما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته ... فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ابن نباتة

انسية فى مثال الجن تحسـبها ... شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها ... فالوجه للشمس والعينان للريم

اخر بصدرها كوكبا دركأنهما ... ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهـما بستور من غلائلهـا ... فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

الصلاح الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه ... أتزعم ان اللين عندك ماقوى
فقم نحتـكم للروض عند نسيمه ... ليقضى على من مال منا الى الهوى

وكأنه ينظر الى قول السراج

ومهفهف عنى يميل ولم يمل ... يوما الى فصحت من لم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقا ... فاجاب كيف وأنت من جهة الهوى

﴿ أراد ملك الروم أن يباهي اهل الاسلام ﴾ فبعث الى معاوية رجلين احدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

اردت لكي ما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود
وكيلا يقولوا خان قيس وهذه سراويل عاد احرزتها ثمود
واني من القوم اليمانين سيد وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين ﴿ وحكى الجاحظ ﴾ ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت ان اعمل لها صورة شيطان فقلت لاأدرى كيف اصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول بعضهم

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت لمثاله ورآه كان له كاعظم واعظ

﴿ قيل انه قدم تاجر الى المدينة ﴾ يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للعبادة ذيله حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا اسود فلما انفد التاجر ما كان معه

رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها ﴿ ومر رجل اشمط ﴾ بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كانك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وماهو قالت شيب في رأسي فثني عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله مابلغت عشرين سنة ولكنني أحببت ان اعلمك اني اكره منك مثل ماتكره مني ﴿ وقال عبد الله الماجشون ﴾ وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يوما ياماجشون ماقلت حين فارقت أحبابك قال قلت ياأمير المؤمنين

لله باك على احبابه جزعا	قد كنت احذر هذا قبل ان يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني	حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا	فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ماشاء مجتهدا	فلا زيادة شيء فوق ماصنعا

فقال والله لاعينك فاعطاه عشرة آلاف دينار ﴿ وحكى بعضهم ﴾ قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له احسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال امثلي يقال احسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى انشدكم فان أنا احسنت فقولوا أحسنت واذا انا اسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم	وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقابلت بخلال السجف ناظرها	ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم	ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادي العيس عرج كي اودعهم	ياحادي العيس في ترحالك الامل
اني على العهد لم انقض مودتهم	ياليت شعري لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله اموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت ﴿ قيل لما وفد المهدي

من الري ﴿ الى العراق امتدحه الشعراء فقال ابودلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادما　　أرض العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد　　ولتملان دراهما حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال ابودلامة ماأسرعك للاولى وابطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره «وتزوج مغن» بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك ﴿ وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلي ﴿ حكى انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ماأحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في اعضاء فبينما هو كذلك اذ اتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينهما فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن اخذت واحدا لقد ابقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا اعلم عبسا يزيد ماله على مالي فعرستا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من اهل ومال وولد غير صبي صغير و بعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فاصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا اهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الدنيا من هو اعظم مصيبة منه ﴿ ومما نقلته ﴿ ما حكي عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عنده

خبا الى بازاء منزلى فمر بى انسان اعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج اخفاف فارسلتهما مع جاريتى لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال انت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا اليك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها اتقدم الينا فادخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لضيفى شيأ يشترى به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد احسن رد وقال ما الذى اقعدك عنا قلت ذات اليد وانشدته قصيدة مدحته بها قال اتدرى لم احضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال احادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر … يمضى فيخترق الاجسام والهاما

كالدهر لا ينثنى عما يهم به … قد اوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا امير المؤمنين فقال سبحان الله ايقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فمضينا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته مالى فيه من شعر فامر لى بمائتى الف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين الف درهم وقال ما ينبغى لى ان اساوى امير المؤمنين فى العطاء اه ﴿ نادرة ﴾ قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال احدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال اذا وصلت الى المكان

انفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا ايضا لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ركب الجنى انسانا مايعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى اذنيه من ماء السداب اربعا وفى السرة ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ماأمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد ايام الا وقد احاط به اهل صبية من تلك البلدة وقالوا له انت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا نفاتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السداب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السداب فى اذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة واليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى ﴿ ومن اللطائف ماحكاه ابو الفرج فى كتاب النساء ﴾ وابن الكرديوس فى الاكتفاء قالا كانت عند ابى العباس السفاح ام سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومى وكان قد احبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فحلف لها ان لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له يا أمير المؤمنين فكرت فى امرك وسعة ملكك وانك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسرارى واستظراف الجوارى ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بما تشتهى منهن فمنهن يا امير المؤمنين الطويلة الغيداء والعنيقة الادماء والزهية السمراء والمولدات المغنيات اللواتى يفتن بحلاوتهن ولو رأيت يا امير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والثدى النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن

لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين انت يا امير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد في الوصف ويكثر في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له ابو العباس ويحك والله ما سلك مسامعي قط كلام احسن مما سمعته منك فاعده على فاعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وأبقى العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه ام سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته في جميع ما أراده فقالت له مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث امر تكرهه او اتاك أمر ارتعت له قال لم يكن شيء من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى اخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت الى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت الى منزلي مسرورا بما رأيت من اصغاء امير المؤمنين الى كلامي واعجابه بما القيت اليه وأنا لا أشك في الصلة فلم البث ان جاء العبيد فلما رأيتهم اقبلوا نحوي ايقنت بالجائزة فوقفوا علي وسألوا عني فعرفتهم نفسي فاهوى الى احدهم بعمود كان في يده فبادرت الى الدار واغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني امير المؤمنين طلبا شديدا فلم اشعر ذات يوم الا بقوم هجموا علي فقالوا اجب امير المؤمنين فايقنت بالموت وقلت لم ار دم الشيخ اضيع من دمي وركبت فلم اصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت على امير المؤمنين فوجدته جالسا فاومأ لي بالجلوس فثاب الى عقلي وفي المجلس باب عليه ستور قد ارخيت وخلفه حركة فقال لي يا خالد مذ ثلاث لم ارك قلت كنت عليلا يا امير المؤمنين قال انك وصفت في آخر دخلة لي من امر النساء والجواري ما لم يطرق سمعي قط كلام احسن منه فاعده علي قال نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضر وان احدا لم يك عنده امرأتان الا كان في ضر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا امير المؤمنين

ان الثلاث من النساء كانا في القدر تغلي عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يمرضنه ويسقمنه ويضعفنه وان ابكار الاماء رجال ولكن لاخصى لهن قال فقال ابو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعت منك من هذا شيأ قط قال خالد بلى والله يا امير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك الى الاماء والسراري قال خالد فقال لي ابو العباس ويحك اتكذبني قلت افتقتلني يا امير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله ياعماه هذا الذي حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في امرهما فما شعرت الا برسل ام سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لي تقول لك ام سلمة اذا حدثت امير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى ﴿ ومن البدائع مايحكى ﴾ ان السلطان الملك الكامل اصبح متمرضا فاشار عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون شتوي فامر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الا شتويا وهذا سائل ردوه فقال الامير صلاح الدين والله مامن عادة مولانا السلطان ان يرد سائلا فقال السلطان والله ما أرد سائلا هاتوه احسنت والله ياصلاح الدين فاكله وكان الشفاء فيه ﴿ ونظير ذلك ماحكي ﴾ انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم وكان ربما يتهم به وكان بعض الادباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الاديب قريبا من الباب فقلت له اي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فعلي استلم الركن او أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألني الامير صلاح الدين مامعنى ذلك ففطنته في الجواب فاقسم ان لابد ان اخبره فاخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة ﴿ ذكر ابن الجوزي

في كتاب تلقيح فهوم الادباء ﴾ عن محمد بن عثمان بن ابي خيثمة السلمي عن ابيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها	أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل	سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه	اخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أدري معي بالمدينة رجل تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما اصبح اتى بنصر بن حجاج فاذا هو من احسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزمة من امير المؤمنين لتأخذن من شعرك فاخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كانهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا امير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع ان يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه ابياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره	مالي وللخمر او نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا ان تبينه	ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى لتحجبه	حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت امه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا امير المؤمنين والله لاقفن أنا وانت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله ايبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم ارسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من اراد ان يكتب الى امير المؤمنين فليكتب

فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا امير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى ... وما نلت من عرضى عليك حرام

فاصبحت منفيا ملوما بظنة ... و بعض امانى النساء غرام

ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء ومالى جرمه فالام

فيمنعنى مما تقول تكرمى ... وآباء صدق سالفون كرام

و يمنعها مما تقول صلاتها ... وحال لها فى قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل انت راجعى ... فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله عنه هذه الابيات قال اما ولى السلطان فلا واقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اه ﴿ قيل دخل بعض الشعراء ﴾ على الاديب جمال الدين بن نباتة فرأى فى نواحى منزله نملا كثيرا فانشد يقول

مالى أرى منزل المولى الاديب به ... نمل تجمع فى ارجائه زمرا

فاجابه ابن نباتة بقوله

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا ... فالنمل من شأنها ان تتبع الشعرا

هذا آخر ما أردت ايراده فى هذا الذيل مما وقفت عليه من المستظرف والنكات المفتخرة والزند الوارى والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ هذا كتاب تأهيل الغريب للامام تقى الدين بن حجة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى هدانا لتأهيل الغريب فاكرمنامثواه * وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * فله الحمد على هذه النعمة التى هى عن كثير من الناس بمعزل * اذغريب الادب لم يتأهل بقفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * بل وقرفى صدرى رهبت عليها نسمات الالهام فتكامت بالنفس العالى « واعرضت عن »

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

« ولكنها خيمت على »

سموت اليها بعدمانام اهلها   سموحباب الماء حالا على حال

نعم هذا البيت نعم السكن لتأهيل الغريب فدعنى بالله من سقط اللوى وذكر حبيب * فنشكر رالحمد على علو الدرجات من فهم هذه الدقائق فى كل ساعه « ونشهد » أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف بجابر الالهام فى تدبير هذه الصناعه « ونشهد » أن محمدا عبده ورسوله الذى ادبه ربه فأدبنا بحسن تأديبه * وارشدنا جزاه الله تعالى عنا خيرا الى معرفة بديع الادب وغريبه « فصلى » الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تأدبوا بآدابه * وثبتوا أوتاد بيوته من غير فاصلة وتمسكوا باسبابه * وسلم تسليما كثيرا « وبعد » فان غريب الادب قد مزقه الشتات ايدى سبا * ونظمه بعد تأهيل غربته فى اسلاك الغربا * وقد هزتنى حمية الادب الى لم شمله * واجتماعه بالنسيب من اهله « ولما » جملت له هذا الكتاب جامعا صلت اقلام التأليف فى قبلته ﴿ وقد سميته تأهيل الغريب ﴾ والمرجو من الله حسن المطابقة فى تسميته اذغريب الادب قد صار فى هذا العصر من العنقاء اغرب * وكم شن عليه الغارة متأدب ولم يتأدب « ولما » حصل فى بديعه هذه البدعه * ابتدأ غالبه وأخرج من بيوته

وعزت مطالبه الرجعه « ولهذا قال الصابئ »

احب الشعر يبتدع ابتداعا وا كره منه مبذولا مشاعا

« وقد » انفت ان افتح باب بيت عقده البذل وان كان بديعا * ولم ارض من هذا النحو بغير التسهيل ليصير الاعراب عنه مرفوعا « فقد قال بديع الزمان » قد يوحش اللفظ وكله ود * و يكره الشئ وليس منه بد « والعرب » تقول لا اباالك ولا يقصدون الذم و ويل امه لامر اذاهم « قلت » وهذا الشمل ما اظن احدا قبلي لمه في كتاب ولا نحا هذا النحو ولا اعرب هذا الاعراب * فاذا قدمت متأخرا واخرت متقدما ولم ارتب الانواع * فالقصد انني اذا ظفرت بغريب اهلته على الفور واضمت نشره بعدما ضاع اذرب الجمال في كل محل يظهر الحسن تجميله * وعلى كل حال ام عمر وجميله « والله تعالى » يؤلف قلوب اهل الذوق على حلاوة تأليفه * و يعين على جمع اصناف المحاسن في تصنيفه * بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى « ذكر الاصمعي » ان اغرب بيت نظم في اغزال العرب « قول جميل »

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

« ومن هنا » اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

ابكي اشتياقا اليها وهي قاتلتي يامن رأى قاتلا يبكيه مقتول

« ومن غريب » الاغزال المحمسة « قول عنترة »

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

« هذا النوع » سماه علماء البديع الافتنان لاشتماله على فني الغزل والحماسة « كقول ابي دلف »

احبك ياظلوم فانت مني مكان الروح في صدر الجبان

ولو اني اقول مكان روحي خشيت عليك بادرة الطعان

« وأبدع منه واغرب قول الارجانى »

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى ... من دون نظرة مقلة نجلاء

فتحدثا سرا لخول قبابها ... سمر الرماح على للاصغاء

« الذى » يظهر ان الصاحب فخر الدين بن مكانس من هنا ولدمعى شجرة السرح « وقال »

مالت على النهر اذ جاش الخرير به ... كأنها اذن مالت لاصغاء

« شيخ شيوخ حماة المحروسة »

ونحن معاشر نأتى الدنايا ... ونلبس من صوان العرض سردا

نعانق من رماح الخط بانا ... وننشق من سيوف الهند وردا

« وقال مهيار فى بيت واحد وأجاد »

واتعب من حاولت يا قلب وصله ... حبيب سنان السمهرى رقيبه

« وممن » تفنن بين رقة الغزل وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصارى التلمسانى بطويحن « فمن ذلك » قوله الذى اجاد فيه الى الغاية

خطرت كمياد القنا المتأطر ... ورنت بالحاظ الغزال الاعفر

واتتك بين تطاعن وتذاعن ... فى فتك قسورة وعطفة جؤذر

وبعلب الصدغين مطردوجنة ... زحفت عليه كتائب ابن المنذر

« ومثله فى الحسن قوله »

زارت وفى كل مرمى لحظ محترص ... وحول كل كناس لحظ محترس

وان تلاخدها الزاهى الضحى نطقت ... سيوف آبائها عن آية الحرس

« ابن الساعاتى وأجاد »

تهوى قوام الرمح وهو مهفهف ... والسيف فى وجناته توريد

فكأنما سمر الرماح معاطف ... والهام فوق صدورهن نهود

« ويعجبني هنا قول نصر الله بن قلاقس »

عقدوا الشعور معاقد التيجان ... وتقلدوا بصوارم الاجفان

ومشوا وقد هزوا الرماح قدودهم ... هز الكماة عوالي المران

وتدرعوا زردا تخلت اراقما ... جعلت ملا بسها على الغزلان

« ومن » لطائف المتأخرين في هذا الباب اعني الغزل المحمس قول الوداعي

لقيتني بصدرها فتوهمت ... عناقا اهدى الى اللقاء

وعداني ياقوم ان العوالي ... عندنا شراعها تراق الدماء

« ومن بديع الفاضل وغريبه »

تلقى عروس المنايا وهي حاسرة ... وخدها فيه من فيض الدما خفر

والضرب بالبيض من آثاره عكن ... والطعن بالسمر من آثاره سرر

« ومثله قوله في ضرب ممدوحه بالسيوف »

تمد الى الاعداء منها معاصما ... فترجع من ماء الكلا باساور

« ومثله قوله سقى الله ثراه »

وخدود الارض مشرقة ... من دم والخيل خيلان

« ابن قلاقس وأجاد »

وغزال لدن المعاطف كالخو ... ط رقيق الخدود كالجريال

عسكري يصول في معرك الحب ... بما فيه من سلاح الجمال

« ومثله قول مجير الدين بن تميم »

بروحي من الاتراك ظبي تخافه ... اذا ما سطا اسد الشرى وتحاذره

فما حيلتي فيمن اذا رمت وصله ... ثنى طرفه نحو الحسام يشاوره

«قلت» هذا التضمين يمد من المرقص والمطرب « ومثله قول سبط التعاويذي »

بين السيوف وعينيه مشاكلة ... من اجلها قيل للاغماد اجفان

« ومن ناضج ابن قلاقس هنا قوله »

ثقفوها من القدود رماحا وانتضوها من الجفون صفاحا

يالها حالة من السلم حالت فاستحالت من بعد ذاك كفاحا

صح اذردت العيون دماء انهم اثخنوا القلوب جراحا

« وما أحلى ماقال بعده »

يافؤادى وقد أخذت أسيرا اتقطرت ام وضعت السلاحا

« ومن مدائحه فى الملك المعظم قوله »

ولقد اشمت الثغر منك مهندا خلناه ذاك العضب ردلغمده

فكان ثغرك اقحوانة ثغره وكان باسك جلنارة خده

« صفوان المرسى وأجاد »

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا لان خرصانها من فوقها مقل

« وقلت » من قصيدتى التى كتبت بها جوابا عن صاحب تونس الى صاحب الاندلس

وسال عذار السيف فوق خدودهم فاظهر بعد الشيب خدا مورد

وكم زردقد فاك فوق مسيله الى ان رأيناه عذارا مزردا

« انتهى » ماأوردته من تأهيل الغريب فى الغزل الحمس ولما كثر منه الالانه عزيز الوجود جدا غير انى أعرضت فى هذا الكتاب عن كثير من البديع الغريب المختلف الانواع والغيته لعقادة وجدتها فى تركيبه وسفالة فى الفاظه « كقول » عنترة فى معلقته يصف روضة بديعة رأى فيها « ذبابا »

وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

« فهذا » التشبيه معدود من التشابيه العقم وهذا مسلم غير ان عقادة التركيب هنا

فى تقديم الالفاظ وتأخيرها اسفرت عن أقطع يحك ذراعه بذراعه « وقول امرىء القيس فى معلقته »

وتعطوا برخص غير شثن كانه اساريع ظبي اومساويك اسحل

« فغاية » امرىء القيس انه هنا شبه أنامل محبوبته بأساريع وهى دواب تكون فى الرمل ظهورها ملس ومساويك اسحل والاسحل شجر أغصانه ناعمة « أين هذا من قول الراضى بالله »

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها فى خدها وقد اعتقلن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة غرست بارض بنفسج عنابا

«فالتشابيه » التى تقادم عهدها للعرب رغب المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب وخشونة الالفاظ لم تسفر عن معنى بديع الا فيما قل وندر « وقال ابو محجن الثقفى فى وصف قنية »

ترجع الصوت أحيانا وتخفضه كما يطير ذباب الروضة الغرد

قال ابن رشيق خولفت العرب فى كثير من الشعر الى ما هو اليق منه وأمس بالوقت واليق بأهله فان القينة الجميلة لم ترض ان تشبه نفسها بالذباب كما قال ابن محجن « قلت » والعرب عذرها واضح فى ذلك فانه لم يسعها أن تذكر غير ما وجدته فى المهامه المقفرة من الذباب والاساريع وشجر الاسحل وما أشبه ذلك ومن أين للعرب أن تقول « كقول ابن المعتز فى الهلال »

فانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

« وهى » عن الزورق والعنبر وعن كثير من ذلك بمعزل « قلت » وأين وصف عنترة لروضته بالذباب والاجذم من وصف العلامة يحيي بن هذيل المغربى لروضته الاريضة حيث اتى ببديع الغريب وقال

نام طفل النبت فى حجر النعامى لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

وسقى الوسمى أغصان النقا ... فهوت تاثم افواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى ... وغدا فى وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثملا ... قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت ... مسكة الليل عليهن ختاما

« ومثله فى الحسن والغرابة »

وتحدث الماء الزلال مع الحصى ... فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكان فوق الماء وشيا ظاهرا ... وكأن تحت الماء درا مضمرا

« و يعجبنى هنا قول الشيخ محمد الارموى »

كم للنسيم على الربا من نعمة ... وفضيلة بين الورى لن تجحدا
مازارها وشكت اليه فاقة ... الا وهز لها الشمائل بالندى

ومن بديع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وغريبه

و بطحاء فى وادير وقك روضها ... ولاسيما ان جادغيث مبكر
بها فاض نهر من لجين كأنه ... صفائح اضحت بالنجوم تسمر
فكم غازلته للغزالة مقلة ... تسارق اوراق الغصون فتنظهر
تلاحظها عين تفيض بأدمع ... ترقرقها منه هنالك محجر
اذا فاخرته الريح ولت عليلة ... بأذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا ... به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

« قلت » التورية جاءت هنا فى الفضل والربيع ويحيي وجعفر ضمن غريب لاعن قصد فى التأليف اذ القصد فى الغرابة فى المعنى ور بما ينتظم معى فى هذا السلك جانب لغرابة المعانى « وأما » مجرد التورية وأقسامها وأنواعها فتجده فى كتابى المسمى بكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام « ومن بديع الغريب قول ابى اسحق ابراهيم بن خفاجة»

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا ... بأضعف من طرف المريب وأفتر

ولاح على بلوره من غديرها ... شعاع شراب كالعشية اصفر

وصفرة مسواك الاصيل تروقني ... على لعس من مسقط الشمس اسمر

« قلت » ومن الاستعارات التي تحصل النشوة بغريبها « قول القائل »

والشمس لا تشرب خمر الندى ... في الروض الا بكؤس الشقيق

« ونظير هذه الاستعارة في الحسن قول ابن رشيق »

با كر الى اللذات واركب لها ... سوابق اللهو ذوات المراح

من قبل ان ترشف شمس الضحى ... ريق الغوادي من ثغور الاقاح

ومن مرقص الاستعارات ومطربها قول القائل

بحيرة جدول وسماء آس ... وأنجم نرجس وشموس ورد

ورعد مثالث وسحاب كاس ... وبرق مدامة وضباب ند

« ومن الغايات ايضا في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم »

وليلة بت أسقي في غياهبها ... راحا تسل شبابي من يد الهرم

مازلت أشربها حتى نظرت الى ... غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

« ومن ذلك قول ابن قلاقس وأجاد »

* وفي طي أبراد النسيم خميلة ... بأعطافها نور المنى يتفتح

تضاحك في مسرى المعاطف عارضا ... مدامعه في وجنة الروض تسفح

وتوري به كف السبا زند بارق ... شرارته في فحمة الليل تقدح

« وتلطف هنا مجد الاربلي بقوله في الاستعارة المرشحة »

اصغي الى قول العذول بجملتي ... مستفهما عنكم بغير ملال

لتلقطي زهرات ورد حديثكم ... من بين شوك ملامة العذال

« وظريف قول مجير الدين بن تميم هنا »

كيف السبيل لأثم من أحببته | من بعد ما نامت عيون الحرس
واصابع المنثور تومئ نحونا | حسداً وتغمزها عيون النرجس

« وقال محيي الدين بن قرناص في الاستعارة المرشحة وأجاد »

قد أتينا الرياض حين تجلت | وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما | سقطت من أنامل الاغصان

« ومنه قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي »

هلم يا صاح الى روضة | يجلو بها العاني صدا همه
نسيمها يعثر في ذيله | وزهرها يضحك في كمه

« ويعجبني هنا قول ابن النبيه »

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر | ودب عذار الظل في وجنة النهر

« ومن البديع الغريب في هذا الباب قول ابن سناء الملك »

سرى طيفه لا بل سرى لى سرابه | وقد طار من وكر الظلام غرابه
أتت مع نقس الليل صفحة وجهه | فقلت حبيبي قد أتاني كتابه

« ومنه قوله »

بشوك القنا يحمون شهد رضابها | ولا بد دون الشهد من ابر النحل

« ومنه قوله »

القى حبائل صيد من ذوائبه | فصاد قلبي باشراك من الشعر

« وأبدع منه وأغرب قوله »

خصر ادير عليه معصم قبلة | فكأن تقبيلي له تعنيق

« والغاية التي لا تدرك في هذا الباب قوله »

بعثت لي على فم الطيف قبله | فأتاني يعض المسرة جمله

« ومن الاستعارات الحسنة قول شمس الدين بن العفيف في مديح النبي صلى الله

عليه وسلم »

حياك يا تربة الهادى الرسول حيا بمنطق الرعد بادمن فم السحب

« وقال ابن قلاقس وأجاد »

هدتنا للسرور نجوم راح بها قذفت شياطين الهموم
وكف الصبح يلقط ما تبدى بجيد الليل من درر النجوم

« قلت » ويعجبنى فى الاستعارات المرشحة قول ابن أسعد الموصلى يتشوق الى دمشق المحروسة ويذكر أيامه بها

سقى دمشق وأياما مضت فيها مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه حوامل المزن فى أحشا أراضيها

« ومن بديع الاستعارات قول ابن زيدون من قصيدته المشهورة »

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

﴿ قد تقدم ﴾ ما صدرنا به من كلام العرب فى الغزل ولكن الميل الى زخارف المتأخرين اطلق عنان القلم الى هذا الاستطراد ﴿ وقد تعين ﴾ ان نشرع فى تكميل ما سبقوا اليه اذهم ولاة هذا الشأن والسابقون الى حلبة هذا الميدان ثم بعد ذلك نذكر ما زخرفه المتأخرون بعدهم من بديع الغريب فى كل نوع لا أتقيد بنوع واحد ولا بتقديم متأخر وتأخير متقدم قيل أمدح بيت قالته العرب «قول أبى الطمحان القينى »

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه

«وقيل بل قول جرير »

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

« وقال الاصمعى بل قول حسان بن ثابت »

يغشون حتى ما تهر كلابهم　　　لا يسألون عن السواد المقبل

«قلت» وأحشم المدائح قول حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم

ما ان مدحت محمداً بمقالتي　　　لكن مدحت مقالتي بمحمد

﴿ ومن بديع مدائح العرب وغريبها قول العرندس أحد بني بكر بن كلاب ﴾

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا　　　ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم　　　مثل النجوم التي يسري بها الساري

﴿ ومنه قول الحطيئة ﴾

كسوب ومتلاف اذا ما سألته　　　تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو الى ضوء ناره　　　تجد خير نار عندها خير موقد

﴿ الاخينس الطائي ﴾

نزلت على آل المهلب شاتيا　　　غريبا عن الاوطان في زمن محل

فمازال بي اكرامهم وافتقادهم　　　وبرهم حتى حسبتهم اهلي

﴿ زهير بن ابي سلمى ﴾

فما كان من خير أتوه فانما　　　توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه　　　وتغرس الا في منابتها النخل

﴿ وقال يمدح هرم بن سنان المري وأجاد ﴾

اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله　　　ولكنه قد يهلك المال نائله

تراه اذا ما جئته متهللا　　　كانك معطيه الذي انت سائله

﴿ وقال آخر وأجاد ﴾

قوم اذا اشتجر القنا　　　جعلوا الصدور لها مسالك

اللابسين قلوبهم　　　فوق الدروع لدفع ذلك

﴿ ولبعضهم ﴾

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم	من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له	من النار فى الظلماء الوية حمرا

﴿ قال ابن الاعرابى وقول أبى نواس امدح شعر قاله المحدثون حيث قال ﴾

انت الذى تأخذ الايدى بحجزته	اذا الزمان على أنيابه كلحا
وكنت بالدهر عينا غير غافلة	من جود كفك تأسو كلما جرحا

﴿ مسلم بن الوليد ﴾

اعطى فاناى المنى ادنى عطيته	وأرهق الوعد نجحا غير مكدود
يجود بالنفس ان ضن البخيل بها	والجود بالنفس اقصى غاية الجود

﴿ ومن هنا ولد القائل وهو أبو تمام ﴾

ولو ان ما فى كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله

﴿ البحترى ﴾

ومصعد فى هضاب المجد يقرعها	كأنه لسكون الجاش منحدر
مازال يسبق حتى قال حاسده	له طريق الى العلياء مختصر

﴿ ابو نواس يمدح الفضل بن الربيع ﴾

قولا لهرون امام الهدى	عند احتفال المجلس الحاشد
انت على ما بك من قدرة	فلست مثل الفضل بالواجد
أوجده الله فما مثله	لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر	ان يجمع العالم فى واحد

﴿ مسلم بن الوليد يمدح المأمون وأجاد ﴾

بأبى وأمى انت ما اندى يدا	وأبر ميثاقا وما أزكاك
يغدو عدوك خائفا فاذا رأى	ان قد قدرت على العقاب رجاك

﴿ اشجع السلمى يمدح الرشيد ﴾

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا سلت عليه سيوفك الاحلام

﴿ العكوك يمدح أبا دلف ﴾

انما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على اثره

﴿ وقال فيه ايضا ﴾

الله اجرى من الارزاق اكثرها على يديك بعلم يا أبا دلف
ماخط لا كاتباه فى صحيفته كما تخطط لا فى سائر الصحف
بارى الرياح فاعطى وهى جارية حتى اذا وقفت اعطى ولم يقف

ابن شرف وأجاد

لمختلفى الحاجات جمع ببابه فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى وللمذنب العتبى وللخائف الامن

﴿ وقال يمدح على بن ابى الرجال الكاتب واجاد ﴾

جاور عليا ولا تحفل بحادثة اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد مل ء المسامع والافواه والمقل

﴿ المهلب بن الزبير وأجاد ﴾

ومن عجب ان السيوف لديهم تحيض دماء والسيوف ذكور
واعجب من ذا انها فى اكفهم تؤجج نارا والاكف بحور

﴿ الواوا الدمشقى يمدح سيف الدولة بن حمدان ﴾

من قاس جدواك بالغمام فما انصف فى الحكم بين شكلين
انت اذا جدت ضاحك ابدا وهو اذا جاد هامل العين

﴿ ابو بكر بن اللبانة واجاد ﴾

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى　　فلم أستطع من أرضهم طيرانا

﴿ أبو الطيب المتنبي ﴾

هم المحسنون الكر في حومة الوغى　　وأحسن منهم كرهم في المكارم

ولولا احتقار الاسد شبهتها بهم　　ولكنها معدودة في البهائم

« قلت » قول بديع الزمان ابدع في هذا المعنى وأكثر فوائد « وهو »

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا　　لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت　　والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

﴿ السري الموصلي ﴾

نسب اضاء عموده في رفعة　　كالبدر فيه ترفع وضياء

وشمائل شهد العداة بفضلها　　والفضل ماشهدت به الاعداء

﴿ ابو الفتح كشاجم ﴾

ياسيد العرف اسرارا واعلانا　　ومتبع البر والاحسان احسانا

اقلع سحابك قد غرقتني مننا　　ماأد من الغيث الا كان طوفانا

﴿ وأحسن منه قول ابن نباتة السعدي ﴾

ان كنت ترغب في بذل النوال لنا　　فاخلق لنا رغبة أولا فلا تنل

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله　　تركتني اصحب الدنيا بلا امل

﴿ واختصره ابو العلاء في بيت واحد وأجاد ﴾

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم　　والعذب يهجر للافراط في الخصر

﴿ ولله در القائل ﴾

فتى دفعوا بخل الزمان بجوده　　ولا طيب الا دفعك الضد بالضد

﴿ السلامي يمدح عضد الدولة وقد تقدم بما قاله على من تقدم واعجز والله من تأخر ﴾

اليك طوى عرض البسيطة جاعل　　قصار المطايا ان يلوح لها قصر

و بشرت آمالي بملك هو الورى　　ودار هي الدنيا و يوم هو الدهر

« وقد » اخذ القاضي ناصح الدين الارجاني هذا المعنى وسبكه في قوله

ياسائلي عنه لما ظلت امدحه　　هذا هو الرجل العاري من العار

لو زرته لرأيت الناس في رجل　　والدهر في ساعة والارض في دار

﴿ فالارجاني ﴾ اخذ المعنى بكماله ولكنه قصر عن رشاقة بيت السلامي وطلاوته

« وقد » استعمل ابو الطيب المتنبي ايضا هذا المعنى ولكن لم يكمله حيث قال

هي الغرض الاقصى و رؤيتك المنى　　ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وكان عضد الدولة يقول اذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت ان عطاردا قد نزل من الفلك و وقف بين يدي ﴿ ابو الحسن البديهي وأجاد ﴾

عممت الورى بالبر حتى كأنما　　تردعليهم من لهاك غصوب

وعرفتهم طرق الثناء فكلهم　　على طبقات شاعر وخطيب

رأى المزن ما تعطي فضم على الاسى　　فؤادا كان البرق فيه لهيب

وكم لاح برق وابتسمت لشائم

فكنت صدوق الوعد وهو كذوب

﴿ ابو الفتح البستي وأجاد ﴾

مدحتك فالتامت قلائد لم يفز　　بأمثالها صيد الملوك الاعاظم

لانك بحر والمعالي لآلئ　　وطبعي غواص وشعري ناظم

﴿ وقال واجاد ايضا ﴾

لا تظنن بي و برك حي　　ان شكري كشكر غيري موات

أنا ارض و راحتاك سماء　　والايادي و بل وشكري نبات

﴿ مهيار الديلمي وأجاد ﴾

واذا الاباء لم قال لك انتقم — قالت خلالقك الكرام لك احلم
شرع من المجد انفردت بدينه — وفضيلة لسواك لم تتقدم
حتى لقد ود البرىء بأنه — ادلى اليك بفضل جرم المجرم

﴿ واعجبنى من حماسة ابى تمام قول القائل الى الغاية ﴾

لست بكفى كفه ابتغى الغنى — ولم أدر ان الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما افاد ذو الغنى — افدت وأعدانى فأتلفت ما عندى

« قلت » واعجبنى ايضا من حماسة ابى تمام قول الفرزدق حين قال الشامى لهشام بن عبد الملك عن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم وقد دخل الحرم من هذا الذى اعظمه الناس وفرجوا له عن استلام الحجر الاسود فقال لا أدرى « فقال » الفرزدق لله دره أنا اعرفه فقال الشامى من هذا يا أبا فراس « فقال الفرزدق »

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم — هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم — الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته — ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
ماقال لا قط الا فى تشهده — لولا التشهد كانت لاؤه نعم
اى القبائل ليست فى رقابهم — لاولية هذا اوله نعم
بكفه خيزران ريحه عبق — بكف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته — فما يكلم الا حين يبتسم

﴿ الارجانى يمدح المسترشد بالله ﴾

ملك يقود جنودا من ملائكة — فى طاعة الله لا يعصون ما امرا
قوم اذا غرسوا بين الضلوع قنا — عادت حوامل من هام العدا ثمرا

﴿ وقال مثله واجاد ﴾

وار يتهم اعجاز يوم حفيظة ... لم يبق صدق الضرب فيهم مطعنا
زرع الطعان فسنبلت فى ساعة ... من هامهم وشعورهم سمر القنا

﴿ ومن غرائب القاضي الفاضل هنا ﴾

الله جارك والآجال كاشرة ... من القواضب فى عضل الثنيات
وقد تداعت بها الابطال واعترفت ... والطعن بينهم مثل التحيات
وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت ... كالشرب حين تهادى بالزجاجات

﴿ ومن بديع غريبه قوله ﴾

اهذه سير فى المجد اوسور ... وهذه انجم فى السعد ام غرر
وانمل ام بحار والسيوف لها ... موج وافرندها فى الجهاد رر
وانت فى الارض ام فوق السماء وفى ... يمينك البحر ام فى وجهك القمر
يقبل البدر ترباً انت واطئه ... فللتراب عليه ذلك الاثر

« منها »

نأى به الملك حتى قيل ذا ملك ... دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
فى كل يوم لنا من مجده عجب ... وكل ليل لنا من ذكره سمر
نظرت فى نجمه فالسعد طالعه ... لا ينقضي وعلى امواله سفر
اباالفوارس والآباء مشفقة ... وهم بنوك ولا تبقي ولا تذر
وانت فى جيش راى لاغبار له ... ترمى العداة بقوس ماله وتر
سقى بك الله دنيانا فأخصبها ... والعدل يفعل مالا يفعل المطر
لما استقلت ستور الملك لاح لنا ... منك به الجود عين والثنا اثر
نال السماء باطراف القنا فبدت ... من النصول عليها انجم زهر

« منها »

لا يحدث النصر في أعطافهم مرحا حتى كأنهم بالنصر ما شعروا

« قلت » السابق الى هذا المعنى كعب بن زهير في قصيدته النبويه ﴿ وهو قوله ﴾

لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسو مجازيعا اذا نيلوا

﴿ ولكن ﴾ تفضيل الفاضل والله أعلم فاضل ﴿ ومن قصيدة الفاضل قوله ﴾

ترى غرائب من أفعال مجدهم يردها الفكر لولم يشهد النظر

﴿ ومثله في بديع الغريب قوله ﴾

اهذا كفه ام غيث غوث ولا بلغ السحاب ولا كرامه

وهذا بره ام لمع برق ومن للبرق فينا بالاقامه

وهذا الجيش ام صرف الليالي ولا سبقت جواريها رجامه

وهذا الزهر ام عبد لديه يصرف عن عزيمته زمامه

وهذا نصل غمد ام هلال اذا أمسى كنون أوقلامه

وهذا الترب ام خد لثيم فآثار الشفاه عليه شامه

وهذا الدر منثور ولكن أروني غير أقلامي نظامه

وهذي روضة تندي وسطري بها غصن وقافيتي حمامه

وهذا الكاس روق من بناني وذكرك كان من مسك ختامه

﴿ ومثله في الحسن قوله ﴾

المضرمون لنار الحرب ليس لها الا الرماح واضلاع العدا حطب

والشاربون كؤس الموت مترعة وللاسنة في حافاتها حبب

﴿ وقال من مديح قصيدة طائية وأجاد ﴾

أما الثريا فنعل تحت أخمصه وكل قافية قالت لذلك طا

﴿ ومثله في الحسن قوله ﴾

يقول ولوان الليالي خصومه ويمضي ولوان النجوم مطالبه

وقد خفقت راياته فكأنها　　أنامل فى عمر العدو تحاسبه

﴿ ومن غريب تحمس ابن هانئ فى مدائحه قوله ﴾

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر　　وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا　　بالنصر من ورق الحديد الاخضر
ابنى العوالى السمهرية والسيو　　ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه　　تحت السوابغ تبع فى حمير

﴿ قيل ﴾ انه لما تجاهل فى هذا البيت عن معرفته ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذ هو ملكهم وهذه القصيدة سارت بمحاسنها الركبان منها

فى فتية صدأ الدروع عبيرهم　　وخلوقهم علق النجيع الاحمر
وتظل تسبح فى الدماء قبابهم　　فكأنهن سفائن فى ابحر
حى من الاعراب الا انهم　　يردون ماء الامن غير مكدر
لى منهم سيف اذا جردته　　يوما ضربت به رقاب الاعصر
فغمامه من رحمة وعراصه　　من جنة ويمينه من كوثر

﴿ ويعجبنى من هذا الباب قول ابن النبيه ﴾

ملك زمام الزمان فى يده　　فاختلفت كاختلاف الوانه
بيضاء يوم انطلاق أنعمه　　حمراء يوم اعتقال مرانه

﴿ ومثله فى الحسن قوله ﴾

حملت أنامله السيوف فلم تزل　　شكر الذلك سجدا أو ركعا
حلت فلا برحت مكانا لم يزل　　من در افواه الملوك مرصعا

﴿ ومثله قوله ﴾

سل عن مواقف بأسه لما التقت　　يوم الهياج كتائب بكتائب
لمعت أسنته على أعلامها　　فكأنها شهب ذوات ذوائب

تهوى الملوك الى التثام ترابه　　فثغو رهم كالدر بين ترائب

﴿ وقال وأجاد ﴾

ملك اذا ضاق الزمان باهله　　بخلا توسع فى المكارم وانفسح
تكبو السحائب اذ تجارى كفه　　فالغيث فى جنباتها عرق رشح
وتكلف الاسد الهصور بعدله　　فى الفقران يرعى الغزال اذا سنح
كم من خطيب ذاكر غير اسمه　　لما تنحنح قال منبره تنح
ذكروا سواه فنبهوا عن فضله　　بيت الكريم دليله كلب نبح

﴿ وقال ﴾

صحت له كيمياء الحمد اذ سبكت　　يمناه للبذل اكسيرا من الذهب

﴿ ومن بديع شيخ شيوخ حماة هنا قوله ﴾

اذا اعتقل السمر العوالى عاقه　　بها العس عن كل الى وليناء
وأفنى العداضربا وطعنا كانما　　ترددوفيهم تلجلج فأفاء

﴿ ومن لطائف ابن قلاقس هنا قوله ﴾

ملك اذا ركع الحسام بكفه　　لم يلتفت الا الرأس ساجد
شيم تقسمت المكارم فاغتدت　　فرح الولى ورغم أنف الحاسد
غصب الكواكب وصفها فلجده　　فى صورة المريخ ظرف عطارد
ذو العضب والعذب اللذين تكفلا　　قطع الوريد ووصل رى الوارد
ركبوا الجياد الجرد واعتقلوا القنا　　فكأنهم اسد سطت بأساود

﴿ ومن ذلك قوله ﴾

يافارس الاسلام حين ترجلت　　فرسانه وتجادلت عن نصره
والصارم الذكر الذى افتضت به　　من خلف ستر النقع عذرة بكره

﴿ وقال ﴾ من القوم ماغير الظبا البيوتهم　　أسامى ولاغير الذوابل اركان

اذا جردوا بيض السيوف فمالها سوى ارؤس الصيد البهاليل اجفان
ولست ترى فى محكم الذكر سورة تقوم مقام الحمد والكل قران
* فلله منهم واحد بين قومه وهم بين احياء القبائل وحدان

﴿ ومن لطائف ابن سناء الملك هنا قوله ﴾

يا فالق الصبح من سيف براحته انت الذى فلق الهامات بالفلق
فكم تركت بها كفا بلا عضد وقد توسدها رأسا بلا عنق

﴿ وقال ﴾ نأتى بأنواع فكر فيه مبتكر لكن معاليه تأتينا بأجناس
نلقى تراب مواطيه بأعيننا وتحسد الرجل فيه قمة الراس
كانما الكف فيه مثل مصحفه واللثم فيها كاعشار وأخماس

﴿ وقال من بعض مدائحه فى القاضى الفاضل ﴾

فى الناس جود ولكن جود راحته اربى عليهم وليس البحر كالنهر
تصنعوا وأتت طبعا مواهبه تعطل البدو احلى من حلى الحضر
والدهر مد اليه كف مفتقر قد للدهر منه لحظ محتقر
ذاك الاجل وان يحك الورى شبها فالمسك كالطين فى الالوان والصور
* فى كفه قلم ان شئت أو قدر يصرف الخلق بين النفع والضرر
منه الطروس حدود والسطور بها مثل السوالف والطرات كالطرر
« منها » حبى صحيح وغيرى حبه كذب انى جهينة فاسألنى عن الخبر
« وقال » تفنن فى اعطائه لعفاته فلو سالوه المجد اعطاهم المجدا
ولا عيب أيضا فى مآثر بيته سوى انها تروى بألسنة الاعدا
اقول لهذا الدهر ته واستطل به فحسبك فخرا أن تكون له عبدا
« وقال »
أخو فتكات لا تزال سيوفه تخط سطور النصر فى جبهة الكمى

فقـد ارسلت حتفا الى كل كافـر ... كما أرسلت فتحا الى كل مسـلم
وأصبح يعدى السيف تصميم عزمه ... فمن ذاك سمى بالحسام المصمم
وأسـهمه فى صـدر كل مـدرع ... فما الدرع منها غير بردمسهم

« منها »

رأيتك بحرا أطبق الارض مده ... فلم يبق عندى رخصة فى التيمم
فخـذها فقدجاءتك من متأخر ... مجيـد وليس الفضل للمتقـدم

« وقال »

وخاض بهم فى البر بحرا من الردى ... طرائقـه سود وأمواجـه حمر
فأقرب شئ بعـدر ؤيتـه الغنى ... وأبعـد شئ بعدر ؤيته الفـقر
ولاعيب فى انعـامـه غـيرانه ... يعلم منـه كيف يستعبد الحر
جرى الناس فى آثاره فتعثروا ... ومن قبلهم ريح الجنائب والقطر

﴿ ومن المدائح المخمسة لابن النبيه فى الاشرف ﴾

امام جيشك انى سار أربعة ... نصـل ونصر وآراء و رايات
وتحت غيل القنا فرسان معركة ... لهـا ثبات وفى الهيجاء وثبات
أهـلة فى سماء من مغافرها ... لهـا الترائك أفلاك وهالات
«منها» صفائح هى اذدب الفرندبها ... صحائف كتبت فيها المنيات
انمس شمس الضحى من لمعها رمد ... كحلتها بالعجاج الاعوجيات
أين المفر لسرب الروم من أسد ... ضـارله من رماح الخط غابات
دمياط طور ونارا الحرب موقدة ... وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلقف كل ماصنعوا ... ولاتخف ماحبال القوم حيات
أصبتهم بسهام الحرب من حلب ... وللمكايد من بعـد إصابات
فطهر الله ذاك الثغر من قلح ... أصـابه وانجلت تلك الثنيات

لله من ثغر دمياط و برزخها ... فتح له تفتح السبع السموات
يوم على الروم تنشي ريحه سحبا ... أمطارهن مصيبات مصيبات
تخاق البحر ذاك اليوم من دمهم ... والموج ترقصه فيه المسرات

« ومما » نسجته على هذا المنوال الذى يعجز الحريرى طرحه قولى من قصيدة بديعة غريبة امتدحت بها المقر الاشرف السيفى تمر بغا الافضلى ولعمرى ان رواة الركبان سارت بحديث محاسنها

ان ابرقت فى سما الهيجا صوارمه ... رأيت غيث دما الابطال قد مطرا
فمن رأى منهم برقا يلوح له ... يظنه سيفه الماضى قد اشتهرا
له مطالعة فى الحرب حين يرى ... دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا
ان أرسل القوم انشا فى رسائله ... سجعات ضربتها الهامات قد نثرا
كتابه السيف والخطى له قلم ... والرسل اسهم حتف توضح الخبرا
ان كان قد نظم الاعدا مكايدتهم ... فقل لهم انه من قبلهم شعرا
لانه ببديع السيف لف لذا ... شملا ولكن لا رقاب العدا نشرا
وخط من فوق الواح الصدور لهم ... بابا من الخوف فى أحشائهم وقسرا
وصار يكتب بالهندى و يعجم بال ... خطى فصل شجاع قد قرا ودرى
تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا ... و بالتريكة غصنا حاملا قمرا
ان حن عود لضرب مال سامعه ... والخيل يرقصها ان حرك الوترا
كانما الهام احداق اضر بها ... سهد وأسيافه فى الحرب طيب كرى
وعند ما اعتقل الخطار قيل لهم ... ولوافانا نرى خطاره خطرا
ياأيها الملك الممدوح والبطل ال ... محمود فى الحرب ياجبر المن كسرا
أذكرتنا لعلى فى وقائعه ... وفى الفتوحات قد أذكرتنا عمرا
بالامس فى حصن سيواس تجمعت ال ... لاحزاب نحوك لما ان اتوا زمرا

فاذكروا ناسيا ما نأوا وقد نفروا ... كالنمل من خوفهم يا آية الشعرا
جاؤا بعين ليقفوا منكم اثرا ... فما تركت لهم عينا ولا أثرا
وعندما أعربوا عن رفع مبتدا ... فى الحرب صيرتهم بين الورى خبرا
صدمتهم بجنان لو صدمت به ... صدر الصباح عقيب الليل ما سفرا
وكم علوت بنهد فوق صدر فتى ... كلمته بلسان السيف مختصرا

وحين أوكبت بالشهباء جمعت الشقراء شوقا عساها بالشآم ترى

وقد دخلت حماة فهى قد حميت ... يا برد قلبى بعزم قط ما فترا
وقد تحسر عاصيها وخر لكم ... طوعا وساق الجوارى نحوكم وجرى
ومذ صعدت بحمص يوم وقعتها ... حجبت اعداك حتى ركبهم نفرا
تركتهم لسيوف الهند اضحية ... لما غدوا لك يا ليث الوغى بقرا
وفى طواف وداع الروح يوم وغى ... صيرت كل شجاع يلثم الحجرا
غزوتهم فى ربيع قد تلونت الـ ... ـكثبان فيه ولكن ربعهم صفرا

﴿وقلت من قصيدة﴾

له راحة فى السلم تقطر بالندى ... ونيرانها فى موقف الحرب ما تصلى
امام محاريب يبلغ ضربه ... وان ركعت اسيافه تسجد القتلى
وكم عقدوا للحرب عقدا وأوثقوا ... عراه فأبدى نقضه عندما حلا
وكم رمدت عين الغزالة فى الوغى ... فصير من نقع الجياد لها كحلا
وكم حلم الاقران خوفا بذكره ... فاوجب من فيض الدماء لهم غسلا
اقام فروض الحرب منسن سيفه ... قواضب منها الخمس لما بها صلى
واعجب من ذا ان عدل قناته ... غدا اليوم فى تجريحه شاهدا عدلا
فلو احربه لما شواهم بناره ... وا كبادهم من داخل الصدر قد سلا
وكم مال للتذبيح ابيض سيفه ... بأحمر من قانى دماهم وما كلا

وكم من عيش القوم مذ سكبت الدما ... واسيافه من ذلك السكب قد حلى
اقام لنا سوق القتال مسعرا ... فما ارخص الاسرى وما اكثر القتلى
وجلى ظلام النقع صبح سيوفه ... وعظم قدرا فى الحروب وقد جلا
لحى الله حرباً لم يكن قلب جيشها ... وعين شجاع لا يكون لها مقلا
له فرس كالنجم فى اثر مارد ... كان هلال الافق صار لها نعلا
اذا ما علا من فوق افلاك ظهرها ... تقل ان بدر التم فى افقه جلا
سرى مثلا فى الشرق والغرب ذكره ... وعلاه قدرا من له المثل الاعلى
فيا ملكا يهوى الحروب ولم يهم ... بقد ولا خد ولا مقلة كحلا
نصبت على هام السماك مخيما ... مديدا ورب العرش قد اسبغ الظلا

﴿ ولما خذل الله عصابة الفرنج بساحل طرابلس المحروسة على يد المقر الاشرف الكافلى السيفى دمرداش الخاصكى سنة تسع وثمانمائة كتبت الى ابوابه العالية من حماة المحروسة ﴾

قرأت نهار الحرب فى سورة النصر ... وأعداك تتلو فى التغابن والحشر
اذا جاء نصر الله والفتح زلزلت ... عداك برعد الخوف يا ملك العصر
بنو الاصفر اسودت وجوه ليوثهم ... وفى اسود البحر ارتدوا بالدما الحمر
نثرت رقاب القوم مع نظم شملنا ... بحق لقد ابدعت فى النظم والنثر
وفى قطع كالليل لما اتوا تلت ... سيوفك فى ظلمائه سورة الفجر
بسطتهم فى البحر ثم كسرتهم ... نعم انت عين الدهر فى البسط والكسر
وسكنتهم بالسيف فى كل ساحل ... فلم يقر بوا من بعدها ساحل البحر
وطارت بهم غربانهم منك خيفة ... وهل لغراب قدرة بلقا النسر
ومذ عربدوا فى السكر فى حانة الوغى ... اذقتهم بالحد عاقبة السكر
وكم كشروا انيابهم فتلمظت ... سيوفك مثل اللسن من داخل الثغر

وهيجتهم خوفا بصدق عزائم ... كانك فى الهيجاء نوع من السحر
وازعجتهم لما شققت صدورهم ... وازعجت ردالعجز منهم على الصدر
وصح الهنا من اهل مصر بكسرهم ... كما استبشروا من نيلهم ساعة الكسر
وامنتنا بالشأم من بعد خوفنا ... وجاء الهنا من حيث ندرى ولا ندرى
وطيبة طاب العيش فيها لاهلها ... وهب نسيم القرب من ذلك القبر
وحصن حماة انت انت حميته ... بعزمة ليث لم يخف سطوة الدهر
رددت ملوك الارض عنه مخيفة ... تقول وحق العصر انالفى خسر
اطاعك عاصيها ولكن لهم عصى ... فسائلهم ماردالامن النهر
وكم صمموا فى أخذها وتجاسروا ... وامنعتهم ان يقربوا طرف الجسر
وعندك لما زاد جمعهم غدت ... زيادته فى الحرب كالواو فى عمرو
وكم قائل لولا اشاهد فى الوغى ... فعائله ما كان صدقها فكرى
تجر العدا جهر الخفض رؤسها ... سيوفك حتى خلتها احرف الجر
وهذى قسى الحرب امسى ركوعها ... لديك ولم تبرح ملازمة الوتر
وتهتز اغصان القنا بك فرحة ... فهل راجعت ايامها فى ربا الزهر
ابالهب يكنى سنانك فى الوغى ... وتبت يدا الاعداء منه الى الحشر
به تزجر الاقران قبل قرانه ... فقل لبنى لهب كذا صنعة الزجر
سنان منير يا حيا الصبح ان بدا ... طويل لسان وهو مع انه جرى

﴿ ومن المخترعات الغريبة أيضا قولى من قصيدة امتدحت بها مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله من غيث الرحمة ثراه ﴾

ياحامى الحرمين والاقصى ومن ... لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر ... هذا ومافى العالمين مناظر

فرج على اللجون نظم عسكرا ... واطاعه فى النظم بحر وافر
فابنت منه زحافه فى وقفة ... يامن بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم ... دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة ... فكأن هاتيك السروج مقابر

« ومن غريبها أيضا قولى »

واذا مددت يراع رمحك ماله ... الا قلوب الدارعين محابر
ونعال خيلك كالعيون ومالها ... الا جماجم من قتلت محاجر
وكتبت بالهندى فيهم اسطرا ... وصدورهم تحت الدروع مساطر

« منها »

واذا سفرت بأفق موكبك الذى ... عما حواه ملك قيصر قاصر
قلنا لاقمار السماء وقد بدت ... هذا هو البدر المكمل سافر

« منها »

والله بعدك لست امدح فى الورى ... ملكا ولا ملكا ولا انا شاعر
لكن ختامى ختم مدحك انه ... مسك تضوع منه نشر عاطر
لازلت فى مصر عزيزا حاكما ... والشأم واديها بعدلك زاهر

﴿ وكتب صاحب الاندلس الى صاحب تونس قصيدة دالية يخمس فيها واستحثه بها على خلاص سبتة من الفرنج ومطلعها ﴾

حماة الهدى سبقا وان بعد المدى ... فقد سألتكم نصر هاملة الهدى

« وورد » قاصد صاحب تونس يسأل المبد الجواب عن هذه القصيدة « فكتبت »

أجابكم عزم سبقنا به الندى ... وأسيافنا والله كذبت الصدى

« ومن بديع الغريب قولى منها »

اذا ما ثنى السمهرى بقده ... عليهم تراه صيرا الجمع مفردا

وسال عذار السيف فوق خدودهم فاظهر بعد الشيب خدا مورّدا

وكم زردقد فك فوق مسيله الى ان رأيناه عذارا من ردا

وأظهر اعرابا لنا بيمينه بليغا فقلنا لم يكن ذا مهندا

وقد هاج بحر الآل والخيل موجه ولكنه بالشهب قد صار مزبدا

« منها »

وصم الحصى كالشمع تحت نعالها وقد أعرضت ممن أتاها مفندا

« ومن بديع الغريب فى مدائحى المؤيدية قولى »

وما تأخرت عن قوم طغوا و بغوا الا ومنك اليهم سارت الهمم

هامت بسيفك أرواح العدا فاذا جردته حن منهم مهجة ودم

وفارقت كل روح جسم صاحبها كانما مسها من جسمه الم

« ومن الغريب الذى يجب تأهيله قول ابى الطيب المتنبى من قصيدة »

له أيادالى سابقة اعدمنها ولا اعددها

« منها فى المدح المحمس الغريب »

تبكى على الانصل الغمود اذا أنذرها أنه يجردها

لعلمه انها تصير دما وانه فى الرقاب يغمدها

« ومن بديع الغريب قوله من غيرها »

يعطيك مبتدئا فان أعجلته يعطيك معتذرا كمن قد اجرما

نصر الفعال على المطال كانما خال السؤال على النوال محرما

« ومن المرقص فى هذا الباب قوله »

ياذا الذى يهب الكثير وعنده أنى عليه بأخذه اتصدق

امطر على سحاب جودك كثرة وانظر الى برحمة لا أغرق

« وقال من غيرها »

يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم ... أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

« ومن بديع الغريب قوله »

تحرج عن حقن الدماء كأنه ... يرى قتل نفس ترك رأس على جسم

« منها وأجاد »

وثقنا بأن تعطى فلو لم تجد لنا ... لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم

« ومنها »

وأطمعتنى فى نيل ما لا أناله ... بما نلت حتى صرت أطمع فى النجم

« وقال من قصيدة »

وظنونى مدحتهم قديما ... وأنت بما مدحتهم مرادى

« قلت » هذا المعنى سبقه اليه ابو تمام وهو اسجم واقعد فى التركيب « وهو »

وان جرت الايام يوما بمدحة ... لغيرك انسانا فانت مرادى

« وقال ابو الطيب من قصيدة »

محبك حيثما اتجهت ركابى ... وضيفك حيث كنت من البلاد

« قلت » هذا البيت ركبت عليه من قصيدة ابى تمام بيتا فصدرتهما فى بعض ترسلاتى فسارت بمحاسنهما الركبان وعدوهما من المرقص والمطرب « والبيت »

وما سافرت فى الآفاق الا ... ومن جدواك راحلتى و زادى

« و يعجبنى قوله من قصيدة »

وهبك سمحت حتى لا جوادا ... فكيف علوت حتى لا رفيعا

« وقال من قصيدة »

قوم بلوغ الغلام عندهم ... طعن نحور الكماة لا الحلم

كأنما يولد الندى معهم ... لا صغر عاذر ولا هرم

اذا تولوا عداوة كشفوا ... وان تولوا صنيعة كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم ... انهم انعموا وما علموا

« وقال فى حسن ختامها وأجاد »

اعيذ كم من صروف دهركم ... فانه فى الكرام متهم

« وقال من غيرها وأجاد »

عمر العدو اذا لاقاه فى رهج ... أقل من عمر ما يحوى اذا وهبا

وكلما التقى الدينار صاحبه ... فى ملكه افترقا من قبل يصطحبا

« ومن مديحها المخمس قوله وأجاد »

مبرقعى خيلهم بالبيض متخذى ... هام الكماة على ارماحهم عذبا

« منها » مكارم لك فقت العالمين بها ... من يستطيع لامر فائت طلبا

« وقال من قصيد »

تلذ له المروءة وهى تؤذى ... ومن يعشق يلذ له الغرام

تعلقها هوى قيس لليلى ... وواصلها فليس به سقام

يروع ركانة ويذوب ظرفا ... فما ندرى أشيخ أم غلام

أقامت فى الرقاب له اياد ... هى الاطواق والناس الحمام

اذا عد الكرام فتلك عجل ... كما الانواء حين تعد عام

ولو يممتهم فى الحشر تجدو ... لاعطوك الذى صلوا وصاموا

« و يعجبنى قوله فى ختامها »

لقد حسنت بك الايام حتى ... كأنك فى فم الدهر ابتسام

« وقال من قصيد »

فياعجبا منى أحاول نعته ... وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

« ولقد أجاد فى حسن ختامها بقوله »

وذنبى تقصيرى وما جئت مادحا ... بذنبى ولكن جئت أسأل ان تعفو

« و يعجبنى قوله من غيرها »

وأقسم لولا ان فى كل شعرة | له ضيغما قلنا له أنت ضيغم
يجل عن التشبيه لا الكف لجة | ولا هو ضرغام ولا الراى مخذم
سنى العطايالو رأى نوم عينه | من اللوم آلى انها لا تنوم

« ولقد أجاد فى حسن ختامها بقوله »

فعش لوفدى المملوك ربا بنفسه | من الموت لم تفقد وفى الارض مسلم

« وقال من غيرها واجاد»

و ر بيعا يضاحك الغيث فيه | زهر الشكر فى رياض المعالى
نفحتنا منه الصبا بنسيم | ردر وحا فى ميت الآمال

« وقال من غيرها » يكاد من طاعة الحمام له | يقتل من لا دناله اجل

يكاد من صحة العزيمة ما | يفعل قبل الفعال ينفعل
تعرف فى عينه حقائقه | كأنه بالذكاء مكتحل
اغرا عداؤه اذا سلموا | بالهرب استكثروا الذى فعلوا
يقبلهم وجه كل سابحة | أر بعها قبل طرفها تصل
والخيل تبكى جلودها عرقا | بأدمع ماتسحها المقل

« منها وأجاد الى الغاية» انك من معشر اذا وهبوا | مادون أعمارهم فقد بخلوا
قلوبهم فى مضاء ما امتشقوا | قامتهم فى تمام ما اعتقلوا

« و يعجبنى قوله من قصيدة »

وقالوا اهل يبلغك الثريا | فقلت نعم اذا شاء استفالا

« وقال وأجاد »

أعطى الزمان سخاءه فسخا به | ولقد يكون به الزمان بخيلا

منها وأجاد »

رقت مضـار به فهن كأنما ... يبدين من عشق الرقاب نحولا
قصرت مخافته الخطا فكأنما ... ركب الكمى جواده مشكولا

« وقال من غيرها وأجاد »

خير أعضائنا الرؤس ولكن ... فضلتها بقصدك الاقدام

« ولقد تلطف ماشاء حيث قال منها »

قد لعمرى أقصرت عنك وللوفـ ... ـد ازدحام وللعطايا ازدحام
خفت ان صرت فى يمينك ان تأ ... خـذنى فى هباتك الاقوام

« و يعجبنى قوله من غيرها »

أفعاله نسب لو لم يقل معها ... جدى الخصيب عرفنا العرق بالغصن

« وقال من غيرها وأجاد »

اثنى عليك ولو تشاء لقلت لى ... قصرت فالامساك عنى نائل

« وقال من غيرها »

ليس التعجب من مواهب ماله ... بل من سلامتها الى أوقاتها
عجبا له حفظ العنان بأنمل ... ماحفظها الاشياء من عاداتها
لو مر يركض فى سطور كتابة ... أحصى بحافر مهره ميماتها

«منها» أعيا زوالك عن محل نلته ... لاتخرج الاقمار عن هالاتها

«وله من غيرها وأجاد »

ومازلت حتى قادنى الشوق نحوه ... يسامرنى فى كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

« منها وأجاد »

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ... ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

« وقال من غيرها وأجاد »

وحق له ان يسبق الناس جالسا ... ويدرك مالم يدركوا غير طالب
ويحذى عرانين الملوك وانها ... لمن قدميه فى اجل المراتب

« السيفيات منها قوله من قصيدة »

أتحسب بيض الهند اصلك أصلها ... وانك منها ساء ماتتوهم
اذا نحن سميناك خلنا سيوفنا ... من التيه فى اغمادها تتبسم

« وقال من قصيد »

وكم رجال بلا ارض لكثرتهم ... تركت أرضهم جمعا بلا رجل

« وقال من قصيد »

وهل يشينك وقت كنت فارسه ... وكان غيرك فيه العاجز الضرع
من كان فوق محل الشمس موضعه ... فليس يرفعه شيء ولا يضع

« ويعجبنى قوله من قصيد »

له من كريم الطبع فى الحرب منتض ... ومن عادة الاحسان والصفح غامد
ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنت أن الدهر للناس ناقد

« ومن بديع الغريب قوله منها وأجاد »

نهبت من الاعمار مالو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد
فأنت حسام الملك والله ضارب ... وأنت لواء الدين والله عاقد

« وقال يخاطب سيف الدولة ارتجالا »

ان هذا الشعر فى الشعر ملك ... سار فهو الشمس والدنيا فلك
عدل الرحمن فيه بيننا ... فقضى باللفظ لى والحمد لك

« وقال من قصيد وأجاد »

اسير الى اقطاعه فى ثيابه ... على طرفه من داره بحسامه

« وقال من غيرها وأجاد »

القت اليك دماء الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب اجاب دم

« وقال من قصيد وأجاد »

وقفت وما فى الموت شك لواقف كانك فى جفن الردى وهو نائم

« منها » اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

« ومن بديع الغريب قوله فى الكافوريات »

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومآقيا

« منها وأجاد » اذا كسب الناس المعالى فى الندى فانك تعطى فى نداك المعاليا

« منها وأجاد » فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا لسائلك الفرد الذى جاء عافيا

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

« وقال من غيرها وأجاد »

كان كل سؤال فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب

اذا غزته اياديه بمسئلة فقد غزته بجيش غير مغلوب

« و يعجبنى قوله من غيرها »

القاتل السيف فى جسم القتيل به وللسيوف كما للناس آجال

« ومن مرقص الغريب ومطربه قوله من قصيد »

تجاوز قدر المدح حتى كانه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

« و يعجبنى قوله من قصيد فى ابن العميد »

ماسمعنا بمن أحب العطايا فاشتهى ان يكون فيها فؤاده

« وقال ابو الطيب فى بعض قصائده »

كان الهام فى الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم فما يخطرن الا فى فؤاد

« قلت » كنت اظن هذا المعنى من اختراعات المتنبي وأميل كل وقت الى تأهيل غريبه ثم تتبعته فوجدته قد اخذه من مواضع منها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها | نوماً ناخ بجفن العين يغفيها
بلهذم من هموم النفس صيغته | فليس ينفك يجرى فى مجاريها

« و يعجبنى قول ابن الساعاتى »

من معشر و يجل قدر علائه | عن ان يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كان زرق رماحهم | سر يحل سواد قلب العسكر

«وقال ابن عبدون واجاد»

كان عداه فى الهيجاذنوب | وصارمه دعاء مستجاب

﴿ ومما يجب تأهيله من غريب أبى تمام قوله فى مديح المعتصم من قصيدة ﴾

ان كان بين ليالى الدهر من رحم | موصولة أوذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها | و بين أيام بدر أقرب النسب

« وقال من غيرها فى أبى دلف »

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها | وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذى قار امالت سيوفكم | عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجد متى تقرنوا بها | محاسن أقوام تكن كالمعايب
مكارم لجت فى علو كانها | تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

« وقال من قصيد »

ولقد أتيتك صاديا فكرعت من | شيم ألذ من الزلال البارد
فمهدت لاسمك منزلا ومحله | فى الشعر بين شوارد وشواهد
فهو المراح لكل معنى عازب | وهو العقال لكل بيت شارد

« وقال من غيرها يمدح المأمون »

في دولة لحظ الزمان شعاعها ... فارتد منقلبا بعيني أرمد
من كان مولده تقدم قبلها ... أو بعدها فكأنه لم يولد
الله يشهد ان هديك للرضا ... فينا ويلعن كل من لم يشهد

« ويعجبني قوله منها »

مازال يمتحن العلا ويروضها ... حتى اتته بكيمياء السودد

« وقال من غيرها واجاد »

من ابيض لبياض وجهك ضامن ... حيث الوجوه مشوبة بسواد
قد كان مضر به يجالد متنه ... لو لم تسكنه بيوم جلاد

« وظريف قوله من قصيدة »

ومن شك ان البأس والجود فيهم ... كمن شك في أن الفصاحة في نجد

« وتلطف منها بقوله »

انخت الى ساحاتهم وركابهم ... ركابي وأضحى في ديارهم رفدي
فلم أغش بابا انكرتني كلابه ... ولم أتشبث بالوسيلة من بعد
فاصبحت لاذل السؤال أصابني ... ولا قدحت في خاطري لوعة الرد
فلو كان ما يعطيه غيثا لامطرت ... سحائبه من غير برق ولا رعد

يريد الناظم هنا ان ممدوحه لا يقدم وعد العطائه كما يتقدم البرق والرعد الغيث

« وقال من مديح أحمد بن المعتصم »

اقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء اياس
لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

« قلت » هذا الاعتذار من ابي تمام عن البيت الاول يعلم المتأدبين سلوك الادب في مدائح الخلفاء وعظماء الملوك فسقى الله تعالى ثراه على حسن ادبه

« وقال من قصيدة فى مدح المعتصم »

هو البحر من اى النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لوانه ثناهى لقبض لم تطعه أنامله

﴿ والثالث تقدم لكن جلاؤه هنا غير مكروه ﴾

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

« و يعجبنى قوله من قصيد »

بسط الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال

« وله من قصيد فى مديح المعتصم »

قد ارعت منه الحوائج رهبة بطلت لديها سورة الابطال

لولم يزاحفهم لزاحفهم له مافى صدورهم من الاوجال

« منها وأجاد الى الغاية »

خلط الشجاعة بالحياء فاصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

«ومنها» يوم أضاء به الزمان وفتحت فيه الاسنة زهرة الآمال

«ومنها» ما كان ذاك الهول اجمع عنده مع صبره الا طروق خيال

« وقال من غيرها وأجاد »

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا سكانها الارواح والاجسام

مسترسلين الى الحتوف كأنما بين الحتوف و بينهم ارحام

« وقال من غيرها »

شافهت أسباب الغنى بحمده حتى ظننت بأنها تتكلم

« وقال من غيرها »

اذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم

« و يعجبنى قوله من غيرها »

يكاد نداه يترك عديما ... اذا عادت يداه على عديم
تراه يذب عن شرف المعالى ... فتحسبه يدافع عن جريم

«ابن قلاقس» ان ترد علم حالهم عن يقين ... فالقهم يوم نائل أو قتال
تلق بيض الوجوه سود مثار ال ... نقع خضر الاكناف حمر النصال
حكموا اسائليهم فى نداهم ... حكم اسيافهم على الاقيال

« وقال ابو نواس فى المأمون »

اذا نحن اثنينا عليك بصالح ... فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة ... لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

« قلت » هذا المعنى اهل الشيخ جمال الدين بن نباتة غريبه فى مديح الملك المؤيد صاحب حماة المحروسة فجاء ابدع واغرب وابلغ « حيث قال »

من مخبر الملك المؤيد اننى ... لولاه ماسميت نفسى شاعرا
وحلفت لم امدح سواه لرغبة ... لكننى جربت فيه الخاطرا

﴿ ومن غريب المدح الذى يجب تأهيله لابى العلاء التنوخى ﴾

افاد المرهفات ضياء عزم ... فصار على جواهرها صقالا
وابصرت الذوابل منه عدلا ... فاصبح فى عواملها اعتدالا

« منها » اذا خفقت لغرتها الثريا ... توقت من اسنتها اغتيالا

«منها واجاد» اذا ما الغيم لم يمطر بلادا ... فان له على يدك اتكالا
ولو ان الرياح تهب غربا ... وقلت لها هلا هبت شمالا
واقسم لو غضبت على ثبير ... لازمع عن محلته ارتحالا
فان عشقت صوارمك الهوادى ... فما عدمت بمن تهوى اتصالا

« منها واجاد الى الغاية »

غرار اراه لسانا مشرفى ... يقول غرائب الموت ارتجالا

يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

﴿ويعجبني قوله من غيرها﴾

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ... والعذب يهجر للافراط فى الخصر

«منها وأجاد»

وقاسم الجود فى عال ومنخفض ... كقسمة الغيث بين النبت والشجر
ولو تقدم فى عصر مضى نزلت ... فى وصفه معجزات الآى والسور

﴿وقال وهو اجل من ان اقول له هنا وأجاد﴾

يقبل الرمح من حب الطعان به ... كانما هو مجموع من اللعس

«منها» فسنا الامور فلما نال رتبته ... من السادة سلمنا ولم نقس

﴿وقال من غيرها وأجاد﴾

اثني وخاف من ارتحال ثنائه ... على فقيد لفظه بكتابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت حبابه
ردت لطافته وحدة ذهنه ... وحشى اللثات أوانسا بخطابه
والنحل يجني المر من نور الربا ... فيصير شهدا فى طريق رضابه

«منها وأجاد» يامن له قلم حكى فى فعله ... أيم الفلا لولا سواد لعابه
عرفت جدودك اذ نطقت قطا الفلا ... نطق القطا فابان عن انسابه
وهززت اعطاف الملوك بمنطق ... رد المسن الى اقتبال شبابه

﴿ويعجبني قوله فى تقريظ قصيدة﴾

أيدفع معجزات الرسل قوم ... وفيك وفى بديهتك اعتبار
وشعرك لو مدحت به الثريا ... لصار لها على الشمس افتخار
كان بيوته الشهب السوارى ... فكل قصيدة فلك مدار

﴿ومن بديع تخمسه فى المدائح قوله﴾

يتهللون طلاقة وكلومهم ... ينهل منهن النجيع الاحمر
من كل من لولا تسعر بأسه ... لاخضر في يمنى يديه الاسمر

«ومن الغريب الذي يجب تأهيله قول السرى الرفاء من قصيد في مدح سيف الدولة»

ويجعل نشره نذرا لاعادي ... فيبعثه جنوبا أو شمالا
ولم ينذرهم مقة ولكن ... ترفع ان يصيبهم اغتيالا

« منها وأجاد »

وخيل كالوعول اذا تراءت ... رأيت قرونها السمر الطوالا

﴿ وقال في سيف الدولة من غيرها ﴾

امضى من القدر المحتوم صارمه ... الى النفوس وامضى منه حامله
اذا رمى بلدا منه بجائحة ... جرت اعاليه وارتجت اسافله

« وقال من غيرها »

يأسو جراح الزمان مقتدرا ... وليس يأسو الزمان ماجرحا
تجرى المقادير في الانام بما ... اثبت في بطن مهرق ومحا
يريك ما اهتز في أنامله ... مهندا بالغمام متشحا
رقت حواشي كلامه وذكت ... فلو تنسمت طرسه نفحا

« وقال من غيرها »

نسب أضاء عموده في رفعة ... كالصبح فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العدو بفضلها ... والفضل ماشهدت به الاعداء
فاذا عبست فصارم ومنية ... واذا ابتسمت فوعد وعطاء

« وقال من غيرها »

قوله في مواطن الحكم كهل ... ونداه في عنفوان الشباب

« منها وأجاد »

بخميس كأنما حجب الأفق وقد ثار نقعه بضباب
وكان اللواء فى الجو لما باشرته الصبا جناحا عقاب

«وقال من غيرها»

ثنى المديح اليه عطفه فثنى اعطافه منه فى وشي وديباج
أغر ما احتكمت يمناه فى نشب الا تحكم فيه الآمل الراجى

«وقال من غيرها»

فى فتية رجحوا احلاما فان خطرت سمر العوالى أضحى كلهم هوجا
اذا علا الامر من أعدائهم جعلوا بيض السيوف على اعدائه درجا

﴿واخترت من يتيمة الدهر قول اسمعيل بن احمد الشاشي﴾

أنا المقيم وأشعارى على سفر كادت تؤلف اعلاما على السبل
سارت شوارد أوصاف الوزير بها سير الجنوب بصوت العارض الهطل
مابعده لشذور القول مدخر فى مقلة الريم أعلى بغية الكحل
ومابه حاجة فى أن أنظمه فالشمس تكبر عن حلى وعن حلل
لكنه ملك هامت عزائمه بالجود فهو يروم البذل بالحيل
ماقال لا قط مذ حلت تمائمه بخلا به فوجدنا الجود فى البخل
ومن يقود الاسود السود بالوعل ومن يصيد البزاة الشهب بالحجل
ومن بهم فلا يغزو سوى ملك ولا يفرق غير الملك فى النفل
ومن يبيت من الايام فى خجل ان لم يبت والليالى منه فى وجل

﴿ومن غريب بديع الزمان﴾

اياملكا ادنى مناقبه العلا وايسر مافيه السماحة والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخر سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى وان نحن حدثنا بها دافع العقل

﴿ ومن بديع الغريب قول ابن قلاقس فى الحافظ السلفى ﴾

كالبحر والكاف ان انصفت زائدة　　فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

« قلت » قد تقدم تصدير هذا الكتاب بالاغزال المحمسة وثنينا ذلك بالمدائح التى غالبها محمس وقد تعين ان نعززهما بثالث من الحماسة الخالصة بحيث يعزز رأس مال البارع فى صناعتى النظم والنثر وبالله المستعان ﴿ فالذى وقع عليه الاختيار من حماسة أبى تمام قول قريط بن انيف ﴾

قوم اذا الشر ابدى جذيه لهم　　طاروا اليه زرافات ووحدانا

﴿ قلت شتان بين قوم قريط و بين قوم القائل ﴾

فان تك اعدائى على تناصروا　　فما هو الا من تخاذل اخوانى

﴿ وقال جعفر بن علبة الحارثى ﴾

لهم صدر سيفى يوم بطحاء اسجل　　ولى منه ماضمت عليه الانامل

﴿ وقال أيضا ﴾

تقاسمهم اسيافنا شر قسمة　　ففينا غواشيها وفيهم صدورها

﴿ وقال بعض بنى قيس ﴾

اذا الكماة تنحوا ان ينالهم　　حد الظباة وصلناها بأيدينا

﴿ وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى وتروى للسموأل بن عاديا اليهودى ﴾

تعيرنا أنا قليل عديدنا　　فقلت لها ان الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا　　شباب تسامى للعلى وكهول

وماضرنا انا قليل وجارنا　　عزيز وجار الاكثرين ذليل

﴿ منها وأجاد ﴾

وانا لقوم مانرى القتل سبة　　اذا مارأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف انفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد السيوف نفوسنا ... وليست على غير الحديد تسيل

«منها» وننكر ان شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

اذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول

وما اخمدت نار لنا دون طارق ... ولا ذمنا في النازلين نزيل

وأيامنا مشهورة في عدونا ... لها غرر معلومة وحجول

وأسيافنا في كل شرق ومغرب ... بها من قراع الدارعين فلول

معودة ان لا تسيل نصالها ... فتغمد حتى يستباح قتيل

﴿ وقال الشميدر الحارثي ﴾

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فلسنا كمن كنتم تصيبون سلة ... فيقبل ضيما أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فينا مسلط ... فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا

وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا ... بني عمنا لو كان أمرا مدانيا

فان قلتم انا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا اسأنا التقاضيا

﴿ وقال وداك ابن ثميل المازني ﴾

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لاية حرب أم بأي مكان

﴿ وقال قيس بن زهير العبسي ﴾

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فان أك قد بردت بهم غليلي ... فلم اقطع بهم الا بناني

﴿ وقال يحيى بن منصور الحنفي ﴾

فلما نأت عنا العشيرة كلها ... انخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما اسلمتنا عند يوم كريهة ... ولا نحن اغضينا الجفون على وتر

﴿ وقال انيف بن الحكم النبهاني من ابيات ﴾

اذا نحن سرنا نحو شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه

﴿ وقال زاهد التميمي وأجاد من ابيات الزعفران ﴾

فطعنته والخيل في رهج الوغى ... نجلاء تنضح مثل لون الجادي

فكانما كانت مدى من حتفه ... لما انثنيت له على ميعاد

﴿ وقال بعثر بن لقيط الاسدي ﴾

اماحكيم فالتمست دماغه ... ومقيل هامته بحد المنصل

واذا حملت على الكريهة لم اقل ... بعد الكريهة ليتني لم افعل

﴿ وقال معبد بن علقمة من ابيات ﴾

فقل لزهير ان شتمت سراتنا ... فلسنا بشتامين للمتشتم

وتحمل أيدينا و يحمل رأينا ... ونشتم بالافعال لا بالتكلم

« قلت » هذا الذي وقع عليه الاختيار من حماسة أبي تمام و يقال ان احسن بيت قالته العرب « قول عنترة »

اذ يتقون في الاسنة لم أخم ... عنها ولواني تضايق مقدمي

﴿ وقيل بل قول قيس بن الحطيم ﴾

واني لدى الحرب العوان موكل ... باقدام نفس ما أريد بقاءها

﴿ وقيل بل قول عامر بن الطفيل ﴾

أقول لنفس لا يجاد بمثلها ... أقلي مراحا انني غير مدبر

﴿ وقيل بل قول عباس بن مرداس ﴾

أشد على الكتيبة لا أبالي ... احتفي كان فيها أم سواها

« قلت » بل أحسن من الجميع قول من قال وهو أبو الطيب

واذا لم يكن من الموت بد　　　فمن العجز ان تكون جبانا

« اقول » ومن محسنات ابي الطيب المتنبي التي أحرز بها قصبات السبق في هذا الميدان قوله

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي　　　ارتك احمرار الموت في مدرج النمل

امط عنك تشبيهي بما وكانما　　　فما احد فوقي وما احد مثلي

« وقال من غيرها »

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي　　　و بنفسي فخرت لا بجدودي

انا ان كن معجبا فعجب عجيب　　　لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندى و رب القوافي　　　وسهام العدا وغيظ الحسود

أنا في أمة تداركها　　　الله غريب كصالح في ثمود

﴿ وقال من غيرها وأجاد ﴾

يسابق سيفي منايا العباد　　　اليهم كأنهما في رهان

﴿ وقال من ابيات ﴾

امثلي تأخذ النكبات منه　　　و يجزع من ملاقاة الحمام

ولو برز الزمان الى شخصا　　　لخضب شعر مفرقه حسامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني　　　فويل في التيقظ والمنام

﴿ وقال وأجاد الى الغاية ﴾

جفتني كانى لست انطق قومها　　　واطعنهم والشهب في صورة الدهم

يحاذرني حتفي كأني حتفه　　　وتنكرني الافعى فيقتلها سمي

طوال الردينيات يقصفها دمي　　　و بيض السريجيات يقطعها لحمي

برتني السرى بري المدى فرددنني　　　اخف على المركوب من نفسي جرمي

كاني دحوت الارض من خبرتي بها　　　كان بنا الاسكندر السد من عزمي

﴿ويعجبني قوله من غيرها﴾

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش اخف منه الحمام
كل حلم يأتي بغير اقتدار ... حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت ايلام

«وقال وأجاد» واني لمن قوم كان نفوسنا ... بها انف ان تسكن اللحم والعظما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ... ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

﴿وقال من غيرها﴾

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده ... وضرب كأن النار من حره برد
اذا شئت حفت بي على كل سابح ... رجال كان الموت في فمها شهد

﴿وقال من غيرها﴾

اذا قدمت على الاهوال شيعني ... قلب اذا شئت ان يسلا كم خانا
ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني ... ولا أعاتبه صفحا واهوانا

﴿وقال من غيرها﴾

ولا بد من يوم اغر محجل ... يطول استماعي بعده للنوادب
يهون على مثلي اذا رام حاجة ... وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها ... يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
اليك فاني لست ممن اذا اتقى ... عضاض الافاعي نام فوق العقارب
الي لعمري قصد كل عجيبة ... كأني عجيب في عيون العجائب
بأي بلاد لم أجر ذوائبي ... وأي مكان لم تطأه ركائبي

﴿وقال من غيرها﴾

اذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء ان العجز عقل   وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى   ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه   على قدر القرائح والفهوم

﴿ وقال من غيرها ﴾

رمانى الدهر بالارزاء حتى   فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتنى سهام   تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالى بالرزايا   لانى ما انتفعت بان ابالى

﴿ وقال من غيرها ﴾

وجاهل مده فى جهله ضحكى   حتى اتته يد فراسة وفم
اذا رايت نيوب الليث بارزة   فلا تظنن ان الليث مبتسم
«منها» ومرهف سرت بين الجحفلين به   حتى خرجت وموج الموت ملتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

﴿ وقال من غيرها واجاد ﴾

الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه   بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم   أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت   أيدى الكماة عوالى المران

﴿ و يعجبنى من تحمسات أبى العلاء ونحره قوله ﴾

تعد ذنوبى عند قوم كثيرة   ولا ذنب لى الا العلى والفواضل

وقدسار ذكرى فى البلاد فمن لهم ... باخفاء شمس ضوءها متكامل
يهم الليالى بعض ما أنا مضمر ... و يثقل رضوى دون ما أنا حامل
وانى وان كنت الاخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الاوائل
وأغدو ولو ان الصباح صوارم ... واسرى ولو ان الظلام جحافل

« قلت » وتلاعب ابو العلاء بهذا المعنى فزاده حسنا حيث قال

وكأن حبك فأل حظك فى السرى ... فالطم بايدى العيس وجه السبسب
واهجم على جنح الدجى ولو انه ... اسد يصول من الهلال بمخلب

﴿ وتلطف الارجانى هنا حيث قال ﴾

سحبت ذيل الدجى حتى طرقتهم ... بسحرة وقميص الليل اطمار
و زرتهم وسنان الرمح من بعد ... الى بالمقلة الزرقاء نظار

« قلت » والذى اعده هنا من المرقص قول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحى كل تنوفة ... يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمه ... ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرق ... ينمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
اشيم بها برق الحديد و ربما ... عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم الق الا صعدة فوق لامة ... فقلت قضيب قد اطل على نهر
ولا اشهب الاغرة فوق اشقر ... فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة ... هناك وعين الشمس تنظر عن شزر

﴿ وقال الشريف البياضى واجاد ﴾

وانا اذا الارواح ذابت مخافة ... فتحنا باشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا ان يراق حديدنا ... خلقنا بحد المشرفية افواها

﴿ انتهى ﴾ ماوقع الاختيار عليه من الحماسة للعرب وغيرهم وغالب الحماسة

عبارة عن الفخر بالشجاعة والفروسية واقتحام صدور المعامع فاذا كان الامر مبنيا على ذلك تعين ان نوردهنا ما يلائمه من انواع السلاح واصائل الخيل واذا كان السيف اصدق انباء تعين تقديمه ﴿ ولله در القائل ﴾

كان على افرنده موج لجة ... تقاصر فى حافاته وتطول
حسام غذاء الروح حتى كانه ... من الله فى قبض النفوس رسول

﴿ وقال النامى واجاد ﴾

ذو مدمع من غير ما مستعبر ... وتبسم من ثغره متوالى
ويريك من لألائه متوقدا ... حنق المنون به على الآجال

﴿ وقال وجيه الدروى فاغرب ﴾

سكران من شربه خمر الدماء فان ... حياه نور الطلا غنى له هزجا

﴿ القاضى الفاضل ﴾

تمد الى الاعداء منها معاصما ... فترجع من ماء الكلا باساور

﴿ وقال من غيرها ﴾

ولرب هاتفة دعتهم للوغى ... جعلوا صرير المرهفات صداها
هى فى بحار يديه امواج ترى ... ونفوس من قتلته من غرقاها

﴿ ابن قلاقس واجاد ﴾

أسهرتهم وشهرتها لجموعهم ... مذ احرمت فى راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت قراره ... لكن ذا عضب وذاك منام

﴿ ابن سناء الملك ﴾

تنسك بالاسلام لكن رأيته ... يحل له فى الشرع ان يشرب الدما
فكم سل للماسل من بطن غمده ... لسان دم من ضربة خلقت فما

﴿ مجير الدين بن تميم ﴾

لما قنيت من الصوارم اعوجا · يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حلت اوانيا · للماء من ثقتى بنهر الاعوج

﴿ الشيخ جمال الدين بن نباتة ﴾

وصارم كعباب الموج ملتطم · يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقى المنون به · أضحى يشف على حافاته العلق

﴿ الشيخ برهان الدين القيراطى ﴾

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت · رقاب اعدائهم تلك المناديل
«وقلت» وسيف له فى الحرب حسن تغزل · اذا ما رآنى قد علوت على نهد
فكم خد خدا فى وجوه قبائل · فبان احمرار الورد فى ذلك الخد
وكم مال قد فى الوغى ميل معجب · فما جله عند التمايل بالقد
وكم اعجموا الفاظهم وتفخموا · فكلمهم ذاك المهند بالهندى

« قلت » قد أوردنا ما وقع الاختيار عليه و وجب تأهيله من غريب النظم فى السيف «وقد» تعين ايراد ما حلا فى الذوق و وجب تأهيله من غريب النظم فى الرمح

﴿ قال ابن نباتة السعدى وأجاد ﴾

وولوا عليها يقدمون رماحنا · وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقنا باطراف القنا لظهورهم · عيونا لها وقع السيوف حواجب

﴿ و يعجبنى قول القاضى الفاضل من قصيد ﴾

أمنصل الرمح الطويل بكوكب · من ذا يطاعن والسماك سنانى

﴿ ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك ﴾

ملوك يحوزون الغنائم عنوة · بسمر العوالى أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما · أرادوا بها تثقيف در الكواكب

﴿ ابن قلاقس ﴾

وقد كحلت باميال العوالى　　أساة الحرب احداق الدروع

« القاضي الفاضل »

طواعن اسرار القلوب نواظر　　كأنك قد نصلتها بنواظر

« ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب من قصيد »

و بكل أزرق ان شكت الحاظه　　موت العيون فبالعجاجة يكحل

متأود اعطافه فى نشأة　　مما يعل من الدماء و ينهل

عجبا له ان النجيع بطرفه　　رمد ولا يخفى عليه مقتل

« مجير الدين بن تميم وأجاد »

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى　　فى موقف ما الموت فيه بمعزل

لترى أنابيب القناة على يدى　　تجرى دما من تحت ظل القسطل

« ابن شرف القيروانى وأجاد »

وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجى　　فبان باطراف الاسنة شائبا

« قلت » رسم كافل الشأم المحروسة وهو المقر الاشرف المرحومى العلائى الطنبغا الجوبانى تغمده الله تعالى برحمته و رضوانه لاعيان الفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء المتأدبين بالبلاد الشامية ان ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة فنظم المقر المرحومى الفتحى بن الشهيد رحمه الله تعالى روحه ونور ضريحه آمين

اذا الغبار علا فى الجو عنبره　　فاظلم الجو ما للشمس أنوار

هذا سنانى نجم يستضاء به　　كأنه علم فى رأسه نار

والسيف ان نام ملء الجفن فى علق　　فاننى بارز للحرب خطار

ان الرماح لاغصان وليس لها　　سوى النجوم على الميدان أزهار

« ونظم الرئيس شمس الدين المزين واجاد »

أنا اسمر والراية البيضاء لى لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل لى عيش الغداة لاننى نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تعاتبت الكفاة بجحفل كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى قهر المعظم سطوة الجوبان

« ونظم » مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى سقى الله تعالى ثراه وكان اذذاك فى مبادى العمر والعنفوان

النصر مقرون بضرب اسنة لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة تحت الغبار فنصر من محقق

﴿ ونظم المقر المرحومى الامينى وهو اذذاك مباشر التوقيع بحمص المحروسة ﴾

عروس سنانى حين تجلى على العدا وتظهر تبدى مالهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجودفى وعدلوا فانى قد بيذت فيهم مطاعنى

« وقلت فى ذلك العصر المبارك »

أنا رمح ورامح الافق يخشى من سموى اليه يوم الطعان
واذا انكروا عدالة قدى يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صار منه قلب سيف البروق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن ضاح لما علاه بالسنانى

« قلت » ومن الغريب الذى يجب تأهيله هنا من بديع النظم فى القوس قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب رحمه الله تعالى ملغزا

* لله مملوك اذا ... ماقام فى الشغل اعترض
لكنه فى ساعة ... محصل لك الغرض

واحسن منه قول الشهاب الاعزازى

ماعجوز كبيرة بلغت عمـ ... ـراطويلا وتتقيها الرجال
قدعلاجسمها صفار ولم تشـ ... ـك سقاما ولا عراها هزال
ولهـا فى البنين سهم وقسم ... و بنوها كبار قدر نبال

﴿ ومن الغايات التى لاتدرك لغز قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمى سقى الله ثراه فى الكشتوان ﴾

مارفيق وصاحب لك تلقا ... ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى ... وتراه فى غاية الابهام

« وقلت فى القوس »

قوسى اذا جذبته يطربنى ... بحسن عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته ... يرى له فى طارة البدر اثر

« قلت » وقد آن ان نطلق العنان فى هذه الحلبة بما وقع لفحول الشعراء وفرسان الادب فى وصف الخيول المسومة من المعانى الغريبة فسابق الفحول فى هذا المضمار امرؤ القيس حيث قال فى معلقته »

وقد اغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

« قلت » و بالنسبة الى ذوقى ان يحيى بن مجير أحرز قصبات السبق فى مجرى هذه السوابق على فرسان الشعر من العرب ولم يترك للفحول مجالا بقوله

له مشية الخيل العتاق كانها ... نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس اغناها الحجول عن الحلى ... فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا

فمن يقق كالطرس تحسب انه | وان جردوه فى مـلاءته التفا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه | وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى | فمذ حازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مد الراح صرفا اديمه | واصفر لم يسمح به جلده صرفا
واشهب فضى الاديم مدثر | عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطر الزاهى بمهرق كاتب | فجر عليه ذيله وهو ما جفا
وقد كان فى البيداء يألف سربه | فربته مهرا وهى تحسبه خشفا

« ومما يجب تأهيله من غريب ابن المعتز هنا قوله »

ومحجل غير اليمين كانه | متبختر يمشى بكم مسبل

« ومثله فى الحسن قول القاضى الفاضل »

لها غرر يستضحك النصر وجهها | فتفهم منها العين معنى البشائر

«ومن الغايات التى لا تدرك هنا قول ابن نباتة السعدى»

يحتال منه على اغر محجل | ماء الدياجى قطرة من مائه
فكانما لطم الصباح جبينه | فاقتص منه فخاض فى احشائه

« قلت » لمح ابن حجاج هنا تلميحا أقول ان السحر نوع منه « وهو قوله ».

غضبت سعاد وقد رأتنى قابضا | ايرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا مالطمت جبينه | حتى يصدق فيك قول الشاعر

« نور الدين على بن سعيد المغربى فى جواد أصفر »

وعسجدى اللون أعددته | لساعة تظلم أنوارها
كانه فى رهج شمعة | مصفرة غرته نارها

« مجير الدين بن تميم فى كميت »

وطرفا يفوق البرق لونا وسرعة | وكالصخر اذ يهوى وكالماء اذ يجرى

تبدى بعرف أسود فوق أحمر فقل فى دخان تحته لهب الجمر

« وقال وأجاد »

هنيتها يامالكى مهرة جميلة الخلق بوصف جميل
مؤخرها والعنق قد أوقعا قلب الاعادى فى العريض الطويل
قد البست من شفق حلة تخبرنا ان أباها أصيل *

« الشيخ جمال الدين بن نباتة فى أدهم وأجاد »

وأدهم اللون حندسى فى جريه للورى عجائب
يقصر سعى الرياح عنه فكل ماخلفه جنائب

« وقال فى فرس ورد »

وردمن العرب منسوب فلا قطعت ايدى الحوادث من أنسابه شجره
اذا امتطى ظهره رامى السهام رمى والسهم حذوا فلولا سبقه عقره
عجبت كيف يسمى سابحا وله وثب لو البحر أرسى دونه ظفره
لما ترفع عن ند يسابقه أضحى يسابق فى ميدانه نظره

« مجير الدين بن تميم وتلطف الى الغاية »

لله طرف بعد ماأنا واصف من عدوه يذر اللسان كليلا
يعدو والمحه فيثنى ناظرى عنه بهدف جفونه مشكولا
وهو الذى ترك النسيم وقد جرى معه يجر من الحياء ذيولا
وأعاده من فرط ماقد ناله مضنى على فرش الرياض عليلا

« وتلطف ايضا الصاحب فخر الدين بن مكانس بقوله مضمنا ومكتفيا »

لنا فرس نلاقى منه رفقا كرفق الوالدين اذا حملنا
ترانا حين نركبه سكارى نميل على جوانبه كأنا

« وقلت مضمنا »

وطرف كتبر البرق فى خفقانه ... اذا ماجرى من تحت حافره سبك

ويعجزنا عن لحمه فكانه ... بقايا يقين كاد يذهبه الشك

«ومما وقع من مجون الهجو فى الخيل قول لسان الدين بن الخطيب »

قال جوادى عندما ... همزت همزا اعجزه

الى متى تهمزنى ... ويل لكل همزه

« ناصر الدين بن النقيب وتلطف الى الغاية بقوله »

نفقت لى رأس من الخيل كانت ... تسبق البرق والرياح الزعازع

وابتلى الله فى المشاعر أخرى ... بشقاق لها عن المشي مانع

فاذا قيل كم بقى لك رأس ... قلت رأس لكن بغيرا كارع

«وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله»

لهفى على فرسى الذى ... أضحى قهير القلتين

يكبو وأملك رقه ... فعثر فى الحالتين

« ومثله فى اللطف قول شرف الدين ابن الحلاوى »

جاء غلامى وشكا ... أمر كميتى وبكى

وقال لى لاشك بر ... ذونك قد تشبكا

قدسقته اليوم فما ... مشي ولا تحركا

فقلت من غيظى له ... مجاوبا لما حكى

ابن الحلاوى أنا ... فلا تكن معلكا

* لوانه مسير ... لما غدا مشبكا

« قلت » واستطردت فحول الادب بهذه المعانى الى غايات بديعة وسبكوها فى قوالب مختلفة الاغراض « كقول الشيخ جلال الدين بن الزملكانى »

وفى حلبة الخدمن ادمعى ... خيول تجول ولا تركب

فسبق الكميت بها يبن ولكن تقدمه الاشهب

« ومنها قول القائل »

وحياة من امست الى حياته أشهى لدى من اتصال حياتى

ماسافرت لحظات طرفى نحوكم الا على خيل من العبرات

« و يعجبنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة »

ياواصف الخيل بالكميت و بالنهد أرحنى من طول وسواسى

لو كنت تحت الدجى تشاهدنى لاستحسنت مقلتاك افراسى

* لا نهد الا من صدر غانية ولا كميتا الا من الكاس

« و تطفل الصاحب فخر الدين بن مكانس على هذه المائدة حيث قال فى موشحه »

تقول لحظى من بنى سنان ينبيك عن مقاتل الفرسان

فالهه به عن موقف الطعان واذ كرت الخيل فى الميدان

فاشرب كميتا واعل فوق نهد

« ومنه قول الشيخ بدر الدين بن الدماميني »

قم بنا نركب طرف الله و وسبقا للمدام

واثن ياصاح عنانى لكميت ولجام

« وقال واجاد »

و يوم كسته غرة الشمس بهجة كما ذهبته بالعشى لمجتلى

ركضت به فى حلبة اللهو سابقا فيالك من يوم اغر محجل

« و يعجبنى قول القائل »

ولما اجتمعنا والسلو جليسنا على اننا نسلو الهوى ونحول

وخيل غرام قد اتتنا مغيرة فلم ندر الا والسلو قتيل

« و بيت بديعيتى فى الاستطراد »

واستطرد واخيل صبري عنهم فكبت　　　وقصرت كليالينا بوصلهم

«قلت» عن لي وقد انتهت الغاية بعد وصف جياد الخيل الى ماوقع من مجون المجونين ذمها ان استطرد الى ماوقع من الغريب في مدح الحمير الاهلية وذمها «قيل» كان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين «فاما» خالد فلقيه بعض الاشراف بالبصرة على حمار فقال ماهذا فقال عير يحمل الرجل ويمنعني أن أكون جبارا في الارض وان أكون من المسرفين «وأما» الفضل ابن عيسى فانه سئل عن ركوب الحمار «فقال» انه اقل الدواب مؤنة واكثرها معونة واحفظها مهوى وأقربها مرتقى «ونظمت هذا المعنى مضمنا فقلت»

ترىع ونم في ظهور الحمير　　　ولا تخش من هبطة عاليه

وكن في مكان اذا ما وقعت　　　تقوم ورجلاك في عافيه

«والذي» يؤيد قولي وقول الفضل بن عيسى في قوله واحفظها مهوى «قول مجير الدين بن تميم»

سمعت انك ياخلي وخالصتي　　　وقعت عن جمل أو سرت في عجل

وازعج الناس لما ان وقعت وكم　　　قد ازعج الناس قدما وقعة الجمل

«وقال الحكيم بن دانيال مماجنا في هجوه مضمنا»

ولقد ركبت من الحمير مكمدا　　　بكرا مطيا للحران مصاحبا

رجلاي في جنبيه منذ ركبته　　　لن يفترا فغدوت امشي راكبا

«وقلت»

كان حماري شداذ رمت مشيه　　　بأمراس كتان الى صم جندل

ومن فوقه رجلاي تمشي بسرعة　　　فلم يحترك الا بستة أرجل

«وللشيخ برهان الدين القيراطي»

تراه اولا فى الاكل سبقا وعند السير يأتى فى الاخير
وكم وضعوا اسكرجة بفيه ومامنعته عن طحن الشعير

« وللسراج الوراق »

ومن رآنى والحمار مركبى وزرقتى للروم عرق قد ضرب
قال وقد أبصر وجهى مقبلا لا فارس الخيل ولا وجه العرب

« وقال أيضا »

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يافلان صريمة فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

« الحكيم بن دانيال وتلطف »

ما عاينت عيناى فى عطلتى أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى معا وصرت لا فوق ولا تحتى

« ومثله فى اللطف قول ابى الحسين الجزار »

كم من جهول رآنى أمشى لا طلب رزقا
فقال لى صرت تمشى وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى تعيش انت وتبقى

« وألطف منه قول من كتب اليه »

مات حمار الاديب قلت لهم مضى وقد فات منه مافاتا
من مات فى عزه استراح ومن خلف مثل الاديب ماماتا

« الشيخ بدر الدين بن الصاحب »

* بالله يابدر زرنى وعد محبا سقيما
واكتم مجيئك واركب من الظلام بهيما

« الصاحب فخر الدين بن مكانس »

لله أشكو ماجرى وهو بشكواى عليم
ان بهيما كان لى فضاع فى الليل البهيم

« قلت » تلاعب الناس فى تورية البهيم كثيرا ولكن رأيت قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه قد سبكها فى أحسن القوالب بقوله

قلت وليلى لونه حالك ودجنه فى سيره كالسقيم
واعجبا للصبح فى اشقر ما آن ان يلحق هذا البهيم

« وقالت » العرب الحمار عار منكر الصوت لا ترقا به الدماء ولا تمهر به النساء وعدوا من مساوى الآداب ان يجرى ذكره فى مجلس قوم اولى مروءة « ومن العرب » من لا يركب الحمار ولو بلغت به الرحلة الجهد واذا انتهت الغاية الى الذم فتعين ان نورد نبذة من غريب الهجو والمرجو من كرم الله تعالى ان أورد فى كتابى هذا من كل فن غريبه حتى تصدق تسميته بتأهيل الغريب « وقيل ان أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح »

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

« وقيل بل قول حسان بن ثابت »

لا عيب فى القوم من طول ومن عظم جسم البغال واحلام العصافير

« وقيل بل قول الاعشى »

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

« وقال الاصمعى بل قول الاخطل »

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولى على النار
فتحبس البول شحا أن تجود به فما تبول لهم الا بمقدار

« أبونواس وتلطف بقوله »

عسا اهجوك لا أدرى لسانى فيك لا يجرى

اذا فكرت فى عرضك اشفقت على شعرى

« وقال يهجو اشجع السلمى »

ايها المدعى سليما شفاها لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت من سليم كواو الحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

« و يعجبنى قوله من قصيد »

* وله فى الماء ايضا عمل ابدع ظرفا
مزجه العذب بماء البئر كى يزداد ضعفا
فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب صرفا

« وقال يهجو الخطيب »

خبز الخطيب معلق بالكوكب يحمى بكل مثقف ومشطب
جعل الطعام على بنيه محرما قوتا وحلله لمن لم يسغب
فاذا همو نظروا الرغيف تطربوا طرب الصيام الى أذان المغرب

« وقال ايضا »

* أتانا بخبز له حامض كمثل الدراهم فى خلقته
اذا ما تنفست عند الخوان تطاير فى البيت من خفته

« وظريف قوله »

وقد آليت لا أهجو دعيا ولو بلغت مروءته السماء

« واظرف منه قول القائل »

استبق ودابى اللقا تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه اوكسر عظم من عظامه

« ومن غريب ابن الرومى هنا قوله »

خوان عيسى من نصف ترمسة وصحفتاه من فلقتى عدسه

مـن ذرة ذرة جرادقـه تخفى على العين فهى ملتمسه لو نخلت بالحرير لا نسربت
من خلل النسج غير محتبسه اذا افترست الرغيف بان له كان ليثا هناك مفترسه

« الشريف بن الهبارية »

قل للوزير ولا تفزعك هيبتـه وان تعاظم واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر حرا مريت مولانا الوزير به

« عبد الصمد بن المعدل »

* أنا فى بيت صديق واثق برشـفيق
ليس لى أكل سوى لحـ مى وشرب غير ريقى

« ويعجبنى قول الحاج على بن مقاتل فى خطيب الدهشة »

ابن الظهير أضافنى طول الحديث وشرب ماء
لا عدت اتبع اعرجا لو كان يعـرج للسماء

« جحظة البرمكى »

* ثلاثة فى حارة واحده سوق المعالى بينهم كاسده
قد حفظوا القرآن من حرصهم عليه الا سورة المـائده

« وقال آخر وأجاد » يقتر يحيى على نفسه وليس بباق ولا خالد
ولو كان يسطيع من بخله تنفس من منخر واحـد

« وقال آخر فى ابخر وأجاد »

ارسل اسحق الى قطه بلقـمة من فـمه الابخر
فبادر القط الى رميها يحسبها من بعض ما قد خرى

« ابو الحسين بن الفـكيك

و وعدتنى حتى حسبتك صادقا فجعلت من طمع أجىء واذهب
فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس قالوا مسيلمة وهـذا اشعب

« وظريف قول القائل »

شعر عبد السلام فيه ردىء ومحال وساقط وبديع
فهو مثل الزمان فيه مصيف وخريف وشتوة وربيع

« بعضهم فى شاعر ضرير »

بشر المجرمين فى درك النا ر اذا جاء مالك بالضرير
ثم مرهم يستنشدوه فان انـ شد لم يحرقوا بنار السعير
وليكن ما يقوله نصف بيت فاثن ثم جاء بالزمهرير

« ابو محمد السلمى فى طفيلى »

لو طبخت قدر بمطمورة بالشأم او اقصى بلاد الثغور
وأنت بالصين لوافيتها ياعالم الغيب بما فى القدور

« الصابئ وأجاد »

ايها النابح الذى يتصدى بقبيح من قوله لجوابى
لا تؤمل انى اقول لك اخسأ لست اسخو بها لكل الكلاب

« عبد المحسن الصورى »

زففت الى نبهان من عفو فكرتى عروسا غدا بطن الكتاب لها خدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما اذ كرت المهر طلقها عشرا

« وقال ايضا وأجاد »

وأخ مسه نزولى بقرح مثل ما مسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ ر وفى حكمه على الحر قبح
قال لى اذ نزلت وهو من السكـ رة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا ل تمام الحديث صوموا تصحوا

« ومن لطائف ابن حجاج قوله »

وذي همة في حضيض الكنيف ... وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار ... على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع ... سكرجة كان فيا مري
فلما قعدت فسا فسوة ... فلم تخط عطنتها منخري
وأقبل يضرط في اثرها ... فقلت اقوم والاخرى

« وقال ايضا » لي صديق جنى علي مرارا فاكثرا
ثم لما عتبته ... غسل البول بالخرا

« الصاحب بن عباد »

انظر الى وجه أبي زيد ... اوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه ... وظفره يركب للصيد

« ابو احمد الكاتب في ابنه »

اني وأحمد بعد ما جربته ... وبلوت في خلواته اخلاقه
كمعيدشك في خرا قدشمه ... وأراد تحقيق اليقين فذاقه

« اللحاء وتلطف »

يكذب الكذبة جهلا ... ثم ينساها قريب
كن ذكورا ياأبا يحي ... اذا كنت كذوبا

« وقال ايضا »

ياسائلي عن احمد عهدي به ... رطب العجان وكفه كالجلمد
كالاقحوان غداة غب سمائه ... جفت اعاليه وأسفله ندي

« أبو حفص المطوعي »

انظر الى وجه صديق لنا ... كيف محا الشرك به النقشا

قد كتب الدهر على خده　　بالشعر والليل اذا يغشى

« ابن لنك فى ابى رياش »

قل للوضيع ابى رياش لا تبل　　تِه كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الا خسة　　والكلب انجس ما يكون اذا اغتسل

« بعض المغاربة فى طبيب »

قل للوبا أنت وابن زهر　　قد جزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا　　فى واحد منكما كفايه

« آخر فى المعنى »

ان ابا الخير على نقصه　　يحق فى كفته الفاضل
عليله المسكين من شؤمه　　فى بحر هلك ماله ساحل
ثلاثة تدخل فى دفعة　　طلعته والنعش والغاسل

« ابن منير فى المعنى »

تطبب برأى الصبى والمره　　ولا تقربن بنى سكره
ففى كل دار لهم مأتم　　وفى كل ارض لهم مقبره

« وقال آخر »

أقول لنعمان وقد ساق طبه　　نفوسا نفيسات الى باطن الارض
ابا منذر أفنيت فاستبق بعضنا　　حنانيك بعض الشر اهون من بعض

« وقال آخر »

ومطرب سوء بليناه به　　ترنمه آخذ بالنفس
يقول اقترح سيدى ما تريد　　فقلت اقترحت عليك الخرس

« جحظة البرمكى »

ومغن بارد النغـ ـمة مختل اليدين ما رآه أحد فى دار قوم مرتين

آخر كنت فى مجلس فقال مغن كم ترى بيننا و بين الشتاء
فشبرت البساط منى اليه قلت هذا المقدار قبل الغناء
واذا ما همـمت ان تتغـنى آذن الصيف كله بانقضاء

« وأغرب منه قول الآخر »

انك ان اصغيت يوما الى الحـانه تلك المقادير
خلت فى الخلق امرأ جالسا يمرك اذناب السنانير

« وأغرب منه قول الآخر »

انك لو تسـمع الحـانه تلك اللواتى ليس يعدوها
خلت من داخل حلقومه موسوسـا يخنق معتوها

« وقال آخر » قلت اذ غنى عراقا ليتنا فى اصـفهان

« وقال المصيصى الخياط »

واذا تربع لا تربع بعـدها وغدا يحرك عوده متقاعسا
فـكأن جرذان المدينة كلها فى عوده يقرضن خبزا يابسا

« وقال آخر فى مغن بالرباب »

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفرا فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغـنى بالرباب وتارة تأتى على يده الرباب و زينب

« شمس الدين محمد الواسطى يهجو عوادا و زامرا »

شـبهت ذا العواد والزامر اذ ضاقت علينا بهما المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت وارقم ينفخ وهو خارج

« الصنوبرى يهجو زامرة سوداء »

فـكأنما المزمار فى اشداقها غرمول عير فى حياء أتان

وترى أناملها على مزمارها ... كخنافس دبت على ثعبان

« وقال السراج الحار فيها »

ولرب زامرة تهيج بزمرها ... ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها ... وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت ... تسعى اليه على خيار الشنبر

« و يعجبنى من هجو أبي نواس قوله »

قولا لابراهيم قولا جهرا ... غلبتنى زندقة وكفرا
ان قلت ما تشرب قال خمرا ... أو قلت ما تنكح قال دبرا
أو قلت ما تترك قال برا ... أو قلت ما تقول قال شرا

«وقال» ألوم عباسا على فعله ... كأن عباسا من الناس
وانما العباس فى قومه ... كالثوم بين الورد والآس

«وقال» أمات الله من جوع رقاشا ... فلولا الجوع ما ماتت رقاش
ولو أشممت موتاهم رغيفا ... وقد سكنوا قبورهم لعاشوا

« ومن غريب هجو المتنبي قوله فى كافور »

اميناو اخلافا وغدرا وخسة ... وجبنا اشخصا لحت لى أم مخازيا
تظن ابتسامانى رجاء وغبطة ... وما أنا الا ضاحك من رجائيا
وتعجبنى رجلاك فى النعل انني ... رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا
وانك لاتدرى ألونك اسود ... من الجهل أم قد صار أبيض صافيا
ويذكرنى تخطيط كعبك شقه ... ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا
ولولا فضول الناس جئتك مادحا ... بما كنت فى سرى به لك هاجيا
فاصبحت مسرورا بما أنا منشد ... وان كان بالانشاد هجوك غاليا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ... ليضحك ربات الحداد البواكيا

«قلت» ماوقفت فى هذا الباب على اغرب من هذه المعانى ولا ابدع «وقال من غيرها»

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم ... اين المحاجم يا كافور والجلم
لا شئ أقبح من فحل له ذكر ... تقوده أمة ليست لها رحم

« وقال من غيرها »

اما فى هذه الدنيا كريم ... تزول به عن القلب الهموم
اما فى هذه الدنيا مكان ... يسر باهله الجار المقيم
تشابهت البهائم والعبدا ... علينا والموالى والصميم
وماأدرى اذاداء حديث ... اصاب الناس ام داء قديم
حصلت بارض مصر على عبيد ... كان الحر بينهم يتيم
كان الاسود اللاتى فيهم ... غراب حوله رخم وبوم
اخذت بمدحه فرأيت لهوا ... مقالى للاحيمق يا حليم
ولما ان هجوت رأيت عيا ... مقالى لابن آوى يالئيم
فهل من عاذر فى ذا وهذا ... فمدفوع الى السقم السقيم
اذا اتت الاساءة من وضيع ... ولم ألم المسيء فمن ألوم

« وقال من قصيدة مطولة كلها غرر »

ياساقيى اخمر فى كؤسكما ... ام فى كؤسكما هم وتسهيد
اصخرة أنامالى لا تغيرنى ... هذى المدام ولا هذى الاغاريد
ماذالقيت من الدنيا وأعجبها ... انى بما اناباك منه محسود
انى نزلت بكذابين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الايدى وجودهم ... من اللسان فلا كانوا ولا الجود
مايقبض الموت نفسا من نفوسهم ... الا وفى كفه من نتنها عود
من كل رخو وكاء البطن منفتق ... لا فى الرجال ولا النسوان معدود

أكلما اغتال عبد السوء سيده — اوخانه فله في مصر تمهيد
صار الخصي امام الآبقين بها — فالحر مستعبد والعبد معبود
نامت نواظر مصر عن ثعالبها — فقد بشمن وما تفنى العناقيد
العبد ليس لحر صالح باخ — لو انه في ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصا معه — ان العبيد لانجاس مناكيد
ما كنت احسبني احيا الى زمن — يسيء بي فيه كلب وهو محمود
ولا توهمت ان الناس قد فقدوا — وان مثل ابي البيضاء موجود
جوعان يأكل من زادي ويمسكني — كيما يقال عظيم القدر مقصود
من علم الاسود المخصي مكرمة — اقومه البيض ام آباؤه الصيد
ام اذنه في يد النخاس دامية — ام قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك ان فحول البيض عاجزة — عن الجميل فكيف الخصية السود

« وسأله اشراف الكوفة ان يهجو ضبة بن يزيد فقال ابياتا منها »

وما عليك من العا — ران امك قحبه
وما يشق على الكلا — ب ان يكون ابن كلبه
ماضرها من اتاها — وانما ضر صلبه
ولم ينكها ولكن — عجا نها ناك زبه
يلوم ضبة قوم — ولا يلومون قلبه
وقلبه يتشهى — ويلزم الجسم ذنبه
لو ابصر الجذع ايرا — احب في الجذع صلبه
يا اطيب الناس نفسا — والين الناس ركبه
واخبث الناس اصلا — في اخبث الارض تربه
وارخص الناس اما — تبيع الفا بحبه
كل الايور سهام — لمريم وهي جعبه

« منها »

وكنت تفخر تيها — فصرت تضرط رهبه

وان بعدنا قليلا حملت رمحا وحربه
ان اوحشتك المعالى فانها دار غربه
وآنستك المخازى فانها لك نسبه
وان عرفت مرادى تكشفت عنك كربه
وان جهلت مرادى فانه بك أشبه

« ومن المبالغة فى الهجو قول القائل »

على حالة لو ان فى القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم

« قلت » هذا البيت من شواهد التسهيل وجر حاتم بدل من الضمير « ومثله فى المبالغة قول القائل »

قوم اذا صفع النعال قفيهم شكت النعال بأى ذنب تصفع

« ومن المبالغات البديعة قول ابى نواس فى هجو الدنيا »

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

« قال » المأمون لو وصفت الدنيا نفسها بشيء لما عدت قول ابى نواس « وقال آخر فى هجو اصحابه وأجاد »

واخوان تخذتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادى

« وقال آخر وأجاد »

وكنت أخى باخاء الزمان فلما انقضى صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات فها أنا اطلب منك الامانا

« وقال المعتمد بن عباد »

و زهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم تبرني الايام خلا تسرني ۰ مباديه الا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة من الدهر الا كان احدى النوائب

« قيل » ان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى كان في اواخر الصحبة يستحيل على اصحابه فنظم فيه بعض اهل العصر « يقول »

ودادابن الوكيل له شبيه بلبادين جلق في المسالك
فأوله حلي ثم طيب وآخره زجاج مع لوالك

« وهذا يشبه قول الآخر في شريف »

يامشبه الكشك أجدادا مطهرة ويستحيل الى داء وتخليط
ماأنت الا كبانا مس فاوله عذب وآخره يدعى بقلوط

« قال » جالينوس الكشك له أبوان كريمان ولكنهما انتجا لئيما « ومن اللطائف البديعة قول محاسن الشواء في هجو صديق له »

لنا صديق له خلال تعرب عن اصله الاخس
اضحت له مثل حيث كف وددت لو انها كأمس

﴿ ومن لطائف الهجوات قول الفارسي ﴾

ان شئت ان تعرف عن صحة دار التي تعزى لعبدونه
فامش فان ايرك ابصرته قام فان الباب من دونه

﴿ ومن المبالغة في الهجو قول ابن الهبارية ﴾

ياواسطيين ثقوا انني بهجوكم بين الورى مولع
مافيكم كلكم واحد يعطى ولا واحدة تمنع

﴿ وقال ابو الطيب في ذم الزمان ﴾

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده حياة وان تشتاق فيه الى النسل

﴿ ولمح ابو العلاء هذا المعنى فقال ﴾

بنت من الدنيا ولا بنت لي　　فيها ولا عرس ولا اخت

﴿ وقال صالح بن صالح واجاد الى الغاية ﴾

وما الدهر في حال السكون بساكن　　ولكنه مستجمع لوثوب

﴿ وقال ابو العلاء المعرى ﴾

جربت دهري وأهاليه فما تركت　　لي التجارب في ود امرىء غرضا

﴿ ومن بديع الهجو وغريبه قول عبد الحكم خطيب مصر في العماد بن جبريل عند كسر يده ﴾

ان العماد بن جبريل اخي علم　　له يد اصبحت مذمومة الاثر

تأخر القطع عنها وهي سارقة　　فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

﴿ محمد بن زيد الواسطي في نفطويه النحوي ﴾

من سره ان لا يرى فاسقا　　فليجتهد ان لا يرى نفطويه

احرقه الله بنصف اسمه　　وصير الباقي صراخا عليه

﴿ اسامة بن منقذ في ابن طليب المصري عند حريق داره ﴾

انظر الى الايام كيف تسوقنا　　قسرا الى الاقدار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره　　نارا وكان حريقها بالنار

« ومما » يناسب هذه الواقعة ان الوجيه بن صورة المصري كان له بمصر دار موصوفة بالحسن فاحترقت فقال ﴿ نشو الملك المعروف بابن المنجم ﴾

اقول وقد عاينت دار ابن صورة　　وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال اصله من نهاوش　　فعما قليل في نهابر يعدم

وما هو الا كافر طال عمره　　فجاءته لما استبطأته جهنم

« والبيت » الثاني مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله في نهابر والنهاوش الحرام والنهابر المهالك « والشيء بالشيء يذكر »

فنظم ابو الحسين الجزار فى بعض ادباء مصر وكان شيخا كبيرا ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت بيتين وهما

ايها السيد الاديب دعاء ... من محب خال من التنكيت
انت شيخ وقد قربت من النا ... ر فكيف ادهنت بالكبريت

﴿ وقال فى زوجة ابيه ﴾

تزوج الشيخ ابى شيخة ... ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها فى الدجى ... ماجسرت تبصرها الجن
كأنها فى فرشها رمة ... وشعرها من حولها قطن
وقائل قال ماسنها ... فقلت مافى فمها سن

﴿ وقال فيها وقد مات ابوه ﴾

اذابت كلى الشيخ تلك العجوز ... وأردته انفاسها المرديه
وقد كان اوصى لها بالصداق ... فما فى مصيبته تعزيه
لانى ماخلت ان القتيـ ... ـل يوصى لقاتله بالديه

﴿ السراج الوراق ﴾

قيل لى عند ماهجوت قطينا ... بقواف عن ثلبه لاتنام
ماالذى بينه و بين القوافى ... قلت ياقوم نقطة والسلام

﴿ وقال فى هجو بخيل واجاد ﴾

وضنين بماله ظان انى ... جئته قاصدا فأعرض عنى
قلت هبنى اسأت فاعف فنادى ... زدت عندى ذنبا بقولك هبنى

﴿ و يعجبنى قول ابن قلاقس من قصيد ﴾

اسكرتهم بكؤس المدح مترعة ... ولم انل منهم الا العرابيدا
سمعت بالجود مفقودا فهل احد ... يقول لى قد وجدت الجود موجودا

﴿ مسلم بن الوليد وأجاد ﴾

اما الهجاء فدق عرضك دونه ... والمدح عنك اذا علمت جليل

فاذهب فانت طليق عرضك انه ... شيء عززت به وأنت ذليل

﴿ آخر وأجاد ﴾

لئن كانت الدنيا أفادتك ثروة ... فاصبحت منها بعد عسر أخا يسر

لقد كشف الاثراء منك خلائقا ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

« آخر » / لاتهولنك السوابغ والبيـ ... ـض فمن تحتها قلوب العذارى

«آخر » لعمر أبيك ما نسب المعلى ... الى كرم وفى الدنيا كريم

ولكن البلاد اذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعى الهشيم

« آخر » وماينفع الاصل من هاشم ... اذا كانت النفس من باهله

« آخر » ولولا الضرورة لم آته ... وعند الضرورة تأتى الكنيفا

﴿ ابن الرومى وأجاد ﴾

معشرا شبهوا القرود ولكن ... خالفوها فى خفة الارواح

﴿ اعرابى وأجاد فى بخيل اسمه صباح ﴾

قد قلت لما رأيت الموت يطلبنى ... ياليتنى درهم فى كف صباح

﴿ وظريف قول القائل فى الفضل ﴾

ما رأينا جبلا كالفضل يمشى فى الفضاء

نظر العين اليه ... يكحل العين بداء

رب قد اعطيتناه ... وهو من شر عطاء

عاريارب فخذه ... فى قميص ورداء

﴿ ابو تمام وأجاد ﴾

وجاان تنجيه خساسة قدره ... ولم يدر أن الليث يفترس الكلبا

﴿ وقال من غيرها واجاد ﴾

يا أكرم الناس وعدا حشوه خلف ... وأكثر الناس قولا كله كذب

﴿ وقال من غيرها ﴾

امرأته نفذت عليه أمورها ... حتى ظننا انه امراتها

متناوم ان زارها اخوانها ... متيقظ ان زارها اخوانها

﴿ ومن بديع الاستطردات فى الهجو قول البحترى من قصيده فى وصف فرس ﴾

كالهيكل المبنى الا انه ... فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

ملك العيون فان بدا اعطيته ... نظر المحب الى الحبيب المقبل

ماان يعاف قذى ولو اوردته ... يوما خلائق حمدويه الاحول

﴿ ومن قول احمد البلادرى فى رثاء ابى تمام ﴾

امسى حبيب رهن قبر موحش ... لم تدفع الا قدار عنه بكيد

لم ينجه لما تناهى عمره ... أدب ولم يسلم بقوة ايد

قد كنت ارجوان تنالك رحمة ... لكن خشيت قرابة ابن حميد

﴿ ومنه قول الحسن على اللقمى وأجاد ﴾

جاسرت اجيالا كان صخورها ... وجنات نجم ذى الحياء البارد

والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما ... فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

﴿ ومنه قول ابى محمد الزيلدم وهو من الغايات ﴾

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة ... وبرداغانيه وطول قرونه

قطعت ونومى عن جفونى مشرد ... كمقل سليمان بن فهد ودينه

بذى الق فيه اعوجاج كأنه ... ابوجابر فى خبطه وجنونه

الى ان بدا ضوء الصباح كانه ... سنا وجه قرواش وضوء جبينه

« انظر » ايها المتأمل الى قوة استطراده من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش سبحان المانح « ومنه »

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه ... فليس به بأس وان كان من جرم

«ومنه» وشادن بالدلال عاتبني ... ومنيتي من تدلل العاتب

فكان ردي عليه من خجلي ... أبرد من شعر خالد الكاتب

﴿ ومنه قول ابن المعتز ﴾

ولقد شربت مدامة كرخية ... مع ماجد طلق اليدين حميد

علت بماء بارد فكأنما ... علت ببرد قصيدة ابن حميد

« قلت » والغريب في هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير في هجو ام الفرزدق وهو نوع من بديع يدل على قوة الناظم وسعة جولانه

لها برص بأسفل اسكتيها ... كعنفقة الفرزدق حين شابا

﴿ ومنه قول السري الرفاء ﴾

لنا روضة بالدار صيغ لزهرها ... قلائد من حلى الندى وشنوف

يمر لنا فيها اذا ما تبسمت ... نسيم كعقل الخالدي ضعيف

« قلت » وأظرف ما رأيت من هذا النوع قول ابن جلنك الحلبي « حكى » انه كتب رقعة الى بعض الحكام « وقيل » انه قاضي القضاة كمال الدين ابن الزملكاني يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز قيل ان قدره رطلان فتوجه ابن جلنك يوما الى بستان يرتاض فيه فقيل انه بستان قاضي القضاة المشار اليه ﴿ فكتب على بعض حيطانه ﴾

لله بستان حللنا دوحه ... في جنة قد فتحت ابوابها

والبان تحسبه سنانيرا رأت ... قاضي القضاة فنفشت اذنابها

« قيل » ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة في البديع اوردا الوقوف

عليها « ومن » استطرادات ابن حجاج فى الهجو على طريقته التى لم ينسج على منواله غيره فان الشيخ جمال الدين بن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن حجاج « وبعد » فانى رأيت نتائج افكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وأمم اشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا اشعار الاديب الفريد ابى عبد الله الحسين بن الحجاج رحمه الله تعالى فانها امة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتفاق اللهو واللعب رشدها ولم يحط خاطر احد بمثلها خبرا ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا « انتهى » قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى واستطراد ابن الحجاج الموعود بذكره

﴿ قوله يخاطب ممدوحه ﴾

تفديك امى وابى ... وابنى وان كان صبى

يامن اليه حيثما ... وجدته منقلبى

يامن مديح غيره ... عندى عزيز المطلب

لحية من يشناك فى ... حال رضا اوغضب

من عين من يطلبها ... بالليل فى استى تختبى

وامه ام الشكو ... ك فى استها والريب

ذات حر اوسع من ... شارع باب اللعب

وشعرة غليظة ... ذات نبات اشيب

قد شاب منها بعضها ... وبعضها لم يشب

نتفت منها طاقة ... بشدة وتعب *

فاشككت انها ... من لحية ابن الحلبى

﴿ ومثله قوله من قصيد ﴾

حتى متى افديك ياستى ... يندف قطن استك برقشتى

قالت بهذا الاير واستعبرت | وكان قد نام على بختى
قلت نعم هذا على مابه | قد ضرط الآن فمن انت
هذا اذا قام استوى طوله | بطول ساقيك اذا قمت
فلو رأيتيه على بيضه | مثل ابى منصور فى الدست
خريت بالطول على عارضى | صاحب ديوانى او بلت

﴿ ومثله قوله من قصيدة ﴾

فقلت اعجابا بها | أحسنت لى متعت بك
أحسنت يا أوسع من | فتوح مولانا الملك

﴿ ومن لطائف الهجوات الخارجة عن الفحش قول ابى نواس ﴾

قال لى يوما سليما | ن وبعض القول اشنع
قال صفنى وعليا | أينا أتقى وأنفع
قلت انى ان اقل ما | فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا | قال قل لى قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى | قال صفنى قلت تمنع

﴿ جعفر بن شمس الخلافة وأجاد ﴾

مدحتك السنة الانام مخافة | وتشاهرت لك بالثناء الاحسن
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى | حتى أعيش الى انطلاق الالسن

﴿ وقال بعض المتأخرين فى هجو زكى الدين بن ابى الاصبع وأنا استغفر الله من ايراده ﴾

عبد العظيم الزكى بن ابى الا | أصبع رب القريض والخطب
يزعم انى بالهجو اثلبه | تغضبا منه ساعة الغضب
لكننى والطلاق يلزمنى | ما ملت فيه يوما الى الكذب

نكحت امه واخته وخالته ... ونكحت قدماً اخاه وهو صبي

ولست فيما أتيت مبتدعا ... قد كان هذا في سالف الحقب

ناك ابي امه وجدته ... وعمتيه لله در أبي

ونحن في بيته على دعة ... النيك ما بيننا الى الركب

﴿ ومن غريب الهجو والتشابيه العقم قول القائل في احدب ﴾

قصرت أخادعه وغاب قذاله ... فكأنه مترقب ان يصفعا

وكأنه قد ذاق اول صفعة ... واحس ثانية لها فتجمعا

﴿ بدر الدين حسن بن النقيب ﴾

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا ... والعلق لاشئ لديه ولا معه

فاجبتهم انفاقه من حجره ... قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

﴿ ومنه قوله ﴾

ومنكرش اضحى يحلق سفله ... امساه لا يشكي اليه ويشكر

ويقص لحيته فان ناديته ... لبساك وهو محلق ومقصر

﴿ القاضي السعيد ابن سناء الملك ﴾

وخلصني من يدى عشقه ... ظلام على خده حندسه

كنست فؤادى من حبه ... ولحيته كانت المكنسه

﴿ ابن عنين وأجاد ﴾

شكا ابن المؤيد من عزله ... وذم الزمان وأبدى السفه

فقلت له لا تذم الزمان ... فتظلم أيامه المنصفه

ولا تعجبن اذا ما صرفت ... فلا عدل فيك ولا معرفه

﴿ ومثله قول القائل ﴾

ورقيع اراد أن يعرف النحو ... و بزى العيار لا المستفتي

قال لى لست تعرف النحو مثلى　　قلت سانى عنه اجب فى الوقت
قال ما المبتدا وما الخبر الج　　ر و ر بين فقلت ذقناك فى استى

﴿ وقال ابن الرومى ﴾

ان تطل لحيـة عليك وتعرض　　فالمخالى مخلوقة للحمير
علق الله فى عذاريك مخلا　　ة ولكنها بغير شعير
لو رأى مثلها النبي لاجرى　　فى لحى الناس سنة التقصير

﴿ ويعجبنى قول القائل ﴾

اذا عرضت للفتى لحيـة　　وطالت وصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا　　بمقدار مازاد فى لحيته

﴿ الشيخ برهان الدين القيراطى ﴾

اصبحت يا ابن الصائغ الحنفى فى　　فعل القبائح أوحد الازمان
فى مصر رأى ابى حنيفة تدعى　　جهلا وأنت معرة النعمان

﴿ ولله در القائل فى ابليس ﴾

عجبت من ابليس فى غفلته　　وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم فى سجدة　　وصار قوادا لذريته

« قلت » فى هذا القدر كفاية و يتعين تقصير لسان القلم عن التطاول الى ثلب اعراض هذه الامة المرحومة وقد علم الله تعالى ان العبد لم يقصد فيما أورده ثلبا بل جل القصد اثبات ماوقع من الغريب فى كل فن من فنون الادب وان كانت غرر المدائح قد تقدمت وحجبتها ظلمات الهجو هنا نحب ان نبرز ماسهونا عن ابرازه من مطالع اشرقت فى افق كل فكر نير نجلو بها ظلمات تلك الظلمات « فمن المنقول » عن القاسم المكنى بأبى دلف انه جمع بين طرفى الكرم والشجاعة ولى دمشق فى خلافة المعتصم «قيل» انه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا

فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلهما « فقال بكر بن النطاح »

قالوا وينظم فارسين بطعنة   يوم الهياج ولا نراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته   ميل اذا نظم الفوارس ميلا

﴿ وقيل فيه ايضا ﴾

تمشي المنايا الى غيري فاكرهها   فكيف امشي اليها بارز الكتف
ظننت ان نزال القرن من خلقي   اوان قلبي في جنبي ابي دلف

﴿ وقال فيه ابو تمام ﴾

ياطالبا للكيمياء وعلمها   مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لولم يكن في الارض الادرهم   ومدحته لاتاك هذا الدرهم

﴿ ودخل بعض الشعراء فانشده ﴾

ابادلف ان المكارم لم تزل   مغلغلة تشكوا الى الله حالها
فبشرها منه بميلاد قاسم   فأرسل جبريل اليها فحالها

« فامر له » بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر ببيت المال فامر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فامر له بضعفه فلما حمل اليه المال « قال ابو دلف »

اتعجب ان رأيت على دينا   وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال   وهل تجب الزكاة على جواد

« ونقل » قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان يحيي البلادري المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الامن يقول مثل قول البحتري في المتوكل

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما   في وسعه لسعى اليك المنبر

« قال » البلادري فرجعت الى داري وأتيته وقلت قد قلت فيك احسن مما قاله البحتري « فقال هات فانشدته »

ولوان برد المصطفى اذ لبسته　　يظن لظن البرد انك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته　　نعم هذه اعطافه ومناكبه

« فقال » له المستعين ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجع وبعث اليه بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث ولك الجراية والكفاية مادمت حيا

« قلت ومن المدائح الرافلة فى حلل الحشمة »

أهدى لمجالسه الكريم وانما　　أهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله　　فضل عليه لانه من مائه

﴿ ومثله قول بعضهم فى يحيى بن خالد بن برمك ﴾

سألت الندى هل أنت حر فقال لا　　ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة　　توارثنى من والد بعد والد

﴿ واما حاتم فقد استغنى عن المدح بقوله ﴾

اوقد فان الليل ليل قر　　والريح ياموقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر　　ان جلبت ضيفا فانت حر

﴿ حكى ﴾ صاحب العقد ان اعرابيا سأل الحكم بن حنطب فاعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابى فقال له لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا والله ولكنى أبكى لما تأكل الارض منك « ثم انشده »

فكان آدم حين حان وفاته　　اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم　　وكفيت آدم عيلة الابناء

« قال » بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد يوما فمررت بخربة فاذا شيخ قد خرج منها وفى يده حجر فهم ان يرمينى به فتسترت بالمحبرة والدفتر فقال من أين اقبلت قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى انشدكم اليوم « قلت انشدنا »

اعار الغيث نائله　　اذا ماماؤه نفدا　　وان اسد شكا جبنا　　اعار فؤاده الاسدا

«فقال» اخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال الا تعلم انه اذا اعار الغيث نائله بقى بلا نائل واذا اعار الاسد فؤاده بقى بلا فؤاد فقلت فكيف كان يقول «فانشد»

علم الغيث الندى من يده　　　مذ دعاه علم البأس الاسد
فاذا الغيث مقر بالندى　　　واذا الليث مقر بالجلد

«قال» فكتبتهما وانصرفت ثم بعد ايام قليلة خرج على وكاد يرميني فتسترت منه فضحك وقال مرحبا بالشيخ فقلت وبك قال من مجلس المبرد قلت نعم قال ما انشدكم اليوم «قلت انشدنا»

ان السماحة والمروءة والندى　　　قبر بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقرله　　　كوم الجياد وكل طرف سابح

«فقال» أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ويحك لونحرا بل خراسان لما اثر فى حقه قلت فكيف كان يقول «فانشد»

احملانى فان يكن لكما عقـ　　　ـر الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا　　　ن دمى من نداه لو تعلمان

«فلما» عدت الى المبرد قصصت عليه القصة فقال اتعرفه قلت لا قال ذاك الكاتب تأخذه السوداء فى ايام الباذنجان ﴿قال ابونواس وأجاد الى الغاية﴾

قد قلت للعباس معتذرا　　　من ضعف شكريه ومعترفا
انت امرؤ اوليتنى نعما　　　اوهت قوى شكرى فقد ضعفا
لا تسدين الى عارفة　　　حتى أقوم بشكر ما سلفا

﴿السرى الرفاء واجاد﴾

ولى فى راحتيك غدير نعمى　　　صفا متناه فاطرد الحباب
فظل لا يمازجه هجير　　　وشمس لا يكدرها ضباب
وأيام حسن لدى حتى　　　تساوى الشيب فيها والشباب

﴿ غيره وأجاد ﴾

كم اباجعفر وكم لك عندى · من يدا طلقت يدى ولسانى
ظاهر حسنها على وجاءت · تتهادى فى حلة الكتمان

﴿ غيره واجاد ﴾

زادمعر وفك عندى عظما · انه عندك مستور ضعيف

﴿ السرى الموصلى واجاد ﴾

البستنى نعما رأيت بها الدجى · صبحا وكنت أرى الصباح بهيما
فغدوت يحسدنى الصديق وقبلها · قد كان يلقانى العدو رحيما

﴿ البحترى واجاد ﴾

لطفت رأيك فى برى وتكرمتى · ان الكريم على العلياء يحتال

﴿ وقال واجاد ايضا ﴾

اعدت يداه يدى فشرد جوده · بخلى فافقرنى كما اغنانى
و وثقت بالخلف الجميل معجلا · منه فاعطيت الذى اعطانى

﴿ ابن الرومى ﴾

ان كان او رق اقوام فانكم · مفضلون بتنوير واثمار
كانما الناس فى الدنيا بظلكم · قدخيموا بين جنات وأنهار

﴿ البحترى واجاد ﴾

اراك بعينى المكتسى رونق الغنى · با آلائك اللاتى يعددها الشكر
و يعجبنى فقرى اليك ولم يكن · ليعجبنى لولا محبتك الفقر
«وله» لقيت به عضب الزمان ففله · وقديثلم العضب المهند بالعضب

﴿ وله واجاد ﴾

و يرجعنى اليك وان تناءت · ديارى عنك تجربة الرجال

﴿ غيره واجاد ﴾

ملوك يعدون الرماح مخاصرا … اذا زعزعوها والدروع غلائلا

﴿ ابو تمام ﴾

قوم ترى ارماحهم يوم الوغى … مشغوفة بمواطن الكتمان

﴿ المتنبي يدعو لممدوحه واجاد ﴾

ولا زالت بي تلك مشرقات … ولا دانيت يا شمس الغروبا

لاصبح آمنا فيك الرزايا … كما انا آمن فيك العيوبا

«وله» وهذا دعاء لو سكت كفيته … لاني سألت الله فيك وقد فعل

﴿ ابن الرومي واجاد ﴾

اعاذك انس الجد من كل وحشة … فانك في هذا الانام غريب

وتاب اليك الدهر من كل سيئ … وجاءك يسترضيك وهو منيب

«غيره» لازالت الدنيا له منزلا … يأويه والدهر له عمرا

«غيره» اراني الله وجهك كل يوم … صباحا للتيمن والسرور

وامتع ناظري بصحيفتيه … لاقرا الحسن من تلك السطور

﴿ خلف الكاتب ﴾

ولا نحن الى الف ولا وطن … اذا سلمت ولا نأسو على احد

﴿ البحتري ﴾

بقاؤك فينا نعمة الله عندنا … فنحن بأوفى شكره نستديمها

﴿ غيره واجاد ﴾

ولا زال يلقاك الحسود وطرفه … عليل وفي طي الضمير غليل

﴿ و يعجبني من التغالي في حشمة المدائح قول القائل ﴾

واسكنه السماء فما البروج الـ … ـتي فيها له الا ربوع

فان له مجرتها طريق ... وبين يديه أنجمها شموع
والوية الفضائل خافقات ... تحملها له البروق اللموع
وما نجم الثريا غير نعل ... ومن خبط الصباح له شسوع
يقومها الظلام اذ تمشى ... لان له لدجى عبد مطيع

﴿ ومن زخارف المتأخرين قول الشيخ سراج الدين الوراق ﴾

أشتهى ان أراك فى كل وقت ... والليالى تشاء مالا أشاء
والقوافى الىك حنت حنينى ... فتأمل فهمزها ورقاء
ولها لذة بتكرار مدحى ... لك حتى ابيح لى الايطاء

﴿ ومن لطائف قوله من ابيات ﴾

* ومضاف للشمرانى ورا ... ق وناهيك متجر الاملياء
* ورق راؤه بنوها على الفتـ ... ح فمن لى منه بكسر الراء
* وعينا لولا بها علم الديـ ... ن وجدوى عينه البيضاء
كان هذا السراج اعوزه الزيـ ... ت وأودى به الى الانطفاء

﴿ وقال من قصيدة وأجاد ﴾

قدمت لنا ربيعا وفى جمادى ... وقلب الشئ شأن الاولياء
* ولم نرقبل مولانا وليا ... تقدم قبل وسمى السماء

﴿ وقال يمدح ضياء الدين النشائى ﴾

أمولانا ضياء الدين دم لى ... وعش فبقاء مولانا بقائى
فلولا انت مااغنيت شيأ ... ومايغنى السراج بلاضياء

﴿ وقال من مدح قصيدة ﴾

وأفررت بالعين عينى التى ... أتاها نداك بلاحاجب
واصبحت احتاج فى صرفه ... الى كاتب والى حاسب

يقول وقد جئته صيرف ... لقد جئت بالعجب العاجب
وقفت على مطلب قلت لا ... فقال مدحت أبا طالب

﴿ وقال فيمن اهدى له تفصيلة ﴾

دامت عطايا الامير سابقة ... من كل راج وآمل أمله
ولا عدمنا حياته ابدا ... ولا تفاصيله ولا جمله

﴿ السلامى فى عضد الدلة واجاد ﴾

يشبهه المداح فى البأس والندى ... بمن لو رآه كان اصغر خادم
ففى حبسه خمسون الفا كعنتر ... وأمضى وفى جيرانه الف حاتم

﴿ ومن زخارف ابى الحسين الجزار قوله من قصيد ﴾

فكم رامت السحب تحكى نداه ... فلاح من البرق فيها خجل

﴿ ومن مرقصه قوله ﴾

يعطى عطاء محسن ... يليه عذر مذنب

« وقال »

تركت حسودى مغضبا بصنائع ... منت بها الا قدر الله ان يرضى
وأوليتنى مالست اشكر بعضه ... على ان شكرى فيك قد طبق الارضا

﴿ ومن غريب القاضى السعيد بن سناء الملك قوله من قصيد ﴾

عذرت عاذل مدعى فى مناقبه ... اذا كان يدخل بين المسك والعبق

﴿ وقال من غيرها ﴾

ولقد سموت وما سممت بواهب ... جلت مواهب كفه ان تشكرا

﴿ منها وهى فى مديح الفاضل ﴾

جعلت براعته الكلام للفظه ... عبدا ولكنا نراه محررا
وسقى الندى من راحتيه براعه ... فلذاك ازهر بالبيان وأثمرا

« وقال من غيرها واجاد »

يقل له ان البسيطة داره وان نجوم الافق فيها صحابه

« منها فى الفاضل ايضا »

و يفرس الباب الرجال كلامه فما هو الا الليث والطرس غابه

« وقال من غيرها واجاد »

تخرله الاملاك ذلا وانما تعز اذا خرت لديه من الذل

وانفسهم عارية منه عندهم متى ما اراد استرجعتها يد القتل

اعاديه من غلمانه فى بلادهم يصرفهم بين الولاية والعزل

« منها »

اذا كنت من قتلاك تملأ سبلها فكيف يسير الجيش منها بلا سبل

وما خالفتك الجرد قط وانها لتلحق من عاديته وهى فى الشكل

« وقال »

ود العدى ان يكونوا من رعيته ليأخذوا الامن نعو يضا من الحذر

« وقال من غيرها فى مدح الفاضل »

انى رأيت الشمس ثم رأيتها ماذا على اذا هويت الاحسنا

وسألت من اى المعادن ثغرها فوجدت من عبد الرحيم المعدنا

ابصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقا ان هذا من هنا

ذاك الكلام من الكمال بموقع لا يدرك الساعى اليه سوى العنا

يدنو من الافهام الا انها تلقاه ابعد ما يكون اذا دنا

« وقال فيه من غيرها واجاد »

وتصر البحر عنه وهو مكتئب اما تراه بكفى موجه التطما

و روات السحب مذجارته باكية اما ترى الدمع من اجفانها انسجما

قضى له الله مذ اجرى له قلما ... بالسعد منه وقد اجرى به القلما
نجر الدهر غدا عبد الرحيم به ... بالامر والنهي بيدي الحكم والحكما
كساه ربك نورا من جلالته ... ياتي الحسود فيكسو ناظريه عمى
يغضي حياء و يغضى من مهابته ... فما يكلم اجلالا اذا ابتسما

« منها »

يا ايها الفاضل الصديق منطقه ... انى عتيقك والمقصود قد فهما
اعدت للعبد لما جئت عائده ... روحا واهلكت من حساده أمما
تركتهم لي حسادا على سقمي ... وكم تمنوا الى الادواء والسقما
فقلت مالي اليهم ثم قلت لهم ... لا تسلموا ان هذا العبد قد سلما
ان كان يهلك من ينتاب ناديه ... بخلا فانك قد اهلكتني كرما

« وقال من غيرها فيه واجاد »

كانما الكف منه مثل مصحفه ... والانم فيها كاعشار واخماس
اذا اردت ترى الاقدار جارية ... فانظر له قلما من فوق قرطاس
يسامر الفكر معنى ما يحيط به ... ياحسنه سمرا في ليل انقاس

« وقال فيه من غيرها واجاد »

تصنعوا وانت طبعا مواهبه ... تعطل البدو احلى من حلى الحضر
والدهر مد اليه كف مفتقر ... فمد للدهر منه لحظ محتقر
ذاك الاجل وان تحكي الورى شبها ... فانه المسك في الالوان والصور
في كفه قلم ان شئت اوقدر ... يصرف الخلق بين النفع والضرر
هدى المكارم لا ثعبان من لبن ... فقه لجنبك يا شانيه او فطر
اكففا اياديك عني انني رجل ... اخاف منها على نفسي من البطر
حبي صحيح وغيري حبه كذب ... انى جهينة فاسألني عن الخبر

وخاطرى ان يوفق مع بلادته		فالماء ينبع احيانا من الحجر

« وقال من مديح الفاضل »

لولا اعتقادى للشريعة مخلصا		ماقلت ان كلامه مخلوق

« وقال من مدح الملك العزيز »

واذا وصلت الى السحائب قبله		فاعلم بأنك ما نقعت بها الصدى

« ومن غريب شيخه الفاضل نور الله ضريحه »

اذا جادقلت الدهر فيها مخلد		وان جدقلت المرء ليس مخلدا

« وقال من غيرها ورتبته اجل من ان يقال له اجاد »

واذا رشت بالايادى جناحى		فمعانى العلاء مما أصيد

« وتلاعب بالمعنى فقال »

يامالكى انبت ريشى بالندى		لكننى مامار بى الطيران

« وقال سقى الله من غيث الرحمة ثراه »

ركبنار ياحا من كرائم خيله		نؤم سحابا من سماء سماحه

فقل لليالى الخطب طولى اواقصرى		فانا على وعد السرى من صباحه

« وقال »

نظروا الخيول فاثبتت نظراتهم		غررا عليها قد وسمن جباها

ولرب هاتفة دعتهم للوغى		جعلوا صليل المرهفات صداها

« وقال من غيرها »

يامن اذا ما المال جاز بأرضه		يصفر خوف فراقه ان يذهبا

« وقال سقى الله ثراه »

سأ نصف اصناف القوافى بمدحه		فان القوافى فى علاه غيارى

« وقال »

هـذى البدايات قد نلت السماء بها ... فما تغلن العدى عند النهايات

الله جارك والآجال كاشرة ... من القواضب عن مثل الثنيات

وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت ... كالشرب حين تهادت بالزجاجات

« وقال »

يمشون من اضيافهم وسيوفهم ... و وحوشهم والطير بين عيال

« وقال »

لم يبق فى ايامـه من فتنـة ... للناس الا فتنـة بجـمال

تسـمى الرماح قنا فاما بعدما ... صارت بكفك فالرماح عوال

« وقال سقى الله ثراه »

قالوا جرى قلمى فى عين مدحكم ... لا والذى علم الانسان بالقلم

وماخلوت بذكرا كم وكان معى ... ثان يثلث ذكرا كم سوى الكرم

« وقال سقى الله ثراه »

غنيناعن التشبيب قدام مدحه ... فاذهل وصف الليث من يصف الرشا

« وقال »

الـكتب تشكره عنا ولا عجب ... ما تشكر السحب الا بالبساتين

« وقال » وجوه رياسة لهم وجوه ... وسر الجود فى تلك الاسره

تفانوا فى سبيل المجد لـكن ... لهـم ذكر اطال الله عمره

« وقال »

أسرعت فى جـود فلست بمبطئ ... وصدقت فى شـكر فلست بمبطل

ومدحت اهل البيت منـكم بالذى ... شهد الرجال بان ذاك البيت لى

وهى السـعادة فى السماك فلو تشا ... لطعنت منها رامحـا بالاعزل

« وقال »

فقل للطغاة الكفر يبموا سيوفكم ... وصوغوا بأثمان لهن خلاخلا

« وقال »

يقبل الارض ثغر السحب عندهم ... والريق قطرته والانجم الشنب

مكارم مذ طمى فى الارض زاخرها ... على الورى اقلعت من خوفها السحب

البرق فى وجنتيها لمعه خجل ... والرعد فى خافقيها صوته صخب

ليس السحاب الذى امطاره نطف ... مثل السحاب الذى امطاره ذهب

« وقال »

اسيدنا ان جئت فى الدهر آخرا ... فقد جاء عيد الفطر فى آخر الشهر

وتم لى التمثيل فيما ذكرته ... فقد جاء عيد النحر فى آخر العشر

« ومن غريب الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا قوله »

لنا ملك قد قاسمتنا هباته ... فنثر العطا منه ونظم الثنا منا

يذكرنا اخبار معن بجوده ... فننشى له لفظا وينشى لنا معنى

« وقال » لاعدمنا لابن الاثير يراعا ... جاريا للعفاة بالارزاق

كلما ماس فى المهارق كالغصـ ... ـن رأينا الندى على الاوراق

« وقال يهنى محتسبا »

تهن بها حسبة ادركت ... بايام فضلك ما ترتقب

فانك من أسرة تصطفى ... وترزق من حيث لا تحتسب

« وقال رحمه الله وأجاد الى الغاية »

يارب امدد بالغنى يد سيدى ... فى يومه يهب الجزيل وفى غده

فالبحر يسعى خادما فى بابه ... والسحب جارية تصب على يده

« وقال ايضا وأجاد »

فـديناك يا ابن الحسنى بجودا   بأقلامـه او جائدا بمكارمه
فخاتم عند الجود فى بطن كفه   و ياقوت عند الخط فى فص خاتمه

« وكتب الى القاضى شمس الدين البهنسى واجاد »

شـكر الله اياديك الـتى   انعشت حالى بشمسى الهبات
أنت بالمعروف قـد احييتنى   وكذا الشمس حياة للنبات

« ومن غريب الشيخ زين الدين بن الوردى فى مديح شيخه شيخ الاسلام قاضى القضاة شرف الدين بن البارزى »

جنبتنى وأخى تـكاليف القضا   وكفيتنا مرضـين مختلفين
يا حى عالم دهرنا أحييتنـا   فلك التصرف فى دم الاخوين

« ومنه قوله »

يا آل بيت النبى من بذلت   فى حبكم روحه فـاغبنا
من جاء عن بيته يسائلكم   قولوا له البيت والحديث لنا

« للشيخ برهان الدين القيراطى »

أوصافكم تسرى أحاديثها   مسرى نجوم الزهر فى الافق
كما أحاديث النـدى فيـكم   تسندها الركبان من طرق

« الشيخ ابراهيم المعمار »

أيا بدر المحـاسـن حزت جودا   وفضلا شـاع بين العالمين
وكنت من الـكرام فحزت حظا   فصرت من الـكرام الـكاتبين

« وقال »   لابن فضل الله فضل   عمر الفضل و وفى
كيف لا وهو على   علم السر وأخفى

« الصاحب فخر الدين بن مكانس »

جناب فخر الدين كهف الورى   دامت له النعماء لا تنقضى

فهو الشريف الحسن المرتضى　　وخلقه ذاك الشريف الرضي

« وقال يمدح الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه »

يا ابن عم الرسول ان أناسا　　قد تولوك بالسعادة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب　　يا اماما وما سواك مجاز

« الشيخ بدر الدين الدماميني في الشهاب الفارقي وأجاد »

قل للذي أضحى يعظم حاتما　　ويقول ليس لجوده من لاحق

ان قسته بسماح أهل زماننا　　أخطا قياسك مع وجود الفارق

« الشيخ بدر الدين البشتكي واجاد »

وقاس الورى بالنيل نائلك الذي　　حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا

فقلت وهل ينقاس من خلقه الوفا　　عن بالوفا في العام يوما تخلقا

« قلت » ومن غريب الاتفاق البديعي ان كسر النيل المبارك يكون في شهر مسرى وبعد مسرى بأيام يكون الكسر النيروزي فاتفق اني تمثلت لدى المواقف الشريفة المؤيدية يوم كسر النيل المبارك وقد بلغ المسامع الشريفة في ذلك اليوم المبارك ان نوروز وصل الى غزة محاربا «فانشدت مرتجلا ومورياً بحكاية الحال»

ايا ملكا بالله صار مؤيدا　　ومنتصبا في ملكه نصب تمييز

كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي　　وحقك بعد الكسر ايام نوروز

« وكتبت الى الامير مرجان الخازندار وقد رسم بانعام من عنده اتقاضى ذلك »

خازن دار المؤيد انتظمت　　له بيوت العلى باركان

تلقاه عند العطاء مبتسما　　فانظر الى لؤلؤ ومرجان

« وكتبت الى قاضي القضاة شمس الدين الاخناي »

ايا سيد قاضي القضاة بمدحكم　　ليالي سطوري اقمرت في سماطرسي

وبشرت قلبي بالمعالي لانني　　وصلت بأقوالي الى مطلع الشمس

« وكتبت الى المقر المرحومى الشهابى الصفدى »

كتابة سر الشام جاءت مطيعة … اليك على رغم الذى لك يحسد
ونجل ابن فضل الله أحمد ان يكن … تولى حميدا أنت والله احمد

« وكتبت الى الشيخ شرف الدين الانطاكى شيخ الشام المحروس »

ياشرف الدين الذى بذكره … تشرفت بين الورى أشعارى
لكم تفاصيل علوم نسجها … محبر وهو طراز الزارى
فقل لمن رام يحوك مثلها … ماأنت هذا الطرح يا ابيارى

« باب المراثى قال عبدة بن الطبيب »

فما كان قيس هلكه هلك واحد … ولكنه بنيان قوم تهدما

« وقال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا »

لقد لامنى عند القبور على البكا … رفيقى لتذراف الدموع السوافك
وقال اتبكى كل قبر رايته … لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى … دعونى فهذا كله قبر مالك

« وقال رجل من خثعم وأجاد »

خلت الديار فسدت غير مسود … ومن الشقاء تفردى بالسودد

« وقال محمد بن بشر الخارجى »

نعم الفتى فجعت به اخوانه … يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه … طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه … لم تدر أيهما اخو الارحام

« وقال الاشجع بن عمرو السلمى »

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق … ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى مافواضل كفه … على الناس حتى غيبته الصفائح

فاصبح فى لحد من الارض ميتا وكانت به حبا تضيق الصحاصح
سأ بكيك مافاضت دموعى فان تفض فحسبك منى ماتسكن الجوانح
فما أنامن رزء وان جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح
كان لم يمت حى سواك ولم تقم على احد الاعليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثى وذكرها لقد حسنت من قبل فيك المدائح

« قلت » حزن هذا العربى على من رثاه استعبدله رقة ليس لها فى سوق الرقيق نظير « يحيى بن زياد الحارثى »

دفعنا بك الايام حتى اذا اتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

« ابن المقفع »

رزئنا أباعمرو ولاحى مثله فلله ريب الحادثات بمن تقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة مافى السداد لها طمع
فقد جر نفعا فقدنا لك اننا أمنا على كل الرزايا من الجزع

« الشمردل بن شريك »

ولولا الاسى ماعشت فى الناس ساعة ولكن اذا ماشئت جاوبنى مثلى

«وقال آخر »

الا فليمت من شاء بعدك انما عليك من الاقدار كان حذارنا

«وقال آخر »

اذا ماامرؤ أثنى بآلاء ميت فلا يبعد الله الوليد بن ادهما
فما كان مفراحا اذا الخير مسه ولا كان منانا اذا هو أنعما
ونادى منادا ول الليل باسمه اذا خجر الليل البخيل المذمما
لعمرك ماوارى التراب فعاله ولكنه وارى ثيابا وأعظما

« الحسن بن مطير الاسدى »

الما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فياقبر معن انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
وياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
كانا خلقنا للنوى وكانما حرام على الايام ان نتجمعا

« وقال اشجع بن عمر والسلمي وأجاد »

* أنعى فتى الجود الى الجود ما مثل من أنعى بموجود
* أنعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود
* وانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود
فالآن نخشى عثرات الندى وصولة البخل على الجود

« التميمي في منصور بن زياد وأجاد الى الغاية »

لهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير
اما القبور فانهن أوانس بجوار قبرك والديار قبور
عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
يثني عليك لسان من لم توله خيرا لانك بالثناء جدير
ردت صنائعه اليه حياته فكانها من نشرها منشور
والناس مأتمهم عليه واحد في كل دار رنة وزفير
عجبا لاربع أذرع في خمسة في جوفها جبل اشم كبير

« النابغة الجعدي »

فتى كان فيه مايسر صديقه على ان فيه مايسوء الاعاديا
فتى كملت اخلاقه غير انه جواد فما يبقى من المال باقيا

« منصور النميري »

فان تك أفنته الليالي وأوشكت فان له ذكرا سيفني اللياليا

﴿ دريد بن الصمة يرثى اخاه ﴾

وقالوا الا تبكى أخاك وقد أرى ... مكان البكا لكن جبلت على الصبر
أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر

« آخر »

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا ... اجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه ... سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

﴿ ابن المعتز ﴾

قد استوى الناس ومات الكمال ... وقال صرف الدهر أين الرجال
هذا ابو القاسم فى نعشه ... قوموا انظروا كيف تزول الجبال

﴿ ومن الغايات فى هذا الباب قصيدة القاضى وهو ابو يعلى فى مخلص الدولة ابن منقذ وقد اخترت منها ﴾

لقد دفن الاقوام اروع لم تكن ... بمدفونة طول الزمان فضائله
يمر على الوادى فتثنى رماله ... عليه وبالنادى فتبكى أرامله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ... سرى جوده فوق الركاب ونائله
افاض عيون الناس حتى كأنما ... عيونهم مما تفيض أنامله
فيا عين شحى لا تشحى بسائل ... على ماجد لم يعرف الشح سائله
مجالسه فى روضة ظلها الندى ... ولكنه فى المجدمات مساجله
جرت تحته العلياء مل ء فروجها ... الى غاية طالت على من يطاوله
صفوح عن الجانى وصفحة سيفه ... اذا هى لم تقتله فالصفح قاتله
فلا رحلت عنه نوازل رحمة ... ضحاه بها موصولة وأصائله
وروى ثراه منهل العفو فى غد ... فقد روت العافين أمس مناهله

﴿ واخترت من قصيدة مروان بن ابى حفصة فى معن بن زائدة رحمه الله تعالى قوله ﴾

مضى معن بن زائدة وابقى مكارم لن تبيد وان تنالا
فان يعلو البلاد به خشوع فقد كانت تطول به اختيالا
وكان الناس كلهم لمعن الى ان زار حفرته عيالا

﴿ وقال فيه الحسن بن مطير وهى من ابيات الحماسة ﴾

الما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
و ياقبر معن انت أول حفرة من الارض خطت للمكارم مضجعا
كانا خلقنا للنوى وكانما حرام على الايام ان نتجمعا
بلى قدوسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

﴿ البحترى يرثى كافى الكفاة ﴾

مضى من اذا ما أعوز البذل والحجا اصبنا جميعا من يديه وفيه
ثوى الجود والكافى معا فى حفيرة ليأنس كل منهما بأخيه

﴿ آخر يرثى القاضى الباقلانى ﴾

انظر الى جبل تمشى الرجال به وانظر الى القبر ما يحوى من الصلف
وانظر الى صارم الاسلام مغتمدا وانظر الى درة الاسلام فى الصدف

﴿ ابن العلاف يرثى المبرد وأجاد ﴾

ذهب المبرد وانقضت ايامه وليذهبن اثر المبرد ثعلب
فتزودوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرد عن قليل يشرب
وأرى لكم ان تكتبوا أنفاسه ان كانت الانفاس مما تكتب

﴿ جحظة البرمكى يرثى ابن دريد ﴾

فقدت لابن دريد كل فائدة لما غدا ثالث الاحجار والترب

وكنت ابكى لفقد الجود منفردا   فصرت ابكى لفقد الجود والادب

﴿ آخر واجاد ﴾

والصبر يحمد فى المواطن كلها   الا عليك فانه مذموم

« قلت » ومما يشعر بقرينة الذوق ان الناظم الفحل يريد الرثاء من براعة استهلاله من غير تصريح قول التهامى فى قصيدته التى سارت بها الركبان فى رثاء ولده « وهى »

حكم المنية فى البرية جار   ماهذه الدنيا بدار قرار

ومكلف الايام ضد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار

طبعت على كدر وأنت تريدها   صفوا من الاقذاء والاكدار

واذا رجوت المستحيل فانما   تبنى الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة   والمرء بينهما خيال سار

ما أعلم احدا استهل فى المراثى بأحسن من هذه البراعات البديعة « منها » يشير الى موت ولده وهو من المعانى المستغربة

جاورت اعدائى وجاور ربه   شتان بين جواره وجوارى

﴿ وقصيدة ابى تمام ايضا فى ابى نصر بن حميد من المختارات فى هذا الباب وقد اخترت منها ﴾

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر   فليس لعين لم تفض ماءها عذر

وما كان الامال من قل ماله   وذخر امرئ امسى وليس له ذخر

وما كان يدرى مجتدى جود كفه   اذا ما استهلت انه خلق العسر

فتى دهره شطران فيما ينوبه   ففى بأسه شطر وفى جوده شطر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة   تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه   من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه   فلم ينصرف الا واكفانه الاجر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى … لها الليل الا وهى من سندس خضر
كان بنى نبهان يوم وفاته … نجوم سماء خر من بينها البدر
وأنى لهم صبر عليه وما مضى … الى الموت حتى استشهدا هو والصبر
فتى كان عذب الروح لا من غضاضة … ولكن كبرا ان يقال به كبر
فتى سلبته الخيل وهو حمى لها … و بزته نار الحرب وهو لها جمر
اذا شجرات العرف جذت اصولها … ففى اى عود يوجد الورق النضر
وكيف احتمالى للسحاب صنيعة … باسقائها قبرا وفى لحده البحر
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة … غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فاننى … رأيت الكريم الحر ليس له عمر

﴿ومن شعر ابى نواس يرثى الامين واجاد﴾

وكنت عليه احذر الموت وحده … فلم يبق لى شئ عليه احاذر

﴿مثله قول ابراهيم الصولى يرثى ابنه﴾

انت السواد لمقلة … تبكى عليك وناظر
من شاء بعدك فليمت … فعليك كنت احاذر

﴿ومثله قول مطيع بن اياس﴾

فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به … ما بعد يحيى فى الرزء من ألم

« مسلم » بن الوليد فى يزيد بن مزيد وقيل ان البيت الثانى ابلغ شئ قيل فى المراثى البديعة

سلكت بك العرب السبيل الى العلى … حتى اذا سبق الردى بك حاروا
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة … اثنى عليها السهل والاوعار

﴿حكى﴾ عن الشهاب محمود سقى الله من غيث الرحمة ثراه انه دخل على قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان نور الله ضريحه يعوده فى المرض الذى توفى فيه

الى رحمة الله تعالى فانشده رثاء فى نقيب الاشراف ببغداد « وهو »

قـد قلت للملك المولى غسـله	هلا اطاع وكنت من نصحائه
جنبـه، ماءك ثم غسله بمـا	اذرت عيون المجـد عند بكائه
وأزل مجاميع الحنوط ونحهـا	عنه وحنطه بطيب ثنـائه
ومر الملائـكة الـكرام بحـمله	شرفا الست تراهـم بازائه
لاتوه اعنـاق الرجال بحـمله	يكفى الذى حملوه من نعمائه

« قال » الشهاب محمود فلمـا خرجت من عنده اختلج فى صـدرى انه أحق الناس بهذا الرثاء البديع فاتفق انه توفى الى رحمـة الله تعالى فى ذلك الاسبوع « قلت » ولـكن بالنسبة الى ما ألهمنى الله من الذوق ان هذا الرثاء نسيج وحـده وواسطة عقده لم ينسج متأدب على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم رحمـه الله تعالى « قلت » ومن المراثى التى لم ينسج ايضا على منوالهـا رثاء ابى الحسن محمـد بن عمر بن يعقوب الانبارى فى ابى طاهر محمد بن محمد بن بقية الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بن بويه لمـا قتل عز الدولة وملك عضـد الدولة بغداد فصلبه « فقال ابن الانبارى »

عـلو فى الحيـاة وفى الممات	لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حـين قاموا	وفود نداك أيام الصـلات
كأنك قائم فيهـم خطيبا	وكلهـم قيـام للصـلاة
مـددت يديك نحوهـم احتفاء	كمدكها اليهـم بالهبات
ولمـا ضـاق بطن الارض عن ان	يضم علاك من بعد الممات
اصـاروا الجو قبرك واستنابوا	عن الاكفان ثوب السافيات
لعظـمك فى النفوس تبيت ترعى	بحـراس وحفاظ ثقـات
وتشعل عندك النيران ليلا	كذلك كنت ايام الحياة

ونلت مطية من قبل زيد ... علاها فى السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأس ... تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا ... تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت ... فانت قتيل ثار النائبات
وكنت تجير من صرف الليالى ... فصاد مطالبا لك بالترات
ولو انى قدرت على قيام ... بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نحت القوافى ... ونحت بها خلاف النائحات
ولكنى اصبر عنك نفسى ... مخافة ان اعد من الجنات
ومالك تربة فاقول تسقى ... لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

« ولم » يزل ابن بقية مصلوبا الى ان توفى عضد الدولة فانزل عن الخشبة ودفن فى موضعه « فقال فيه ابن الانبارى صاحب المرثية المذكورة »

لم يلحقوا بك عارا اذ صلبت لهم ... لكنهم غلطوا فاسترجعوا ندما
وأيقنوا انهم فى فعلهم غلطوا ... وأيقنوا انهم نصبوا من سودد علما
فاسترجعوك ووارو امنك طود علا ... بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليت فما يبلى نداك ولا ... ينسى وكم هالك ينسى اذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما ... تركت مالك بين الناس مقتسما

« قال » الحافظ ابن عساكر لما صنع ابن الانبارى المرثية الاولى كتبها ورماها فى شوارع بغداد فتداولها الناس الى ان وصل الخبر الى عضد الدولة « فلما » انشدت بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب دونه « فقال » على بهذا الرجل وطلبه سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب بن عباد وهو بالري فكتب له الامان « فلما » سمع ابن الانبارى بذلك قصد حضرته فقال له انت القائل هذه الابيات

قال نعم قال انشدنيها من فيك « فلما انشد »

ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات

« قام » اليه الصاحب وعانقه وقبل فاه وانفذه الى عضد الدولة « فلما » مثل بين يديه قال له ما الذى حملك على مرثية عدوى فقال حقوق سلفت وأياد مضت فجاش الحزن فى قلبى فرثيته فقال يحضرك شئ فى الشمع والشموع تزهر بين يديه « فانشد ارتجالا »

كأن الشموع وقد أظهرت من النار فى كل رأس سنانا
اصابع اعدائك الخائفين تضرع تطلب منك الامانا

« فلما » سمعها خلع عليه وأعطاه فرسا وبدرة انتهى كلام الحافظ ابن عساكر « قلت » قوله فى الابيات

ركبت مطية من قبل زيد علاها فى السنين الماضيات

« هذا » زيد هو ابو الحسين زيد بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان قد ظهر فى ايام هشام بن عبد الملك ودعا الى نفسه فبعث اليه يوسف بن عمر الثقفى والى العراقين يومئذ جيشا فرماه رجل منهم بسهم فاصابه فمات وصلب بأرض الكوفة ونقل رأسه الى البلاد وهو صاحب المشهد الذى بين مصر وبركة قارون بالقرب من جامع طولون يقال ان رأسه مدفون به والله تعالى اعلم « وقد » اجمع الناس ان هذه القصيدة غريبة فى بابها « ومن الغريب ايضا فى مصلوب »

كأنه عاشق قد مد ساعده يوم الفراق الى توديع مرتحل
اوقائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل

﴿ ومن غريب ماقيل فى مصلوب ﴾

ومد على صليب الصلب منه يمينا لا تطول الى الشمال

ونكس راسه لعتاب قلب ... دعاه الى الغواية والضلال

« قلت » ومن الغريب في هذا الباب نوع الافتنان وهو الجمع بين الرثاء والمدح في البيت الواحد « فمن » ذلك انه لما مات القادر بأمر الله جلس ابنه القائم بأمر الله فاول من بايعه الشريف ابو القاسم المرتضى « وانشده »

فان مامضى جبل وانقضى ... فمنك لنا جبل قدرسى
وان مافجعنا ببدر التمام ... فقد بقيت منه شمس الضحى
فكم حزن في محل السرور ... وكم ضحك في خلال البكا

« ولما » مات الرشيد والفضل مستمر على وزارته كتب اليه ابو نواس يعزيه في الرشيد ويهنئه بولاية الامين

تعزابا العباس عن خير هالك ... باكرم حي كان اوهو كائن
حوادث ايام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلاانت مغبون ولا الموت غابن

« ولما » مات ابو الامير جلال الدولة بن مرداس صاحب حلب وهو جلال الدين محمود بن نصر واستقر ولده جلال الدين المشار اليه انشده ابن جيوش قصيدة « اخترت منها »

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا ... على انه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الاسى ... تقارن نعمى لا يقوم لها الشكر
وانجزلي رب السموات وعده الـ ... ـكريم بان العسر يتبعه اليسر

« والذي » اقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله تعالى من غيث الرحمة ثراه هو نبات هذا البستان وفارس هذا الميدان وان كان متأخرا فقد احرز قصبات السبق على من تقدمه من الفحول في هذه الحلبة بقوله معزيا في وفاة الملك المؤيد صاحب حماة المحروسة ومهنئا بولاية ولده الملك الافضل

هناء محاذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام فى ثغور مدائح ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
تدر مجارى الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث فى ضحى الشمس قدهما

﴿ واخترت من قصيدته التى رثى بها الملك المؤيد قوله ﴾

ما للندى لا يلبي صوت داعيه ... اظن ان ابن شادى قام ناعيه
ما للرجاء قد اسودت مذاهبه ... ما للزمان قد اسودت نواحيه
وار وعتا لصباح من رزيته ... أظن ان صباح الحشر ثانيه
واحسرتاه لنظمى فى مدائحه ... كيف استحال لنظمى فى مراثيه
أبكيه بالدر من جفنى ومن كلمى ... والبحر أحسن ما بالدر ابكيه
أروى بدمعى ثرى ملك له شيم ... قد كان يذكرها الصادى فترويه
أديل ماء جفونى بعده اسفا ... لماء وجهى الذى قد كان يحميه
ليت الحمام حبا الايام موهبة ... فكان يفنى بنى الدنيا و يبقيه
اعزز على بان التى عوارفه ... ملء الزمان وانى لا الاقيه
اعزز على بان تبلى شمائله ... تحت التراب وما تبلى أياديه
لهفى وهل نافعى لهفى على ملك ... بات الغمام على الآفاق يبكيه
لهفى عليه لجود كان يحجبه ... فيه الملام كأن اللوم يغريه
ما خلف ابن على من ذخائره ... الا ثنا أضحت الدنيا تواليه
كان المديح له عرس بدولته ... فأحسن الله للشعر العزا فيه
افنى المؤيد تبر الدمع من بصرى ... وتلك عادته فى التبر يفنيه
هذى المنازل والدنيا معطلة ... كأنها اللفظ خال من معانيه
مهنأ بجنان الخلد يدخلها ... ونحن نصلى بنار من تنائيه

﴿ وقال فيه ﴾

الا فى سبيل الله نصل عزائم ... وعلم غدا فى باطن الترب مغمدا
على الرغم منا ان خبا منه رونق ... وجاوبنا من حول تربته الصدى

﴿ وقال فى ولده الافضل ﴾

مضى الافضل المرجو للفضل والندى ... وصحت على رغم العفاة وفاته
وما مات اذ ماتت بحزن نساؤه ... وماتت باحزان البلاد حماته

﴿ ومثله على طريق التورية قول الصاحب بن عباد فى رثاء كثير بن احمد الوزير ﴾

يقولون قد اودى كثير بن احمد ... وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلى نبكه معا ... فمثل كثير فى الزمان قليل

﴿ ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ولده ﴾

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا ... حزنى عليه ويا شجوى ويادائى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد ... احرقت بالنار يا كانون احشائى

﴿ وقال فى رثاء طفل له ﴾

بدا وفى حاله توارى ... فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت الا ... دموع عينى لها عقيقه

﴿ ومثله فى رثاء ولد له لم يكمل له الحول ﴾

يا راحلا من بعد ما اقبلت ... مخايل للخير مرجوه
لم تكتمل حولا واورثتنى ... ضعفا فلا حول ولا قوه

﴿ ومثله قوله ﴾

قالوا فلان قد جفت افكاره ... نظم القريض فما يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما ... سكن التراب وليده وحبيبه

﴿ ومثله قولى فى رثاء مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى

الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية نور الله تعالى ضريحه ﴾

لفقدك يا ابن البارزى تهدمت بيوت المعالى ما لهـا من مشيد
وما خلب الاكباد حزن مبرح كحزن ابى بكر لفقد محمد

﴿ باب الفخر قال الاصمعى أفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس ﴾

ماينكر الناس منا حين نملكهم كانوا عبيدا وكنا نحن أربابا

﴿ وقال الاخوص ﴾

انى اذا خفى الكرام وجدتنى كالشمس لا تخفى بكل مكان

﴿ وقال امرؤ القيس ﴾

وشمائلى ما قد علمت وما نبحت كلابك طارقا مثلى

﴿ عنترة ﴾

واذا شربت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

﴿ ويعجبنى فى الفخر قول القائل ﴾

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه

﴿ الطرماح ﴾

لقد زادنى حبا لنفسى اننى بغيض الى كل امرئ غير طائل
وانى شقى باللئام ولن ترى شقيا بهم الا كريم الشمائل

﴿ ابو هفان وأجاد ﴾

أبونا أب لو كان للناس كلهم أبا واحدا أغناهم بالمناقب

﴿ الامير ابو فراس ﴾

تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

﴿ بعض آل حمدان وأجاد ﴾

اغمام مايدريك ماأفعالنا والخيل تحت النقع كالاشباح
تطفو على لجج الدماء كانها صور الفوارس فى كؤس الراح

﴿ المتوكل الليثى ﴾

لسنا وان احسابنا كرمت يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل مافعلوا

﴿ اسحاق بن ابراهيم الموصلى ﴾

عطست بانفي شامخا وتناولت يداى الثريا قاعدا غير قائم

﴿ القاضى الجرجانى ﴾

يقولون لى فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن جانب الذل أحجما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما

﴿ وغاية الغايات فى هذا الباب قول عبد المطلب ﴾

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا فى منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

« قلت » قد عن لى ان احبس عنان القلم عن الاستطراد فى ميادين الفخر واقتصر هنا على قصيدة القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك فانها وان تأخر عصر ناظمها فقد سبقت الى كل غايه ولم ترفع لعرابة عند مجدها رايه . « وهى »

سواى يخاف الدهر او يرهب الردى وغيرى يهوى ان يكون مخلدا
ولكننى لا ارهب الدهر ان سطا ولا احذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر طرفه لحدثت نفسى ان امد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرة وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للئام لاننى أرى كل عار من حلى سؤددى سدى

واظمأ ان أبدى لى الماء منة * ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى ان لا أميل الى الهدى
وقدما بغيرى أصبح الدهر اشيبا * وبى بل بفضلى اصبح الدهر امردا
وانك عبدى يا زمان واننى * على الكره منى ان أرى لك سيدا
وما أنا راض اننى واطئ الثرى * ولى همة لا ترتضى الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى * لخرت جميعا نحو وجهى سجدا
ارى الخلق دونى او ارانى فوقهم * ذكاء وعلما واعتلاء وسوددا
وبذل نوال زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولى قلم فى أنمل قد هززته * فما ضرنى ان لا أهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفى له صدى

﴿ باب الغزل ﴾

«قلت» هذا النوع أعنى الغزل ملأ بكثرته الدواوين والمجاميع وأفعم أفواه الرواة وضاق عنه فضاء الاحصاء ورأيت لطف هذا التأليف وحشمته لم يحمل ثقل عقادة تركيب ولا سفالة لفظ ولا حوشى لغة فتمثلت هنا «بقول القائل»

ميلوا الى سهل الكلام فانه * من خاف مال الى الطريق الاوعر

«وما» خفى ان المتأخر يحتاج الى صحة ذوق وصفاء ذهن ودقيق فهم وصحة تمييز وحسن هذا الذوق انما هو امر الهامى ليس مما يكسب ولكن يختلج من صدر من ادبه ربه فتأدب فاذا اختار شيأ وأورده نزه الناس فى حدائق ورده وكان نعم الواسطة فيما أحكمه من نظم عقوده

فما كل دار اقفرت دارة الحمى * ولا كل بيضاء الترائب زينب

«وجل» القصد هنا تأهيل الغريب وتقديم ما علا نسبه فى النسيب

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعبده القرطاس والقلم

﴿ ومذهبي ﴾ في هذا التأليف انني اذا تخيرت بيتا سبق ناظمه الى معناه فلوجهين « احدهما » وهو الاقوى انه رشحه وازال عقادته وسبكه في احسن من قالبه الاول واحكم ترتيبه « والثاني » هو والله اعلم ان تكون الواردة قد اتفقت لهما كما جرى لامرىء القيس ولطرفة بن العبد في البيت الذي في معلقتهما « وهو قول امرىء القيس ».

وقوفا بها صحبي على مطيهم — يقولون لا تهلك اسى وتحمل

﴿ وقال طرفة ﴾

وقوفا بها صحبي على مطيهم — يقولون لا تهلك اسى وتجلد

« فلما » تنافسا في ذلك احضر طرفة بن العبد خطوط اهل بلده في اي يوم نظم البيت فكان اليوم الذي نظما فيه واحدا « وقد » يقع مثل ذلك في البيت الواحد والوجه الاول سماه علماء البديع حسن الاتباع وقالوا هو ان يأتي الناظم بمعنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من الزيادة التي توجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم باختصار حشو او قصر وزن او عذوبة لفظ او تمكين قافية او تتميم نقص او تحلية من البديع توجب الاستحقاق « وقد » تعين ان نقيم لهذه الدعوة شاهدا تثبت به عند قضاة الادب الحجة « قال جرير »

اذا غضبت عليك بنو تميم — حسبت الناس كلهم غضابا

﴿ وقال ابو نواس ﴾

وليس على الله بمستنكر — ان يجمع العالم في واحد

فزاد ابو نواس على جرير زيادات حسنة منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وايضا ان ذكر العالم اعم من ذكر الناس في بيت جرير

. الذى جعل لغة العرب أحسن اللغات والصلاة والسلام على سيدنا
صـاحب الآيات البينات والمعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه
ين بآدابه فى جميع الشؤن والحـالات ﴿ وبعـد ﴾ فقد تم بعون
ء الجليل طبع هذا المطبوع الجميل المسمى ﴿ ثمرات الأوراق فيما طاب
ن نوادر الأدب وراق ﴾ تأليف العلامـة تقى الدين ابى بكر بن على
بروف بابن حجة الحموى رحمه الله تعالى

لو لعمرى كتاب حوى من غرائب ونوادر المحـاضرات الأدبية ماتصبو
ـه نفوس نوابغ الأدباء وتتشوف الى مطالعتـه أنظار فحول البلغـاء
د اتى فيـه من مخـدرات نفائس الأفكار والآداب مايشهد له بطول .
اع فى هذا الميدان وعلو كعبه فى العلوم العربية وسعة الاطلاع وقوة البيان
د ذيل هـذا الـكتاب بالذيل الأول للمؤلف المذكور والذيل الثانى
لامـة الشيخ ابراهيم بن الاحـدب والذيل الثالث وهو المسمى تأهيـل
ريب للمؤلف ابن حجة المذكور
ـاء بحمد الله كتابا حاويا كل مايحتاج اليـه الأديب الأريب ويسرح
طرف فى رياض مغانيه فيغنى به الالمعى اللبيب
لك بالمطبعة العامرة الخيرية ادارة الملحوظ بعناية الملك الوهاب ﴿ حضرة
السيد محمد عمر الخشاب ﴾ فى اوائل شهر ذى الحجة الحرام سنة تسع
وثلاثين وثلاثمـائة بعد الالف من هجرة من خلقه الله على
اكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
مالاح بدر تمام وفاح مسك ختام آمين

﴿ تنبيه لم يعمل فهرست للذيل المسمى تأهيل الغريب وهو الاخير لكونه جميعه
لما لجملة كثيرة من الشعراء ولم يكن مألوفا عمل فهرست لمثل ذلك فليعلم ﴾


Bibliotheca Alexandrina
03381021